مخطوط رقم	3922 م.ك	الموضوع	حديث
العنوان	التكلم على الأحاديث المشهورة		
المؤلف	ابن فورك ; ابوبكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ـ 406 هـ		
أوله			
آخره			
تاريخ النسخ	القرن (7) هـ		
إسم الناسخ			
نوع الخط	نسخ معتاد	عدد الأوراق	93
لغة المخطوط		عدد الأسطر	0
تاريخ التأليف		المقاس	
الملاحظات			
مصدر المخطوط	شستربيتي		
المراجع			

PIETERSE DAVISON
INTERNATIONAL Ltd
microfilm service

Chester Beatty
Library
MS

0405 1979

5 cm

جميع حقوق النشر والطبع محفوظة

لامناء مكتبة تشستر بيتي، دبلن، ايرلندا

This microfilm is copyright. It shall not be published or printed without the permission of the Trustees of The Chester Beatty Library & Gallery of Oriental Art 20, Shrewsbury Rd., Dublin 4, Republic of Ireland.

3922

AL-TAKALLUM 'ALA 'L-AḤĀDĪTH AL-MASHHŪRA, by Abū Bakr Muḥammad b. al-Ḥasan B. FŪRAK al-Anṣārī al-Iṣbahānī (d. 406/1015).

[A discussion, also called *Bayān mushkil al-Ḥadīth*, of Traditions with an anthropomorphic tendency.]

Foll. 93. 15·8 × 13·2 cm. Clear scholar's naskh.

Undated, 7/13th century.

Brockelmann i. 166, Suppl. i. 277.

MS 3922

2 A. CHESTER BEATTY.

ELS. No

VII

كتاب فيه

نظام

الحكم

مرد اجواد

الرحيد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المتفضل بنعمته المتطول بآياته ومنته الذي
خصنا من بينهم بهداية من غير حاجة ومنحنا من شرائع الدين ما من عن نقص ولا آفة
بقدرته وأتقنها بعلمه ودبرها على مشيئته دلت بدايعه على حكمته وشهدت
ضنايعه بعزته وعظمته وكل مخلوق دال على الأهيئة
والربوبية منزه عن صفات العلو
عن الخلط مبرأ عن العاهات منز
بالجوارح والآلات والأدوات وال
جميع من في الأرض والسموات لا تلتبس به
ولا تحرك على الأزمان والأوقات ولا تحل
بل كان موجودا بلا كيف مذكورا بلا أين معبودا بلا شبه
عظمته الدلائل والأعلام خلق ما خلق من غير فكرة واختار ما اختاره من الأنام على
أن خلع عن نوع وجنس لعيد عن كل ذي شكل يحن على نعته عودا وبدا ونشكره
على فوادح أولا وآخرا ونستعصمه من الخطأ والزلل ونستوفقه لأرشد القول والعمل
ونستعينه على تمام ما ابتدأ به من قضاياه ورحمته ونشهد له بالتوحيد والتفرد بالبقاء
المختص على اختلافها نفعا وضرا وعطاء ومنعا وخيرا وشرا فإن جميع ذلك العدل من
قضاياه والقسط من تقديره وتدبيره ونشهد لمحمدا عبده ورسوله وصفوته وخيرته
أرسله بالحق إلى الخلق بشيرا وصادقا وأمينا فقطع به العذر وأكد به الحجة وختم الرسالة صلى الله
عليه وسلم خاصة وعلى النبيين المرسلين والملائكة المقربين وعلى جميع المطيعين له عامة وسلم
تسليما أما بعد فقد وفقت أسعدكم الله بطلوبكم ووفقنا له بتمام ما ابتدأنا به من
تحرير المنطق والسؤال من حاجتكم إلى إملاء كتاب تذكر فيه ما استهر من الأحاديث المروية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يوهم ظواهرها التشبيه مما تعلق به المحدودة من الحشوية الذين

وضعوا بتقبيح ذلك الطائفة التي هي الطامرة بالكل لسانا وبنانا وفعلا وعلوا ومكانا
الطامرة عقائد من ثوابيا الأباطيل وشرائع البدع والأمراء الفاسدة وهي المعروفة بأنها
أصحاب الحديث وهم فرقتان فرقة منهما من أهل النقل والرواية الذين يشتد عنايتهم بنقل السنن
وتتوفر دواعيهم على تحصيل طرقها
ويعرفون به وينسبون إليه وفرقة
عن ترتيب الفروع على الأصول
على حقائقها فالفرقة الأولى
عن خزائن الملك المعتبر منن
العادلة عن منابع الكتاب والسنة
هذه الفرقة بالعدوان من سائر أهل الأمواء الذين
هذه الأخبار وتردد بذلك التلبيس على الضعفاء فينقل ما لا يليق بالتوحيد ولا يصح في
الدين وظن أن هذه الفرقة احتملت ذلك اعتقادا
من أحوال الخلق والتعريف من صفاتهم وجوارحهم وأدواتهم واشتغلت بذلك وفي داعيا عن
معانيها غافلا عن
بما نقلت ما وجد
اعتقدت أصول الدين وحقائق التحقيق بدلائل العقول والسمع فرأيت ذلك على موافقته أصولها
ومقاصدها ومعاضدة ما شهدنا لها من تصحيحها وإنما حمل من لا المتدرع على هذا التهجين والإنكار
على هذه الطائفة بنقل ما نقلت من ذلك ما حمل الملحد والمتعطل على إنكار كتاب الله عز وجل إذ
شهم عليه بذكر بعض ما دهشت عن معرفة معانيها وخفيت
قسمان فقسم محكم تاويله وتتبين
الأمر إلى الحكم وانتزاع وجه

على هذا التنزيل فيها الكلام البين المستقل ببيانه بنفسه ومنها المفتقر الى بيانه
ودل على حسب عادة العرب في خطابها وعرفها في اللغة وبيانها اذ لم يكن كل خطاب
مستغنيا عن بيان وتفسير ولا كل خفيا مشكلا يحتاج الى بيان وتفسير من غير
فاذا كانت دلائل الله عز وجل وما فطر عليه العقول منقسمة فكذلك دلائل السمع عليه منقسمة
وكما يعترض ما خفي من دلالة العقل [illegible] حتى تستوفي دلائل العقول اشكالها فكذلك ما
خفي من دلائل السمع لا يعترض على ما تجلى [illegible] الله عز وجل ان يرفع الدرجات ويوالي العلم
لخاصة عبيده درجات فيها تتبين [illegible] لم ينعم عليه بمثلها فاذا كانت دلائل
العقول صحيحة معقولة وهي الجلا والخفا [illegible] فكذلك دلائل الله عز وجل فيما دلت
عليه من الاحكام والاسماء والاوصاف وتعوف الخالق والخلق وكذلك سوء دلائل السمع الذي
هو القرآن مستوعبة لا يبطلها جهل الجاهلين بمعانيها وهذه المقدمة تكشف للخبر جهالة
المبتدعين في اعتراضهم على اهل النقل من اصحابنا في نقل امثال هذه الاخبار ويوضح لك ان
قول هذا القائل بحر القائل به والقائد له الى ابطال الكتاب بمثل ما ابطله السنة وانه متى
زعم ان الآي المشابهة التي وردت في الكتاب معاني وطرقا مستحيلة تنزل عليها وتتحمل بها
من حيث لا تؤدي الى التشبيه ولا الى التعطيل فكذلك سبيل هذه الاخبار والطرق التي تتنزل
معانيها وتصحيح وجوهها على الوجه الذي يخرج عن التشبيه والتعطيل كذلك فلم يبق الا ان
هؤلاء المبتدعة انما يقصدون بهذا التهجين الكشف عما تستره من العقائد المردية في هذه الطائفة
الطاهرة التي هي اكبر طاهرة سبيل اعتراض الملحدة على جملة اهل الشريعة بمتشابه آي
الكتاب اذا بين لهم وجوهها وكشف لهم عن طرق صحتها فتأبى الا التهجين والعيب لسنة اصحابنا
وعقدها لاهل الاسلام [illegible] واذ قد بان لك الوجه الذي يستر على الاخبار ويدفع بها
اعتراض المبتدعين على اهل الاثار فلنكشفنا الان عما ذهب اليه بعض المتسمين من
المشايخ رحمهم الله في هذا الباب حيث زعم ان ما جرى هذا المجرى من هذه الاخبار انما ينقل على

التسليم للالفاظها والاتباع والتقليد دون البحث عن معانيها والكشف عن وجوهها كنحو ما روي
عن الاوزاعي رحمة الله عليه في ذلك وعن غيره على نحو معناه انه قال الاخبار امروها كما جاءت
والبيان عمل وجه اقاويل هؤلاء المشايخ رحمهم الله وان ما قصدوا من ذلك لا نحالفهم فيه
فنقول ان ما سلكه هؤلاء المشايخ من هذه الطريقة في امثال هذه الاخبار محمول منهم على انهم
منعوا عن ذلك ما لم يهتدوا الى توجيهها وتخريجها وطرقها ليلا يسبق الى الحشو الخفي
اما اعتقاد التشبيه وضلالة [illegible] وابطال الخبر اذا تعذر عليه
تخريجه فبتيقن ذلك ان شاء الله تعالى [illegible] كتاب محكما ومتشابها زجر بقوله تعالى
تعالى والراسخون في العلم يقولون امنا به من عند ربنا اخبر انه انما حرصنا ان نتأول ما تشابه منه فاكد
ذلك في آخر الآية بقوله تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب اي ما يتذكر معاني ما تشابه منها
على الصحيح وطلب الحق فيها الا اولوا الالباب اي العقول والافهام والبصائر وتدل على ذلك ما
روي عن الاوزاعي رحمه الله انه سئل عن بعض هذه الاخبار ما جاب جواب من علم انه ينفجر جوابه
وقد كان سئل عن قوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا فقال
ينعل الله ما شاء وهذا هو البحث عن معنى النزول وقد كشف رحمه الله عن ذلك واوضح معناه واخبر
ان ذلك فعل من افعال الله تعالى نظهر منه بقدرته لا يقتضي له تغييرا ولا تحويلا كنحو ما ظهر
من افعاله ولقد وفق رحمه الله في ما دل ذلك لان اهل النظر والتحقيق بعده قد قصدوا التأويل
هذا الخبر الى الان فما زادوا على ما قال فكشف لك ذلك ان سبيلهم في الامر بامرار الاخبار على ما جاءت
انما هو على طريق الورع لمن ليس من اهل النظر عن الخوض في تأويلها مع اعترافهم بصحتها
ويبدل ايضا على ما قلنا ان اكبر وجه من وجوه طعن المبتدعة على اهل النقل من اصحابنا
في رواية ذلك قولهم انكم تنقلون ما لا تدرون وتقرون ما لا تفقهون وعن الكشف عن معانيها تمنعون
وانما تكلم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ان صح لاعتقاد فاسدة وافاة فاسدة ومعنى فاسد فان من
رواياتها الا التلفظ بها من غير ان يحمل بعقل معنى او يجب ان يضاف الى الرسول صلى الله عليه وسلم

ما يوجبه بر من العويل بالتلفظ بما لا يفيد ونقل القوم ما لا يفهم ولهذا كانت طعنت الملحدة
في متشابه القرآن على من قال من اهل التاويل بما صدان فيه ما لا يعلم تاويله الا الله واجتذبوا من قوله
والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من الاستيناف لا واو عطف مع ان تلاوة الكتاب عبادة وطاعة وسنة
وفضيلة لمن يعرف معناها ولمن لا يعرفها فانما الاخبار والسنن فانما نقلت لمعانيها وفوائدها
لا لانها فقد قلنا في اجوبة عن سلف وخلف من هذه الطايفة ان ما قصدم به
من الطعن على هولا الفضلاء [illegible] غير مذكور ما معنى صحيح وفايدة معقولة منزلة
على حكم اللغة تقدر على المتعارف بين [illegible] وسبيل هذه الاخبار ومشابه القرآن
سبيل واحد في هذا الباب الا من حيث ان [illegible] الدلالة مقطوع بها ومعانيها مستنبطة ولها
هذه الاخبار مقبولة على الطريق التي وردت بها وعلى الوجه التي ترتبها وتذكر اقسامها وبيان
واذا كان كذلك وكان لطف الطاعة عن من الخالقين ورد سبيل قطع بيقين لا ان يكشف عن وجه
ومعانيها ليعلم العرض في نقلها وتحصيل الفايدة لواعيها لسماعها
وتذكرها وانصافها وان ابدان يحمل على ذكرنا ان الادلة في القول بقبول ما صح منها ان
يكلف الناظر على الخوض في طلب معانيها فكيف يمكنه ان يكلف قلبه عن اعتقاد شيء منها والشك
والتوقف في جملة معانيها فكيف يكون الشك ولا من العلم والوقف على النظر احق من طلب النظر
ليتم معنى ما يروم للتفهم والفهم وجعل هذا القول اضافة السايل لذلك القايل له عن طلب الفوايد
والبحث والوقوف مع الظن اذا كان فما طريق العلم به ممكن واستخراج معناه متيسر ومع انه يجب على هذا
القايل ان يقف ايضا في متشابه القرآن ويحظر النظر في ذلك وهذا مفقود الى الاكابر على الضحاة
رضي الله عنهم والتابعين لاجل انهم قد بحثوا عن مكنون الطرق وحثوا على تدبره وتذكر امر الله تعالى بتدبره
ايله فيه والتفكر في تبيانه لما عرضهم باستعماله الدرجات وانواع الكرامات واعلم ان الذي
من ذلك ان يستوي اعتقاد قلبك في معاني امثال هذه الاخبار ما يقتضي التشبيه ووصف
ووصف الله عز وجل بما لا يليق به من الجوارح والحركات والادوات والذي قلبه في لزوم الوقوف

عن ذلك وعن طلب الحق فيها توهم التعذر الوقوف على الحق فيها استدلالا للعجز وتوطينا للنفس على
التقصير في طلب الحق الذي رقبه مرضاة رب عز وجل واستعظام الفوايد من كلام عز ذكره
وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ورد طعون الخالقين بشكها واوهامهم الفاسدة بما طعنوا على
اصل الحق تمييزها اظهارا لحجة الله عليهم وابانة لنصرة الحق بالكشف عن دلايله فاجمع هذه الفوايد لا
وجه للتوقف دونها وترك النظر فيها على الوجه [illegible] عليهم حيث لا يودي الى وقوع العجز
ولا الى استفهام معناه من حيث لا يودي [illegible] الى تشبيه الخالق تعالى بالخلق
ثم انا لما اجبتكم الى مطلوبكم من ذلك احببت [illegible] ما استفتي اليه من ذلك الشايع من الكتب الموضوعة
في هذا المعنى للواقفي والمالف نحو كتاب محمد بن سجاع الثلجي وداود بن علي وكتاب عبد الله بن مسلم القتيبي
وما عداهما اخرا ابو الحسن بن سالم فوجدت كل واحد منهم قد ذكر من ذلك طرفا وما اجتهد
فيه من استنباط بعض معانيه نبذا ولم نجد من جمع ما ذكروه عند مستوعبا لجميع ما يمكن ان
يذكر فيه بل قد وجدنا اخبارا كثيرة ذكروها ما يحتاج تاويلها والبحث عن معانيها وتخريجها على
الوجه الصحيح فوهنا على اضافتها الى ما ذكرنا وفيما ذكرنا ومما تاولوه وخرجوا له وجوها
تذكرها زوايد اخرجنا ها على تلك الطريقة ليلا تكون كتابا ناقلا ونسخا فيعينه الزاري عليه
ان ملانا قد ذكره وقد صنف في ذلك نحو ذلك كتابا ما ذكرنا من زوايد معانيها فيها
وزوايد معاني ما لم يذكروا منها والدلالة في تضاعيف ما يجري من ذلك على ما يصح مما
ذكروه الثلجي والقتيبي من ذلك على الاصول التي ترجع جوامع التوحيد والسنة وسنقرب
ذلك بابواب وتعبارة واكشف دلالة على السبيل الذي قصدناه وما توفيقنا الا بالله تعالى

في بيان ما يجب ان يوقف عليه من اصول هذا الباب اعلم ان الذي يحتاج ان يوقف عليه
من قواعد الكلام في هذا الباب وما يبنى عليه من الاصول التي تستند الكلام فيه اليها حتى
يجري عليها ما نذكره في هذا الباب من معاني هذه الاخبار والآثار الى الطرق التي تخرجها اشياء
منها انه يجب ان يعلم ان الله عز وجل شيء واحد لا يجوز عليه الانقسام والتجزي وانه في ذاته اشيء

مجتمعة ولا متفرقة وانه تعالى لا يتصح عليه ما سمه المخلوقات ولا يحاوره المحدثات ثم
العرف بذلك ان يقول انه ما يصح وصفه تعالى بالجوارح والابعاض والادوات والاعضاء والكون
في الاماكن على الحلول فيها والمجاورة لها واصل ذلك ايضا الكلام في انه لا يصح ان يكون
جسما ولا جوهرا ولا يجوز ان يكون متحيزا ولا مستقرا تعالى ثم بعد ذلك يجب ان
نوقف على ان للنفي عن الله عز وجل مشابهته بالمخلوقات بكل وجه ليس هو انه لا يجوز
ان يوصف بما يوصف به المخلوقات من العيان والتشبيهات ولا نفترق
حقائقها ومعانيها التي تجري مجرى الحدود التي حيث وقع المباينة بالاوصاف التي لا
يجري لها مجرى الحقايق والحدود وان المراد بنفي المتشابه بينه عز وجل وبين الخلق
يرجع في الحقيقة الى انه لا يجوز ان يكون بشيء مما يوصف به على جميع معاني ما يوصف
به المخلوق لان وصف بمثل واصل ذلك معرفة حقيقة المثلين والمشتبهين ويجب ان يعلم
في ذلك فساد قول من قال ان معنى المشتبهين هو الشتركان في اسم واحد او حكم واحد او
صفة واحدة في طريق الايجاب لان من طريق النفي وبان نعلم ان حقيقة ذلك هي على ما يوجب
انهما المشتركان في سائر اوصافهما ومعانيها جوازا ووجوبا وان شيئا ما استند احدهما
بحكم لا يجوز ان يوجبه لصاحبه على وجه فهو مخالف لما فارقه فيه او غير مماثل له اذ كان
وصف القديم بينهما ممتنعا ثم يجب ان نقف بعد ذلك على طرق ما اضاف الله
عز وجل وصفاته ونعلم فساد قول من قال ان طريق ذلك ما يصح في اللغة دون
مراعاة ورود التوقيف بذلك في الكتاب والسنة واجماع الامة ثم يجب ان نعلم
بعد ذلك اقسام الاخبار طرقها ووجوهها ونفرق ما كان متواترا منها نقلا
ينقله الخلف عن السلف من غير مدافعة ولا منازعة من واحد منهم فيه وما
يجري مجرى ذلك مما ينقله البعض منهم ويستفيض في الباقين وينتشر ولا يوجد
نزاع في ذلك ويفصل بين مراتبها وان احدها ينتهي امره الى ان يضطر السامعون

الى العلم بما اخبروا عنه بصدق المخبرين وان الثاني يساوي هذا الاول في ايجاب صحة القطع
بالمغيب ولكنه لا ينتهي الامر فيه الى ايقاع العلم الضروري للسامعين بان يعلم ذلك استدلالا
بما قامت من دلالة صحة من عصمة الامة في كل ما يجمع عليه قولا وعملا ورضي به وترك الانكار
عليه وان ما عدا ذلك فمنه ما يصح على طريقة الاحاد ولا يوجب العلم والقطع بل تلزم الحجة
به على المكلفين من باب العلم دون القطع بمغيبه وما يجب ان نوقف عليه في هذا القسم
ان ما اجرى هذا الجرى من الاخبار لا يوجب [illegible] بمغيبه فاذا لم يكن فيه ما يمتنع
طريقا كان سبيله ان يحمل على ما يجوز [illegible] به دون القطع فيحكم له على التغليب لا على
الحقيقة الذي يقتضي مثلا واضدادا من كل وجه ويجب ان يعلم من قواعد هذا الباب ان
ما اجري من الاسماء في اللغة على طريق الاشتراك في معاني مختلفة فانه لا يختص اللفظ
ببعضها الا بدليل سوى اللفظ ولم يكن بعض تلك المعاني المختلفة فيها تاويل بعض فاذا
وقفت على هذه الجمل وتحققت قواعدها واصولها تبينت تخريج وجوه هذه الاخبار وماضيا
فبنيت الكلام عليها على هذه الاصول ولم تحتج الى ذكر كل فصل منها الى ضم دلالة عليه لما تقدم
من تمهيد ذلك قبل الى تابيد الدلالة على ان الله تعالى شيء واحد لا يجوز

عليه الانقسام والتجزي وما يجوز على المحدثات اعلم انا نشير في كل فصل مما ذكرنا الى ما يجري
الكلام عليه فنبدأ مما هو قاعدة الباب على الايجاز ليلا يخرج عن الغرض المطلوب من الاختصار
فما يدل على ان الله عز وجل شيء واحد على التحقيق وانه ليس كمثله شيء وليس بما شيأ مجتمعة
وان اجري عليه اسم واحد عليه لا على سبيل ما يجري على اجمال المجتمعة مثل قولك انسان واحد
ودار واحدة وهي في الحقيقة اشياء مجتمعة بل اجري ذلك عليه على حد ما يجري على المذكور
الموجود الذي لا يصح الانقسام على ذاته كقولك سواد واحد وجوهر واحد وشيء باب ان ذلك
يرجع بتوحيده الى معنى في الانقسام والتجزية عنه هو انه لو كان عز وجل اشياء مجتمعة
لم يصح ان يكون فاعلا واحدا قادرا واحدا لان ما لا يصح وصفه بالاجتماع فهو التباين بنفسه

الذي يصح ان يقوم به الصفات وقد ثبت انه لا يصح ان تقوم صفة واحدة بموصوفين فبين
بانفسهما بل لا يصح ان تقوم الصفة الواحدة الا بموصوف واحد قايم بنفسه وهذا
يوجب اشياء كلها محال منها ان يكون قديمة لا لقادر وذلك محال ومنها ان تكون الذرة الواحدة
متحيزة منقسمة وذلك ايضا محال لان توجيه على هذا الوجه يمنع انقسامها او تكون
قدرة لم تقم بذاته وذلك محال ايضا فلما استحالت هذه الاشياء وكان القول بان الله
عز وجل اشياء مجتمعة يقال لها واحدة في حالة اشياء مجتمعة واحد نحو قولك ان انسانا
واحدا يودي الى بعض هذه المحالات التي ذكرناها وجب القول بانه تعالى شيء واحد
غير منقسم ولا متحيز فان قال قائل اذا قلتم ان معنى وصفه عز وجل
بانه واحد انه شيء لا يحتمل القسمة والتجزية بوهم او تقدير الا فعلا ويحتملا فقد
اوجبتم بذلك وصفه بالوصف الذي انجز الواحد من الاعراض والجواهر وذلك يوجب
وصفه بانه اقل القليل واصغر الصغير وذلك محال قيل انما ذكرنا هذا المثال لتوحيد الجواهر والسواد على طريق التفهيم للمراد بقولنا
واحد لا على معنى ما يقال للجملة المجتمعة انها واحد وجمعنا بينهما في هذا المعنى الواحد
وهو تحقيق اثبات علة امتناع القسمة من طريق التجزية والتبعيض توهما عليه وتقديرا
فاما مفارقة الجزء من الجواهر والسواد للقديم سبحانه في باب صحة وصف الجوهر
والسواد بانه اقل القليل واصغر الصغير فلا يوجب ذلك ولا يوجب الاتفاق في
ذلك المعنى والاشتراك في معاني الجواهر الواحد والجزء من السواد وذلك ان الجوهر
الواحد انما قيل انه اصغر الصغير واقل القليل فلم يجب ذلك من حيث وصف
بانه واحد على معنى احاله القسمة عليه في ذاته ويجب ان يشاركه في صحة الوصف بالصغر
والقلة ما يشاركه في الوصف بانه واحد وانما اختص الجوهر الواحد بصحة الوصف
بالقلة والصغر من حيث صح في وصفه ان يجاوره مثله ومثاله فيكثرها فاذا انفرد عنها قيل صغر

واذا صار قيل كبير ولكثير الا ترى ان الواحد من اجزاء السواد يصح وصفه بانه واحد على
التحقيق من حيث امتناع القسمة على ذاته ولا يوجب ان يوصف بالصغر والقلة فان قال
الذي من اجله وصف الجوهر بالصغر والقلة اذا انفرد لا يتعلق بمعنى ما وصفتموه بانه
واحد على انه هو الذي اشرتم اليه من امتناع القسمة على ذاته قيل له القول في ان
عز وجل ذكره لا يصح عليه ماسة المخلوقات والمجاورة المحدثات فالذي يوضح صحة ما
منها ان الجملة قد ثبت ان لا يصح ان يكون احد اذا ان يكون محلا للحوادث وكل ما
يمتنع فيه واحد من ذلك كان محدثا وانما يجوز ان يكون محدثا لانه لا يصح ان
يكون محدثا لوجوده مع كونه قايما بنفسه فلا بد ان يكون لوجوده حد ابتدا واتهاء
فلو لم يصح ان يكون لذاته نهاية لم نر ان اكوام المحدثة والاجسام المخلوقة لما كان لوجودها
اية اوجبنا ولها انتهاء جزئي لوجوده كانت دوانها متناهية محدودة قابلة للحدث وكان
قيامها على حدودها فلو ساغ على القديم سبحانه الذي لم يزل موجودا ولا يزال موجودا ما خص
المحدثات بكونها دالة على حدوثها لم يسغ مع هذا القول قدم الاجسام كلها وان كانت محدودة
متناهية متماسة متجاورة متباينة مجانبة للحوادث كان كل قول يودي الى ما لا يتوجه
قدم الاجسام الكاذبة باطلا وكان القول بنحو خالد والماسة وحلول الحوادث في ذات القديم
سبحانه يودي اليه بطل القول به في ثبوت الدلايل وثبوت قيام الحجج وصحتها في ان
الاجسام محدثة لم تزل وكانت والدلالة قلنا ان من احاز على القديم سبحانه وتعالى
عن قولهم الماسة والتناهي وان يكون محلا للحوادث من الجسمية فلا سبيل لهم الى القول
بحدث العالم ولا طريق لهم يثبتون بها الاجسام لم تكن كانت فاذا بان ذلك زال القول
بصحة وصف القديم بالجد والنهاية وبماسة المخلوقات وحلول الحوادث في ذاته تعالى
يودي الى ما ذكرناه مما لا يستحيل وصفه علمت بصحة هذه المقدمة وثبوت هذه الفايدة
وثبوت ان ما وصف به سبحانه في الكتاب والسنة من اليد والوجه والعين والاتيان

والمجيء والنزول كما ذكر على غير معاني الاتصال والانفصال والنطق والحركة والانتقال وان
اعتقد ذلك على معنى الجارحة والبعض والعضو والاداة مستحيل في وصفه ومن اعتقده
على شيء من هذا فهو جاهل به ولذلك اطال الوحلوني في وصفه تعالى بانه جسم او جوهر لان الدليل
قد كشف عن معنى الجسم انه لا يكون الا جوهرا ان مجتمعا فيه وقد ثبت ان باريه سبحانه شيء واحد
بما ذكرناه وبطل ان يكون جوهرا لما قامت [illegible] تعالى ان معناه ما احتمل كونا واحدا من سكون
واحد او كونا واحدا وان شرط الا لتزام [illegible] ما قت عليه الحوادث ولا ينفك منها وان
ما كان كذلك لا يكون الا محدثا وذلك محال في وصفه تعالى لاجل ان القول بحدوثه يؤدي الى
بطلان قدمه وايجاب الدلالة على حدثه او فساد القول بحدث العالم فاما ما
قلنا انه يجب ان نعلم ان المنفي عن الله عز وجل من التشبيه ليس يصح ان يسمى باسم
قد يسمى به المحدث فالمراد بذلك انا اذا سميناه بما سمى به نفسه ووصفناه بما وصفه
به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعت الامة عليه خلافا لمن قال من المبتدعة
انه لا يجوز ان يسمى باسم يسمى المحدث على وجه لازدكد تشبيه على دعواه وذلك نحو ما سمى به
انه شيء واحد حي عالم قادر مريد متكلم سميع بصير وقد اجرى ذلك على المحدثات حقيقة
ولم يكن سبيل الى منع ما اذن الله عز وجل في تسميته به واطلاقه له كما لم يكن سبيل الى اطلاق
اسم له لم يأذن فيه في كتابه او على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم او على لسان امته
وانما غلط مولاة المانعون من ذلك حيث توهموا ان الاتفاق في بعض السمات يقتضي
التشابه والذي يوضح غلط هذا المتوهم انه لا بد ان يكون مختلفا ان وقد وصل الى
بعض ذلك حسا وان بعضه عقلا ثم من احكم اللازم لهما اتفاقا في كثير من اسمائهما ولو لم يكن
في ذلك الا ان كل واحد منهما يقال انه مخالف لصاحبه وحكيم المخالفة معه واذا كان كذلك
جاز ان لم يشترط المختلفين ان لا يسمى احدهما بما يسمى به صاحبه ولا معنى للمشبهة من ان يسمى
احدهما بما يسمى به صاحبه فان اتفاق المختلفات في كثير من الاسماء والاوصاف لا

يقتضي تشابهها واتضح بوضوح هذا الاصل ما اردنا ان نكشف عنه ان اتفاق اللفظ والحروف
في بعض الاسماء والاوصاف لا يقتضي التشابه بينهما اذ كان قد استبد احدهما باحكام او احكام تمتنع
تجويز ذلك على صاحبه واعلم ان الوقوف على هذا الاصل والتبيين له على الحقيقة كفيل بكشف عن جميع
شبه المبتدعين فيما ادعوا من التشبيه على اصل الكتاب والسنة واجماعة من اصحاب الحديث
اذا وصفوا الله عز وجل بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم او
المسلمون هو المقدمة التي قدمناها في اول الكتاب في [illegible] لفظ الاحياء دون ما التف بمعتزلي ووصفنا
الله عز وجل بانه مستو على عرشه واثبتنا له قدما بنيين وان له وجها وعينا ويدين نحو ذلك
لا يوجب اطلاق سمة التشبيه كما توهم المخالفون الطائفة عفو الله عز وجل عن المبتدعة الطائفة بريئة من التشبيه
بنقل ذلك
واعلم ان الذي لبسه عليهم بهذا الباب لا يجدوا عيبه على من عاب
عليه منهم ان يكون متوجها الى نقلهم ما رووا وسمعوا من العدول الثقات او العيب
عليهم في ذلك انهم نقلوا ما لا يجوز اطلاقه على الله عز ذكره او يعيبون عليهم نقلهم لما لا
يتوقفون عن طلب معناه والبحث عن غايته فاما النقل عن العدول ما لم يسع منه مع سكون
النفس اليه وثاقته فلا عيب فيه على الناقل واما الدعوى ان ذلك لا يجوز اطلاقه على الله
سبحانه فقد بينا ان المدخل للعقول في اطلاق الاسماء على الله عز وجل سبيل السمع وما خلت
السمع واما العقل فانما يدل على ان ذلك يقتضي التشبيه ووصف الرب تعالى بما لا يجوز عليه فهو راجع على
التوهم له لقلة معرفته ونقصان بنيته في معاني الفاظ وتخريج وجوهها وان كان يجعل توقفهم
عن البحث عن معناه من حيث قد نقلوه ورجوع عن الثقات فقد قلنا ان المنع انما يقع ليزول
دبجة في ح لا تحصل له طرق البحث ويخفى عليه سبل التاويل ولا يحتمل الجمع بين اثبات معناه ونفي التشبيه
وهذا كمنع العامة ومن تقصر اللغة والنظر عن استفادة ما في ذلك عن تاويل متشابه القرآن
ولمنع العامة عن الفتيا في الفروع لزهابهم عن علم الاصول وكيفية ترتيب الفروع
عليها فقد بان ان لا معيب على هؤلاء النقلة في نقل امثال هذه الاخبار ومع ذلك فانهم

مكشوف عن طرقها ومميزون من صحيحها وسقيمها وما يجب ان يستعمل تاويلها دون ما يجب ان
يطرح فاى عيب على هذه الطائفه فى نقل ذلك لولا سوء اعتقاد المبتدعه وضميرهم
وارطانهم للعدوة والخلاف لاهل الحق والسنه حتى يتطلب العيب من غير وجهه

قال ان تامل ما ذكرناه من هذه الاقسام لم توجب العلم والقطع فلم تتضمن
علما يعول به ما وجه نقلها وكيف طريق [illegible] معانيها فالجواب ان هذه الاخبار
منقسمه على اقسام مهت [illegible] تشتمل ذلك غيرهم ولم توجد له منكر
ولا معتمد وذلك نحو حديث الرويه وحديث [illegible] والنزول وما جرى مجراه فهذا الباب
منتشر مشتهر لا دافع له بل الكل من النقل [illegible] ولا يطعن عليه الا مبتدع يرى راينا
فاسدا اوتوهم انه اذا قبل ذلك لم يسل [illegible] الله عز وجل لخلقه وقد قلنا ان
لاطريق لاحد الى انكار اكثر من اجل ما يتوهم به من الفساد ما معنى مسنده وانما نتطرق
على ابطاله بما يرجع الى سنده بكونه منقطعا او بان راويه مجهول العدالة او مجروح ظاهر
الامر فى الكذب فاما ما يتوهم مبتدع فساد رايه ونقص معرفته ان ذلك يودى
الى الكذب مما لا يليق بالله سبحانه فلن يبطل اكثر بمثل ولا يبقى الا الكشف عن فساد ما يتوهم
وابانه وجهه على الصحيح من حيث لا يودى الى تشبيه ولا الى تعطيل والقسم الثانى
من هذه الاخبار ما رواه بعض دون بعض وانتشر ذلك عن انه لا يظهر جرح مسنده ولا
ينكشف حال الناقلين له الا عن عدالة فسبيل ذلك القبول ويكون درجة دون
الدرجه الاولى فمن ذلك ما روى فى الحديث ان الرحم من لفظ الرحمن وان الجبار
يضع قدمه فى النار وان الله يحمل السموات على اصبع والارضين على اصبع والقسم
الثالث من اقسام هذه الاخبار ما اختلف اهل النقل فى صحته وثقافة ناقليه فمن صح له
نقلا ونظر عن عليه فمن ذلك ما روى عنه صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى
خلق ادم على صورة الرحمن باطها والرحمن من ذكر ما روى عكرمه عن ابن عباس عن

النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رايت ربى عز وجل على صفات ذكرها فى الخبر ودلك ان اهل
الجرح والتعديل من اهل النقل مختلفون فى عدالة عكرمه فمنهم من جرحه ومنهم من
عدله وهذا القسم من هذه الاخبار ردون الدرجه الثالثه وكلاهما ما يشتغل
بنا ولها وابانه وجوهها وتخريجها الا حال ان بعض اهل النقل قد صح استظهارا بالحجج
2 دفع دعاوى المبتدع وابانه خطاه والمعطل القسم الاخير من هذه الاخبار
ما اجمع اهل النقل على سقوطه وجرح رواته وان وجوها يصح الكذب رواتها ويدلها
على بطلانها ودلك نحو ما روى جابر عن [illegible] يوم ان اعرابيا جاء الى النبى
صلى الله عليه وسلم فقال لم [illegible] ربنا عز وجل فاذا الحديث وكتب حديث المجالد والقصص
وما دلس صاحب الاغانى [illegible] من الطعن [illegible] هذه الاحاديث الى اجماع اهل
النقل على فسادها وسقوطها فهذا النوع لا معنى للاشتغال بتاويله وتخريجه لاجماع الكل
على فساده واعلم انه ليس يخلو جميع هذه الاخبار من هذه الاقسام التى ذكرناها
فما كان له طريق يصح من جهة النقل فالاشتغال بتاويله اوجب وسنكشف عما جرى المجرى
منها وتوضح معانيها على الوجه الصحيح الذى يشهد به اللغة ولا يدفعه العقل ولا يقتضى تشبيها
ولا يودى فى وصف الرب عز وجل بما لا يليق به مما ذكرناه فى مقدمة كتابنا لما تقرر
ان دلالة السمع لا تنقض دلالة العقل وان دلالة العقل تقتضى كون القديم سبحانه على
الاوصاف التى ذكرناها وان [illegible] صفته بخلاف ذلك يودى الى تشبيه وتعطيل ولا
سبيل الى ذلك فعلم ان ما [illegible] ومرتب على دلائل العقول ليجمع بين الدليلين
ويوفق بين الحقين ويدفع به طعن الطاعنين وانكار المنكرين على النصوص الذى يشهد
به دلائل العقول والسمع لشائع الاصول المهده والقوانين المقرره وسبحان يديم
على الترتيب الذى رسمناه ولا فاولا ان شاء الله عز وجل [illegible] اخر
فان قال قائل فاذا [illegible] من هذه الاخبار لا يوجب العلم وانما يعمل بمقتضى عمل فيه

والقطع على نصه فى اجزاء الواجبات

اذا تضمن علاوة على الشرط الذي يقبلون عليه اخبار الاحاد اذا وردت ثم ان ما
يطلق على الله عز وجل من الاسماء والاوصاف فذلك مما يقتضي الاعتقاد له على ذلك الوجه
فكيف تحريكم لهذه الاخبار وما وجه استشعاركم بترتيبها وتصحيح معانيها في اوصافه عز وجل
فالجواب ان انا اذا ذكرنا اقسام هذه الاخبار وحكمها ما نقول انها تؤدي الى العلم
مكتسب واعتقاد حاصل طريق القطع لاحد [illegible] نظر السامع فيه الى العلم بما
يسبق من اجابة القوائم والتسليم الذي اجمعت عليه الامة
مقطوع به معتقد صحته ويعلم ذلك بنوع من النظر والاستدلال وأصل ذلك
خبر الرسول صلى الله عليه وسلم انه يؤدي الى علم ملتبس لما تعرفه منه وذلك نحو
ما روي من هذه الاخبار مما استفاض واشتهر عند اهل العلم ولم يوجد له
مدافع ولا دافع وذلك نظير ما روي من اخبار السهو في الركعة وبعد العشرة في ما في
درهم خمسة دراهم وفي خمس من الابل شاة ومن ذلك اخبار الرؤية والشفاعة
وطواف آدم على صورته ونزول الماء النبأ في البيع وما جرى مجراه فهذا النوع يؤدي
الى علم مكتسب واعتقاد لصحة نحو الاعتقاد لما ذكرنا من اخبار السهو وما جرى مجراه مما
لم يبلغ درجة التواتر في القطع بها ووقوع العلم الضروري للسامع عنه وارتفعت درجته
عن درجة اخبار الاحاد وهي القسم الوسطى من اقسام الاخبار لانها تواتر ومستفيض
واحاد واما ما كان من نوع الاحاد مما صحت الحجة به من طرق وثاقة النقلة وعدالة الرواة
واتصال نقلهم فان ذلك وان لم يوجب العلم والقطع فانه يقتضي غالب الظن ويخبر حتى
يصح ان يحكم انه مما ثبت به اخبار الآحاد دون المستحيل المستنكر واذا كانت ثمرة ما جرى
هذا المجرى من الاخبار ما ذكرناه فقد حصلت به فائدة عظيمة لا يمكن التوصل اليها
الا به وهذا يقتضي ان يكون الاشتغال بها واضحا وجهه مرتبا على ما يصح ويجوز
ان يراد به عند من يحمله على الوجه الذي بيناه وترتب من غير اقتضاء تشبيه او

اضافة ما لا يليق بالله عز وجل ذكر اليه فعلى ذلك يجري مراتب هذه الاخبار وطرقها وبالله
فاعلم ان شاء الله تعالى

وموحديث الصورة وبيان تأويله فمن اقسام المرتبة الاولى من هذه الاخبار ما يدخل في باب
المستفيض الذي تلقاه اهل النقل بالقبول ولم يكن فيهم منكر وموحديث الصورة وقد
روي ذلك على وجهين بعض الالفاظ وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل خلق آدم
على صورته ولا خلاف بين اهل النقل في صحة ذلك وقد روي ايضا ان الله عز وجل خلق آدم على
صورة الرحمن واكثر اهل النقل على انكار ذلك وهو انه غلط وقع من طريق الراوي وقال بعض
النقلة قولهم ان الهاء ترجع الى الله تعالى فنقل على المعنى على ما كان عندي في ان الكناية ترجع الى
الله سبحانه وقد روي في بعض احاديث عكرمة عن ابن عباس وفي حديث ام الطفيل وغيرهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم اطلاق لفظ الصورة على وجه آخر وهو قوله صلى الله عليه وسلم
رأيت ربي في احسن صورة فاما قوله صلى الله عليه وسلم
فاما قوله صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم على صورته فقد تأوله المتأولون من اهل العلم على وجوه
كثيرة سنذكرها ثم نزيد فيها ما وقع لنا في ذلك وبما يوافقها وبالله وبين خطأ من ذهب عن وجه
الصواب في ذلك فاظهر وجوه التأويل في ذلك ما قيل ان هذا انما خرج على سبب وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم مر برجل يضرب ابنه او عبده في وجهه لطما وتقول قبح الله وجهك ووجه
من اشبه وجهك فقال صلى الله عليه وسلم اذا ضرب احدكم ابنه او عبده فليتق الوجه
فان الله خلق آدم على صورته وقد نقل الينا قولان هذه القصة مع هذا اللفظ من الطرق
الصحيحة وانما ينزل بعض الرواة بعض الخبر اختصارا واقتصارا على ما يدرك منه الدلالة
على ما خرج واذا كانت القصة عند مشهورة مضبوطة بنقل الاثبات لان اكثر الفرض عندهم
الاسانيد دون المتون فلذلك ترك بعضهم ذكر السبب فيه فالاولى ان يحمل المختصر من ذلك
على المفسر حتى يزول الاشكال وانما قال له صلى الله عليه وسلم ذلك لانه سمعه يقول قبح

الله وجهك ووجه من اشبه وجهك ذكر بعض الانبياء والموضع فزجره عن ذلك وخص آدم
عليه السلام بالذكر لانه هو الذي ابتدئ خلقه وجهه على الحد الذي يختص به عليها من بعده
كانه ينبهه على انك قد سببت اجمع ومن ولده مبالغة في الردع له عن مثله واذا كان ذلك
فهذا وجه ظاهر والآية كاية عن الضرب في وجهه ولا شبهة فيه والوجه
عاما وله عليه الناس ان الكناية في قوله صورته يرجع الى آدم عليه السلام وذلك ينقسم على وجهين
احدهما ان يكون معناه وفايدته تعريفنا اتمام نعمة الله تعالى على ابينا آدم عليه السلام
لما فضله بان خلقه بيده واسكنه جنته وامر الملايكة بالسجود له وعلم ما لم يعلم احدا قبله من
الاسماء والصفات ثم عصاه وخالفه ثم تعاقبه على ذلك بسائر ما عاقبه الى ان لفظه الى الارض
وذلك انه روي في الخبر انه اخرج معه الحية والطاووس فعاقب الحية بان
شوه خلقتها وسلبها قوائمها وجعل اكلها من التراب وشوه رجل الطاووس ولم يشوه
خلقة آدم عليه السلام بل انقى له حسن الصورة ولم يحل عقوبته في ذلك فعرفنا النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك ان اباكم آدم كان على الصورة التي كان عليها في الدنيا لم يغيره الله خلقته
ويكون فايدة ذلك تعريفنا الفرق بينه وبين سايرمن اخرجه من الجنة معه وابانته له
منهم في الرتبة والدرجة وهذه فايدة لا يمكن الوقوف عليها الا بخبر الصادق والوجه
الثاني من ذلك اذا قلنا ان الضمير في صورته يرجع الى آدم عليه السلام فسبيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
افادنا بذلك ابطال قول اهل الدهر انه لم يكن انسان الا من نطفة ولا نطفة الا من انسان فيما
مضى وبان ويصير كذلك اولا واخرا وان الناس انما يتناسلون من نشوا على ترتيب
معتاد وان ذلك اذا كان كذلك فعرفنا صلى الله عليه وسلم تكذيبهم وان اول النشو هو آدم
عليه السلام خلق على صورته التي كان عليها في الدنيا وعلى الهيئة التي شوهد عليها من غير ان كان
عن نطفة قبله او عن تناسل او تنقل من صغر الى كبر كالمعهود من احوال اولاده فاكذبهم الله
عليه دلايل العقول من كون هذا العالم اذا ابتدأ وانتهى افاده به ما لا يوصل اليه الا بالسمع ان

الاصل الذي منه تولد الانام ليس في شيء من خلقه وصوره شيء
الله عز وجل من عصب كالتي ركبت من روح وبدن فتصير بذلك حية
مضغة ولا فيه شيء من خطوط مختلفة كالتي في صور
من وجوه هذا التأويل الرجوع الى قول من ذهب الى ان الضمير في قوله صورته يرجع الى
آدم عليه السلام والمعنى ان الله سبحانه خلق آدم على الصورة التي كان عليها من غير تدريج
حادثا مبتدأ وشيء منه على توسط حصوله شيئا بعد شيء كما يطرأ على ولد الانسان
ان بعض ما كان عليه آدم من هيئة وصورة لم يخلقه الله عز وجل وانما كان ذلك من فعل الطبيعة وتأثير
الفلك فنبه بذلك على ان الله سبحانه هو المخلق لآدم عليه السلام على ما كان عليه من الصورة والهيئة
والصفات لم يشاركه في خلق صورة من صوره ولا هيئة من هيئاته احد سواه وتستند بذلك
بطلان قول من قال بتوليد الطبع والعادة وتأثير الفلك وتعريف النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكرناه
على من شاركه من المخلوقات في معناه وهذه حكمته للعرب في تنقيص آدم عليه السلام على
الادنى فاذا علم ان صوره آدم وتركيبه وهيئته خلق الله عز وجل عليها
المصورات من الاولاد وغيرهم حكما كذلك دون ما يعقبهم من التغير والنقص شاهد بين
الناس والفايدة في تعريف صورة آدم عليه السلام كذا هذه عن الطاعنين
من زعم انها كانت على هيئة اخرى كما روي انها نقصت ذراعا من ذكر طوله وقامته وذلك
مما لا يثبت به اذ ليس اذا ذلك خبر صحيح ولا المعول منه على كعب ووهب ومن حذا حذوهما
ولا شيء من ذلك ولم يثبت من جهة اخرى انه كانت خلقة آدم عليه السلام على خلاف هذه
الخلقة على الحد الزايد الذي يخرج عن المعهود من معارف خلق البشر
وتاويل ذلك ان تكون الهاء كناية لله عز وجل وهذا ضعيف لوجوه من قبل ان
اقرب المذكورين الا ان يدل دليل على خلاف ذلك ومنها ان
ان يكون معنى الصورة ههنا معنى الصفة كما تقول في صورة هذا الامر كذا

الله وجهك ووجه من اشبه وجهك وذلك سبب الابناء والمومنين فزجره عن ذلك وخص ادم
عليه السلام بالذكر لانه هو الذي ابتديت خلقته وجهه على الحد الذي تحيد عنها من بعده
كانه نبهه على انك قد شبهت ادم ومن ولده مبالغة في الردع له عن مثله واذا كان ذلك
فهذا وجه ظاهر والهاء كناية عن المضروب في وجهه ولا شبهة فيه والوجه الاخر
مما ماله عليه الناس ان الكناية في صورته ترجع الى ادم عليه السلام وذلك ينقسم على وجوه
احدها ان يكون معناه وفايدته تعريفنا اتمام نعمة الله تعالى على ابينا ادم عليه السلام
لما فضله بان خلقه بيده واسكنه جنته وسجد له ملايكته وعلم ما لم يعلم احدا قبله من
الاسماء والصفات ثم عصاه وخالف فلم يعاقبه على ذلك بسبب ما عاد به الى العين له في نحو
وذكر انه روي في الخبر انه اخرج معه الحية والطاووس فعاقب الحية بان
شوه خلقتها وسلبها قوايمها وجعل اكلها من التراب وشوه رجل الطاووس ولم يشوه
خلقة ادم عليه السلام بل ابقى له حسن الصورة ولم يحل عقوبته في ذلك فعرفنا النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك ان ابا كم ادم كان في الجنة على الصورة التي كان عليها في الدنيا لم يغيره الله عن خلقته
ويكون فايدة ذلك تعريفنا للفرق بينه وبين سايرمن اخرجه من الجنة معه وابانته له
منهم في الرتبة والدرجة وهذه فايدة لا يمكن الوقوف عليها الا بخبر الصادق والوجه
الثاني من ذلك اذا قلنا ان الهاء ترجع الى ادم عليه السلام فسببه ان النبي صلى الله عليه وسلم
افادنا بذلك ابطال قول اهل الدهر انه لم يكن انسان الا من نطفة ولا نطفة الا من انسان فيما
مضى وبان وليس كذلك اول ولا اخر وان الناس انما يتناسلون من بشر الى بشر على ترتيب
معتاد وان ذلك اذا كان كذلك فعرفنا صلى الله عليه وسلم تكذيبهم وان اول البشر هو ادم
عليه السلام خلق على صورته التي كان عليها في الدنيا وهي الصورة التي تشوهد عليها من غير ان كان
عن نطفة قبله او عن تناسل او تنقل من صغر الى كبر كما لمعهود من احوال اولاده فاكد ما دلت
عليه دلايل العقول من كون هذا العالم اذا ابتدا وانشاه افاد به ما لا يوصل اليه الا بالسمع ان

الاصل الذي منه توالدنا لم يكن عن توالد قبله بل خلق كما كان عليه وهو ادم عليه السلام خلقه
الله عز وجل من صلصال كالفخار ثم خلق فيه الروح ولم يكن فظ في صلب ولا رحم ولا كان علقة ولا
مضغة ولا طفلا ولا مراهقا بل خلق ابتداء بشرا سويا كما تشوهد مولدا

الوجه

من وجوه هذا الباب يرجع الهاء الى ادم عليه السلام على ما ذهب اليه بعضهم في نحو وما وهو انه
اقادنا صلى الله عليه وسلم بذلك ان الله عز وجل خلق ادم على الصورة التي كان عليها من غير ان كان ذلك
حادثا منه او شيء من توليد عنصر او تاثير طبع او فلك او ليل او نهار ابطالا لقول الطبايعيين
ان بعض ما كان عليه ادم من هيئته وصورته لم يخلقه الله عز وجل ابتداء كان ذلك من فعل الطبع او تاثير
الفلك فنبه بذلك على ان الله تبارك هو الخالق لادم عليه السلام على ما كان فيه من الصوره والتركيب
والهيات لم يشاركه في خلق صورة من صورته او هيئة من هياته احد سواه فاستفدنا بذلك
بطلان قول من قال بتوليد الطبع وايجابه وتاثير الفلك وتغيره وخص ادم عليه السلام بالذكر تنبيها
على من شاركه من المخلوقات في معنا وهذه طريقة للعرب في التفهيم تذكرا على ما في الباب للدلالة على
الادنى فاذا علم ان صوره ادم وتركيبه وهياته لم يخلقها احد الا الله عز وجل علم ان سايرَ
المصورات من الاولاد وغيرهم حكمها كذلك وقال بعضهم الهاء ترجع الى بعض المشاهدين من
الناس والفايدة في الخبر تعريف ان صوره ادم عليه السلام كانت كهذه الصور ابطالا لقول
من زعم انها كانت على هيئة اخرى كما روي في بعض الروايات من ذكر طوله وقامته وذلك
مما لا يوثق به اذ ليس في ذلك خبر صحيح وانما المعول فيه مثله على كعب او وهب من احاديث القرون
ولا ثقة بشيء من ذلك ولم يثبت من وجه اخر انه قد كانت خلقة ادم عليه السلام على ما في هذه
الخلقة على الحد الزايد الذي يخرج عن المعهود من متعارف خلق البشر

وتعالى

وجه

وتاويل ذلك ان تكون الهاء كناية لله عز وجل وهذا اضعف الوجهين من قبل ان الهاء ترجع الى
اقرب المذكور الا ان يدل دلالة على خلاف ذلك فاذا قلنا هذا احتمل وجهان احدهما
ان يكون معنى الصورة ههنا معنى الصفة كما يقال عرفني صورة هذا الامر اي صفته ولا صورة

للامر على الحقيقة الا على معنى الصفة ويكون تقدير القائل قيل فيه ان الله خلق ادم على صفته وذلك ان
المخلوقات قسمان قسم منها جماد وبهائم والنامي نوعان حيوان وما ليس بحيوان والحيوان على نوعين
ناس وبهائم سوى الجن والملائكة ثم لم يشرف شيء من المخلوقات شيء شرف الانسان بالاضافة
الى النامي والجماد والبهائم ولم يشرف نوع الحيوان الناطق احد شرف الانبياء عليهم السلام وذلك
ان نوعا من العقلاء من الحيوان كالجن والملائكة والانس خص بالعقل والنطق وشرفوا به وذلك من خصال
كمال العقل ثم لما كان اكمل الاشياء نعتا واتمها رفعة وتنقيطا هو الله جل ذكره وكان الى العالم
القدير السميع البصير المتكلم المريد وذلك لعظيم عظمته وعزة جلاله خلق ادم عليه
السلام على صفة ما في صفات العقلاء حيا عالما قادرا سميعا بصيرا متكلما مختارا مريدا
فميز من الجماد والنامي بما ميز فيه من الروح وميز من البهائم بما ركب فيه من العقل والنطق وميزه
من جنسه في وقته بان سواه وارسله وميز من الانام بان قدمه عليهم واتجدهم له وجعلهم تلاميذه
واسرهم بان يتعلم منه فحصلت له رتب الجلال والعظمة بما نوعهم الله عز وجل بان حصل مسجودا
له مختصا بالعلم بما لا شيء وكله فمن اجل هذه الصفات وفي صفات التعالي من
سائر العالمين والمخلوقين ما وقفنه فعرفنا صلى الله عليه وسلم بذلك اسباغ نعم الله عليه وتشريفه
اياه بخصال التعالي مما هي صفات الله عز وجل على الاختصاص

من قولنا ان الهاء ترجع الى الله تعالى وهو ان تعلم ان طرق الاضافات الى الله تعالى وطرق
التخصيص فيها وذلك ان الاشياء ما يضاف الى الله سبحانه من طريق انه فعله كما يقال خلق
الله وارض الله وسماء الله وقد يضاف مثل هذه الاضافة على معنى الملك فيقال رزق
الله وعبد الله وقد يقال على معنى الاختصاص من طريق التنويه بذكر المضاف اذا
خص بالاضافة اليه وذلك نحو قولهم تعالى ناقة الله فانها اضافة تخصيص وتشريف تفيد
التحذير والردع عن التعرض لها ومن ذلك قوله عز وجل ونفخت فيه من روحي وهو قليل
لكعبة بيت الله تخصيصا بالذكر في الاضافة اليه تشريفا وهو كقوله ايضا في اضافة الم
منبئ

الى نفسه بلفظ العبودية في قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى اخر
صفاتهم وقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان [illegible] من الاضافة كنحو
قولك كلام الله وعلم الله وقدرة الله وهي اضافة اختصاص منظر ما تقدم به كما يقال
في اضافة العرض الى المحل وما لا يقوم بنفسه الى ما يقوم بنفسه وليس ذلك من جهة
الملك والفعل والتشريف بل ذلك على معنى ان ذاته عظيمة متعرية منه قائما بها وجودا ثم
نظرنا في اضافة الصورة الى الله تعالى فلم يصح ان يكون وجه اضافتها اليه على نحو اضافة
الصفة الى الموصوف بها من حيث يقوم به لاستحالة ان تقوم بذاته عز وجل حادث بوجه
لا صورة ولا تاليف ولا عين لان ما قام بذاته من ذلك اوصاف لم تزل عنه ما لم يقم
به وذلك يمنع ان يكون عنه وقد تصورها وذلك محال فبقي من وجوه الاضافات الملك والفعل
والتشريف فاما الملك والفعل فوجهه عام وشمل فائدة التخصيص فبقي انها اضافة تشريف
وطريق ذلك ان الله عز وجل هو الذي ابتدا تصوير ادم لا على مثال سبق بل اخترعه اختراعا
ثم اخترع من بعد على مثاله فشرفت صورته بالاضافة اليه من حيث كانت مخصوصا بها
على هذا الوجه ثم سائر وجوه الشرف مما خص به ادم عليه السلام من فضائل ما ذكرنا بعضه
واعلم انا اذا قلنا ان الهاء ترجع الى الله عز وجل في قوله عليه السلام على صورته على بعض
المعاني التي ذكرنا فان ويل ما يروى من هذا الخبر على اظهار الرحمن بعد ذكر الصورة على ما فيه
من الضعف والعلة عند اهل النقل فانه يكون محمولا على ما ذكرناه واذا قلنا ان الهاء ترجع
الى الله عز وجل وقد انكر بعضهم اجراء صحة هذه اللفظة من طريق العربية وقال لا يجوز
في اللغة ان يقال شتمت وكان المراد ذلك لكان ان يقال ان ادم خلق على صورة الرحمن دون
ان يقال ان الله خلق على صورة الرحمن لان ما تقدم ذكره بالاسم الظاهر فانه اذا اعيد
ذكره كني عنه بالهاء عن اعادة اسمه الظاهر كقولك ان زيدا ضربت عبده زيدا والمراد
بزيد الثاني هو المراد بزيد الاول قالوا واذا لم يكن ذلك سائغا في كلام العربية قولا ثابتا من

ادم ح

وذا يقال ان زيدا ضرب
شبيه زيد فيه ح

حجة النقل لم يكن الاشتغال به وجه ومن اصحابنا من قال ان هذا ليس مما يمكن ان يدفع به هذا
الخبر على هذا الوجه وانما طريق دفع ذلك من جهة النقل اما رواته لان مثله قد يصح في العربية
وقد وردت بذلك اشعار العرب فمن ذلك قول عدي بن زيد العبادي

لا ارى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

فاعاد ذكر الموت بلفظه ولم يكن كنى عنه بالهاء ولم يقل لا ارى الموت يسبقه شيء ومثله
في القرآن يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ولم يقل الينا او اليه قال واذا كان مثله شائعا
لم يكن لانكاره من هذا الوجه معنى دون ان يقال ان الاثبات من اصل النقل لم يروه على
هذا الوجه بل كلهم اجمعوا على نقله على صورته بالهاء كناية لاظهار او ذلك محتمل
للوجوه التي ذكرناها ان رجع به الى المذكور المحتمل وهو الاقرب وان رجع به الى المعروف على
ما روي من السبب فيه سعد فظاهر ايضا وان رجع به الى الله تعالى وهو الابعد كان
طريقا ويما ما بيناه لانه اريد به صون الله عز وجل عن التحيز وهو بها مصور
ومتصور لان الصورة في التاليف والهيئة وذلك لا يصح الا على الاجزاء المولفة والاجسام
المركبة وقد تعالى الله عز وجل عن ذلك ان يكون جسما او جوهرا او مصورا او مولفا
او مركبا ومن اصحابنا من قال ان الهاء ترجع الى الادم ويكون معناه وفاية تكذيب
القدرية لما زعمت ان من صور ادم وصفاته ما لم يخلقه الله تعالى عز وجل ومنها
ما خلقها ادم لنفسه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم وان الله عز وجل خلق آدم
على جميع صورته وصفاته ومعانيه واعراضه ومثاني الكلام ان يعارض في هذا
الاخير بقول صورتم اذا اردت ان يعرفكه على الاستيناف والاستقصاء دون
الاستيناف وكما افاد ذا صاد عليهم بذلك تكذيب الطاعنين بان بعض هيات
البشر من توليد الطبع وما يجا ذلك تكذيب القدرية حيث زعموا ان من
معاني آدم واعراضه وكثير من هيآته لم يخلقه الله عز وجل وانما خلقه آدم وابدعه

هو من دون الله سبحانه ووجه آخر مما يحمل عليه هذا الخبر اذا قلنا ان الهاء ترجع الى الادم
وهو ان يكون معناه اشارة الى ما نقول على اصولنا ان الله خلق السعيد سعيدا والشقي
شقيا قبل ان خلق آدم وقد علم انه يعصي ويخالف امره وكتب ذلك عليه قبل ان خلقه عرفا على
الله عليه ما سبق من قضائه وامضاه عليه وانه جل وعز خلقه على ما علم واراد ان يكون
عليه وشهد لذلك حديث محاجة موسى آدم عليهما السلام لما قال موسى لآدم انت الذي
خلقك الله بيده واسجد لك ملائكته واسكنك جنته ثم عصيته وخالفت
امره فقال له آدم عليه السلام اكنت تجد ذلك شيئا مني او امرا كتبه الله علي قبل ان يخلقني فقال موسى
بل وجدت ما كتبه عليك قبل ان خلقك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى ثلاثا
فدلنا عليه السلام بقوله ان الله خلق آدم على صورته على مثل هذا المعنى وانه خلقه من سبق
العلم بحاله انه يعصي ثم يتوب فيتوب الله عليه تنبيها على وجوب جريان قضاء الله على خلقه
وانه انما تحدث الامور وتتغير الاحوال على حسب ما يخلق عليه المرء ويقدره له وهذا مما
تاييد لما مضى في اضافة تقدير الامور كلها الى الله تعالى [illegible] واعلم ان بعض
المتكلمين في تاويل هذا الخبر وهو عبد الله بن مسلم بن قتيبة جاد عن وجه الصواب سلك
طريق الخطاء والمحال فيه توهمه انه تمسك بظاهره غير ناظر له فقال ان الله عز وجل
صوره لا كالصور كما انه شيء لا كالاشياء فاثبت لله سبحانه صورة قد نفيه زعم انها لا كالصور
وان الله جل ذكره خلق آدم على تلك الصورة وهذا جهل من قائله وزلل ما شيبه الله تعالى
بخلقه والعجب منه انه تاول الخبر ثم زعم ان الله صوره لا كالصور ثم قال ان آدم مخلوق على
تلك الصورة وهذا كلام متناقض يدفع اوله اخره ودعواه في قوله لا كالصور تنقض
قوله ان الله خلق آدم عليها لان المفهوم من قول القائل فعلت هذا على صورة هذا اني مماثلته
به واحتديت في فعلي به وهذا يوجب ان صورة آدم كصورته جل ثناؤه ويمتنع تاويله
ان له صورة لا كالصور ولست اشعر الى اي وجه ذهب في اضافة الصورة الى الله عز وجل

اراد به اثبات الرب سبحانه وتعالى مصورا بصورة لاتشبه الصور واثبات ه مصورا بامثال
هذه الصور ام اراد به ان له هيئة مخصوصة وصورة معينة معلومة ام رجع بذلك الى
اثبات صفة له سماها صورة لاعلى معنى للصور والتاليف وليس يخلو اما ذهب اليه من
هذه الاقسام وكل ذلك فاسد لا يليق بالله عز وجل لاقتضاء ان يكون مولفا مركبا ذا
جيد وتهايه وبعض وغاية وكل ذلك يودي الى القول بتشبيه تعالى وقد مينا وجه فساد
قول من اعتل بجاز ذكر على صفة طويلة اليد والعين للجواد الكريم من
غير ان يحمل على حد واحد مما ذكرناه من الوجوه التي ينقسم اليها مذهب هذا القايل وقد
بان خطاوه وعدوله عن وجه الصواب في ما وقع فاما ما روي في غير
هذا الخبر من ذكر الصورة كخبر حبيب ابن عباس وام الطفيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال رايت ربي في احسن صورة وان طريق صحة ذلك على الوجه الذي يصح لا يخلو من
احد وجهين احدهما ان يكون قوله في احسن صورة يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
ويكون المعنى رايت ربي وانا في احسن صورة كما يقول القايل رايت الامير في احسن
زي ومراى وانا في احسن زي ويكون فايدة ذلك تعريفنا ان الله عز وجل زين
خلقته وجمل صورته عند رويته لربه عز وجل زيادة اكرام وتعظيم ويحتمل ان يكون
معنى الصورة معنى الصفة كقول القايل صورة هذا الامر كذا وكذا اي صفته كذا
فيكون الفايدة على هذا الوجه فيه الاخبار عن حسن حاله عند الله عز وجل وتوفير
الرب عليه انعامه واعظامه ويدل ان الراي قد يسمى المرئي ويكون بمعنى له
الراي عند المرئي بحمد فيتلقا المرئي بالاكرام والاجلال وقد يكون بخلاف ذلك
فيتلقاه المرئي بخلاف فعرفنا عليه السلام وجود فوايده وحصول فوايده عند
لقاء الله عز وجل وانه كان عند في احسن صفة واحمد حال والوجه الثاني
ان يكون الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله عز وجل ويكون قول القايل رايت

الامر راكما يحتمل معنيين احدهما ان يكون الراكب حال الراي والثاني ان يكون الركوب
حال المرئي وكذلك الوجهين سايغ محتمل فاذا قلنا ان قوله في احسن صورة يرجع الى الله
عز وجل فان فايدته على نحو ما ذكرناه ايضا قبل وهو تعريفنا انه راى الله سبحانه
وهو على احسن صفاته معه في الانعام عليه والاقبال والافضال اليه والاجلال
ويكون احسن الصفة ترجع الى حسن الاحسان والاكرام وما يليقه به من الرحمة والرضوا
والجود والامتنان وقد تقال صفة الله عز وجل انه جميل وان له جمالا وجلالا والمراد
بوصفه له انه جميل انه مجمل في افعاله والاجمال في الفعل هو فعل الجميل الذي يحمد به
وذلك نوع الاكرام والاحسان فكذلك حسن صفة الله ترجع الى ما ظهر منه من فعل النعم
والابتداء بالخير وقد تكون حسن الصفة وجمالها ما يرجع الى الرب عز وجل اليه من قبل التعا
في العظمة والكبرياء والعلو والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الخبر على ذلك
تعريفنا ما تزايدت من معارفه صلى الله عليه عند رويته لربه جل ذكره لعظمته
وعزته وكبريايه وبهايه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه من صفات النقص وتقد
من كل عيب واذا كان كذلك فحمل الخبر على احد هذه الوجوه هو الا ليق بتوحيد الله
والاولى بصفاته وبقوله عز وجل ليس كمثله شي وهو السميع البصير وفعل
اخر وقد ذكر بعض المتاولين لهذه الاخبار تاويل ما روي عنه عليه السلام في قوله
رايت ربي في احسن صورة ان ذلك كان رويا منام وقد ذكر في حديث ام الطفيل
حديث المنام نفسا وفي بعض احاديث عن ابن عباس قال واذا كان ذلك مضبوطا
فقد زال الشك فيه وان لم يكن مضبوطا فان الخبر فيه محمول على ذلك وهو ان الجميع
من مستبني الرويه ونقلها فقد قالوا بجواز رويته الله عز وجل في المنام وقالوا ان
رويا القوم وهم قد جعل الله دلالة للراي على امر يكون وكان من طريق التعبير
والاوهام قد يتعلق بالموهوم على خلاف ما عليه الموهوم فلا ينكر ان يقال شيا فيه

من طريق الرويا لانه سبحانه يمتنع ذلك لاوصاف التي تعلق بها الرويا يمتنع وذلك معروف مثل
في احوال الرويا ان الرائي قد يرى في المنام ما لا يكون على ما يراه كمن يرى في المنام انه يطير
او كانه قد انقلب حمارا او هو في موضع آخر غير الموضع الذي هو فيه فيكون ذلك توهما منه
لا رويته حقيقة وقد يصح مثل هذا على الانبياء والاولياء وقد وردت الاخبار برويا الانبيا
عليهم السلام والصالحين انهم راوا في منامهم اشياء كانت احكامها بخلاف ما راوها
وصح ذلك لانها اوهام تجري مجرى الدلالات باختلاف طرق التاويلات وقد ذكر بعض
اصحاب التعبير ذلك في كتبهم الموضوعة لذلك وعبروا ذلك بناء وما ذكروا ايضا من
رويا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام او رؤى القيامة والجنة او النار في سائر ما
يرى في المنام مما له تعبير قال واذا كان ذلك سائغا وقد ذكر بعض الرواة وجب
ان يكون التاويل محمولا عليه لاستحالة كون الباري سبحانه متصورا بالصورة والهيئة والتركيب
والحد والنهاية وقد تطور بعض المتكلفين في ذلك تصانيف وفسروا اللفظ المسموع الى ان ضبط
ولم ينقل تعسفا في التاويل فقال انما اتوهم ربي بكسر الراء وهو اسم لعبد كان لعثمان بن
عفان رضي الله عنه راه النبي صلى الله عليه وسلم في النوم على تلك الصفات وهذا غلط
لان التاويل والتخريج انما يكون في سموع مضبوط منقول ولم يثبت سماع ذلك على هذا الوجه
ولا حاجة الى مثل هذا التعسف مع اتساع طرق التاويل على بعض الوجوه التي ذكرنا
وذكر بعضهم ان المراد بقوله ربي على التصحيف والرائي هو من التابعين
الحبر قال ولا يمتنع ان يكون الحبر متصورا ببعض هذه الصور وهذا تعسف لاجل
ان القول بالتصحيف انما يصار اليه عند عليه اذا دل بعض الاثبات ذلك على هذا
الوجه مسموعا مضبوطا ولم يمكن ان يحمل على خبر وعلى حال من مختلفين كيف ولم ينقل ذلك على
هذا الوجه ولم يثبت انه كان الاصل على هذا الحد وانما وقع التصحيف من بعض الناقلة ولا حاجة
تدعوا الى دعوى تصحيف على من ضبط ما سمع فنقل لاجل توهم او تعذر في تخريج معناه على

الوجه الصحيح فيبطل ذلك ايضا وجميع ما ذكرنا من تلك الوجوه اقرب الى الصواب والحق بالحكم
الباب ما ذكروه للتعسفون [illegible]
ما فيه ذكر الصورة وهو ما روى بعض الرواة عن النبي صلى الله عليه وسلم واظنه ثوبان
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني ربي في احسن صورة قال محمد بن شجاع
البلخي في تخريج هذا الخبر ان صح هذا الخبر فهو اولا معلول من طريق الرواية وذكر انه رواه ابو يحيى
عن زيد عن ابي سلام وابو يحيى ضعيف قال واصح ما يمكن ان يكون له من المعنى ان يقال
ربي ما احسن صورة ويكون القائل هو الله تعالى ذكره فيما روى عن ابن عباس في تاويل
قوله عز وجل هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام يعني بفعل الصنع ظلم واذا كان
ذلك سائغا في اللغة لم ينكر ان يكون المعنى فيه ان الله جل ذكره اراد ملكا من الملائكة في احسن
صورة ويكون قوله اتاني ربي في احسن صورة محمولا على ان معناه اتاني ربي باحسن صورة
ويكون ما ذكر الآتي به فعلمني له واظهرها له حتى راه ونظير ذلك قوله تعالى فاتى الله بنيانهم
من القواعد وذلك باطلها فعل وايجاد تدبير لا على معنى نقلة وتحويل قال محمد بن
شجاع ويحتمل تاويلا اخر وهو ان يكون معنى اتاني في ربي الصور مصدر الها والصور ملك
والله عز وجل فيها بمعنى التدبير لها واعلم ان هذا غلط من محمد بن شجاع وانما تاول ذلك على
مذهبه في قوله ان الله عز وجل هو المكار على معنى انه مدبر لكل مكار ونحن نابى هذا القول
ونحيل ان يقال ان الله جل ثناؤه وذكره مكار على معنى انه مدبر له فلا يسوغ على
اصلنا هذا التاويل من الوجه الذي ذكرناه فاما حديث ابن عباس في بعض زيادات
الفاظ تقتضي تاويلا وتحريجا وذلك ان بعض اصحاب ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رايت ربي في احسن صورة فقال يا محمد قلت لبيك وسعديك فقال فيم يختصم الملا الاعلى
قلت رب لا ادري قال فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما بين المشرق
والمغرب ثم قال يا محمد فيم يختصم الملا الاعلى قلت رب لا ادري قال في الكفارات والمشي
على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء في الشتوات وانتظار الصلوة بعد الصلوة

وظلل من الغمام ان معناه
الا ان ياتيهم الله في

فمن حافظ طهر عاش بخير ومات بخير وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ويعلم ان الذي
يقتضي التاويل من هذا الخبر قوله صلى الله عليه وسلم ووضع كفه بين كتفي وقد روي بين
كتفي فاما تاويل الكف فقد تاوله الناس على وجهين احدهما ان يكون بمعنى القدرة كما
قال القائل هون عليك فان الامور بكف الاله مقاديرها يعني بقدرته تقديرها
وتدل برهان الوجه الثاني ان يكون المراد بالكف النعمة والمنة والرحمة وقد استعملت
العرب لفظ اليد والاصبع والكف في معنى النعمة وذلك سايغ كثير في اللغة وذلك انهم تقول
لي عند فلان اصبح حسن ولي عنده فلان يد بيضاء اي منة كاملة فتكون استعمال الكف
على معنى اليد اذا كان بمعنى النعمة فعلى هذا يكون تاويل الخبر الاخبار عن نعمة الله عز وجل
وفضله ولطفه واقباله عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لم يعرفه وعلمه
ما لم يعلمه واذا قلنا ان المراد به القدرة احتمل ان يكون المعنى اعترافه بالعجز واقراره
بقدرة الله على ما فعل به من العطف واللطف حتى عرف كثيرا مما لم يعرفه فاما قوله
بين كتفي فان كتف الشيء وجهه والمراد به اوصل الى قلبه من لطفه وبره وفوايده وزوايد الانسان
القلب والكتفة هو محل الانوار والعلوم والمعارف وقد روي بين كتفي والمراد بذلك
ما يقال في قول القايل اتاني كف فلان وفي جانبه وفنايه اذا اراد بذلك انه في ظل
نعمته وقد عمته كما قال القايل في الرب تعالى من رحمته وانعامه بملكه وقدرته
حتى عمل [illegible] وفي قوله فوجدت بردها فانه يحتمل ان يكون المعنى برد
النعمة وحلاوتها من قولهم عيش بارد اذا كان رغدا في رفاهيته وسعته
والذي يدل على ان تلك الفوايد زوايد معارف قوله على اثر ذلك فعلمت ما بين المشرق
والمغرب لما نور الله قلبه وشرح صدره وكان ذلك باطنا راثاره وتبيين عن
رحمته وانما حملناه على ذلك لاستحاله وصفه الله عز وجل بالجوارح والالات وذلك
لاستحالة ان يكون ذا بعض او عضو وهذا هو نهاية توحيد ذاته وفرع المعرفة بكون
ذاته شيئا واحدا فاما ما روي ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر

بعد قوله ووضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد انامله في صدري فان تاويل الانامل على معنى
تاويل الاصبع وقد انشد في ذلك اهل اللغة لفلان على اصبع حسن وقال بعض اهل اللغة
ان العرب تقول لفلان على انمله اصبع حسن اذا سمنها واحسن اليها قال الشاعر

ضعف العصي بادي العروق ترى له عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا

اي اثرا حسنا فاذا كان كذلك احتمل ان يكون تاويل الخبر حتى وجدت اثار احسانه ونعمته
وامتنانه ورحمته في صدري فتجلى له عند ذلك علم ما بين السماء والارض رحمة الله
وفضل نعمه وسوقه الخير اليه في ذلك واذا كان ذلك سايغا في اللغة ولا يجوز وصف
الله عز وجل بالجوارح والاعراض كان طريق التاويل فيه ما ذكرناه فاما ما ذكر في
هذا الخبر من قوله صلى الله عليه وسلم فيحتج ربه عز وجل لما قال له فيم يختصم الملا الاعلى
قال لا ادري الى ان قال ووضع كفه بين كتفي الا ان ذكر فعلمت ما بين السماء والارض ثم قال له
عليه السلام فيم يختصم الملا الاعلى قلت لا ادري بعد قوله فعلمت ما بين السماء والارض
فوجه ذلك هو على ما ذكرناه القرآن من قوله عز وجل يوم يحمي الله الرسل فيقول ما
ذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فيكون ذلك منه ومنهم على ترك التعالم
عليه وان يكون مستعملا للادب بحصر من هو اعلم منه لان الواجب مراعاة ذلك
حتى لا يدعي العلم عند من هو اعلم به وعند من علمه ذلك العلم ويحتمل ان يكون قد علم
ما بين المشرق والمغرب بان اري ذلك كما روي في الخبر انه قال صلى الله عليه وسلم
رويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وليس ذلك مما يتعلق بالعلم باحكام
العبادات وما عليها من وجوه الثواب والكرامات جزاء على الطاعات وهو الذي
كشف عنه عز وجل له بعد ما قال لا ادري فاحمل على هذا لم يتناقض الكلام وصح
الجمع بينهما على الترتيب الذي رتبناه ذكر خبر اختلف في الفاظه الصوفية
وهو من الاخبار التي ذكرت في الصحاح رفع الحديث الى ان قال فباتيهم في صورة غير صورته التي

يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جاء ربنا
عرفناه قال فيأتيهم على الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه
وفي بعض الفاظ هذا الخبر انه يقول لهم او تعرفونه اذا رأيتموه فيقولون نعم فيقول بماذا تعرفونه
فيقولون بيننا وبينه علامة اذا رأيناه عرفناه وهذا الخبر مشهور وفيه طول وقصة
ذكرنا منه ما يحتاج الى التأويل ٥ وتأويل ذلك وتخريجه يحتمل وجوها احدها
ان تكون ها هنا بمعنى الباء كما روينا عن ابن عباس في قوله تعالى فظلتم من الغام انه قال
معناه بظلل من الغام واذا كان سبحانه في اللغة ابدال الباء بفي وفي بالباء لم ينكر ان
يكون معنى ها هنا بمعنى الباء وقد سوغ ايضا في الكلام ولا فرق فيه بين ان يقال اكرمه
في المتحرك واكرمه بالمتحرك واذا كان معنى الباء اعم فتقدير على هذا التخريج والتأويل
ان الله عز وجل يأتيهم يوم القيمة بصورته غير صورته التي يعرفونه في الدنيا وفي الاخرة
الاضافة في الصورة اليه من طريق الملك والتدبير كما قال ناقة الله وارضه وبيت الله
وناقة على وجه الملك والفعل لائق على الوجه الذي يليق به فعلوم المعنى لك ان الخلق يعرفون
الله جل وكن في الدنيا بدلالاته المنصوبة وآياته التي ركبها في الصور وهي الاعراض الدالة
على حدث الاجسام واقتضاها محدثها من حيث كانا محدثين فاما الاتيان به فعلى
معنى ظهور فعله منه وهو معنى قوله تعالى فاتى الله بنيانهم من القواعد وقوله تعالى
وجاء ربك وقوله تعالى الرحمن على العرش استوى على احد التأويلين ٥ واما قوله غير
صورته التي يعرفونها فيحتمل ان يكون المعنى في ذلك انه يأتيهم يوم القيمة بصورة على
خلاف تلك الشكل وتلك الهيئة التي كانت الصورة عليها في الدنيا مما يعرفونها ولم يعهدوها
وليس ذلك بمنكر لان عادات اهل القيمة تباين عاداتهم في الاحوال وعجائب الخلق من صور الملائكة
وبانية العذاب وخزنة الجنان مما لم يعهدوها على شكلها وهيئتها في الدنيا فاما قوله تعالى
فيقول انا ربكم فقد قال بعض اهل العلم ان هذا اخر محنه المؤمن وانه يظهر هذا القول لفلا من

الله عز وجل في بعض هذه الصور محنة للمكلفين في الدنيا من اهل الايمان فيظهر منهم
عن صدق توحيدهم وصحة ايمانهم ما يكون انكارا لذلك ويكون الفائدة فيه تعريفنا
تأييد الله لاهل الايمان به في الدنيا وفي الاخرة وتثبيته لهم كما قال عز وجل يثبت
الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة اي يثبتهم في الدنيا
على الحق عند ظهور الغير والمحن ويثبتهم في العقبى ايضا في مواضع المحن وانما قلنا
الدنيا دار محن وتكليف مطلقا وان كان من نوعها قد يقع في العقبى فلا يطلق المحن
عليها انها دار تكليف ومحنة بل يقال انها دار جزاء لان الغالب ذلك عليها وقد
كما يقع في الدنيا جزاء ولا يضاف اليه لانه لا تغلب عليها ولم تنزل له ٥ واما
قولهم انهم يقولون فاذا جاء ربنا عرفناه محتمل ان يكون معناه مجتنا باظهار
فعل يبديه في قلوبهم من زوايد علم ويقين وعلم وتصور عند ما يحدث لهم من ادراك
ومعاينته لان سائر ما اضيف الى الله عز وجل من اتيان ومجيء فهو يظهر نوع
من تدبيره في فضل او عدل واما قوله فيأتيهم في الصورة التي يعرفون فان معنى
الاتيان يتأول على الوجه الذي مضى بيانه ويكون تقديره وتأويله انه اذا اظهر لهم نوعا
الصور المعهود لهم شكلا وهيئة وخلق ادراكهم له وخاطبهم بان اسمعهم كلامه
وافهمهم مرادة بينوا وايقنوا ان المكلم لهم هو ربهم عز ذكره وتكون الفائدة
تعريفنا ما يفعله الله عز وجل في العقبى من الطافه باوليائه في عصمتهم وحراستهم
وتثبيتهم وتأييدهم حتى لا يستفزهم مشاهدة تلك الاهوال العظيمة والمستحيل
امر تلك الصور المنكرة التي لم يعهدوا مثلها واما قوله انه يقول لهم فاذا راتموني
عرفتموني فيقولون بيننا وبينه علامة اخبر فان من ذلك انبأ وتأنيس
تباينهم اولا واخرا ودلك بما وجدوا من فضل عز ذكره في ادامة معرفتهم وتقرير
وازالة فنون الخطاء والزيغ عنهم فاما تفسير العلامة وذكر ما هي فمن اهل العلم من قال

كما ان تلك العلامة التي اشاروا اليها انا نعرفه بها هو ما بينه وبين خلقه الصور والاجسام
من المخالفة والمباينة وانه لا يشبهه شيء منها ومنهم من قال ان تلك العلامة ما معهم
من المعرفة به وانهم عبدوه في الدنيا عن معرفة منهم فيعبدونه لا يشبه شيئا مما عرفوه
ولا يجوز ان يشبه شيئا ولا ان يشبهه شيء فاذا اداما عرفوه بمثل هذه المعرفة علموا
ان الذي راوه هو الذي عرفوه يكون علامتهم عند الرويه معرفتهم فاذا كان مرادهم في
العقبى معرفتهم في الدنيا اتفقوا انه هو معبودهم وحكي عن ابي عاصم النبيل انه كان
يقول في تاويل هذا الحديث ان ذلك تغيير يقع في عيون الرائين كنحو ما يتخيل الى الانسان
الشيء بخلاف ما هو به وتوهمه الشيء على الحقيقة واعلم انه لا بد ان يحمل هذا الحديث
على نوع ما قلنا لاستحالة ان يكون الله تعالى ذكره على صورة كثيرة يحولونه مرة ويحولونه
مرة او يكون ممن يحيل الصور فينتقل الصورة لاستحالة ان يكون الله عز وجل حالا او محلا
صورة او مصورا وانما اتيانه بالصورة بعد الصورة من طريق الفعل كاحداث الشيء
بعد الشيء وتغيير المجسم من حال الى حال باحداث تغيير واضافته الصورة اليه وهذه
الاحاديث هي بمعنى الملك والفعل لا بمعنى التصوير لشيء من الصور تعالى الله عز ذلك علوا
الهيئة والصورة والتاليف كل ذلك انما يصح على الاجسام المحدودة والاجزاء
المؤلفة وتعاقب الحوادث وتغير ما يقوم به فيها علامة حدث ما يقوم به ويحتمل ايضا
وجها اخر وهو ان يكون الصور ها هنا بمعنى الصفة فيكون تفسير المعنى فيه ما
يظهر لهم من بطشه وشدة باسه يوم القيمة واظهاره بمعاينة الخلق ومساءلتهم
وقضائهم واتاه عرفوه ستارا حليما غفارا كريما فيظهر لهم منها ان ذلك منه وهو
بمعنى قوله فيقول انا ربكم على معنى قول القائل قالت رجلي فخدرت واذني فطنت
على معنى ظهور ذلك فيه فيقولون عند ظهور ذلك منه مستعيذين بالله هذا مكاننا
اي تمكث ونصبر حتى يظهر رحمته وكرمه وهو اتيانه الرب لهم باظهار رحمته لهم وعطفه

عليهم فيأتيهم فيقول ذلك عند تبدلهم في الصور التي يعرفون على معنى ابدائه عفوه
ومغفرته على الصفة التي عرفوه بها في الدنيا من ستره ومغفرته على الصفة التي عرفوه
بها في الدنيا من ستره وتغفره لهم وحلمه واذا كان لفظ الصور مستعملا في معنى الصفة كما ذكر
في قول القائل عرفني صور هذا الامر اي صفته لم يمتنع ان يكون القايل في هذا اكثر ما قلنا
وان يكون هذه الالفاظ من متشابه الفاظ الاحاديث يجاريه محيري متشابه الفاظ اي
الكتاب استحانا بها اهل العلم لاستنباط العلم من معانيها والوقوف على الحد الواجب فيها وافتتنا
اهل الباطل بها وخروجهم على الهدى والرشد والحق فيها على النحو الذي جرى عليه حكم متشابه
اي الكتاب وحكمها
ومن هذا النمط في هذه الاحاديث ما روي عنه صلى الله عليه وسلم ايضا من قوله لا شخص اغير
من الله ولا شيء اعذر من الله وقد روي هذا اكثر على وجهين اثبتها عند اهل النقل ما روي انه قال
لا احد اغير من الله عز وجل وروي ايضا لا شيء اغير من الله تعالى ومن غيرته حرم الفواحش
هذا الخبر يتناول لفظتين احدهما لفظ الغير والثانية لفظ الشخص فاما معنى الغير
فهو الزجر والتحريم لان الغيور هو الذي يزجر عما يغار عليه ويحظره الا منه وقد بين
ذلك عقيبه بقوله ومن غيرته حرم الفواحش اي زجر عنها وحظرها وقد روي
ان بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اهدت اليه شاة فاخبرت
عايشة رضي الله عنها بذلك فتبدته فقال صلى الله عليه وسلم غارت امكم اي حمية غيرتها هذا
ومنه ايضا ما روي ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان سعد بن عبادة
سيد كم لغيور وانا اغير منه والله عز وجل اغير مني ومعنى ذلك انه لزجور عن المحارم وانا
ازجر منه والله ازجر من الجميع عما لا يحب من الافعال واما لفظ الشخص فغير ثابت
من طريق السند وان صح فالمعنى ما بيناه في الحديث الاخر وهو قوله لا احد افتقل
لفظ الشخص موضع احد على انه يحتمل ان يكون هذا من باب المستثنى منه غير خلقه ونوعه

وما كان في صفته ما كقوله تعالى لما لم يعلم به من علم الا اتباع الظن ولسير الظن من نوع
العلم بوجه كذلك يكون تقدير ان الاشخاص الموصوفة بالعين لا تبلغ عشرة وان
تناهت عشرة الله جل ذكره وان لم يكن شخصا بوجه وانما منعنا اطلاق الشخص عليه تعالى
لامور احدها ان اللفظ لم يثبت من طريق السمع والثاني ان الامة قد اجمعت على المنع منه
والثالث ان معناه ان يكون جسما على نوع من التركيب وقد منعت المجسمة ايضا
من اطلاق الشخص مع قولهم بالجسم فقد دلك على تاكيد ما قلنا من الاجماع على منعه في صفته
عز وجل واخر الجزء الثاني [illegible]

وخلق آدم عليه روى ابو موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق
آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الابيض والاسود
والاحمر والسهل والحزن والخبيث والطيب وروي في بعض الاخبار ان الملك الذي
جعل الى الله تعالى الطين هو المسمى ملك الموت وان ذلك سلط على قبض الارواح قلت
قد علم ان تاويل القبضة على معنى الجارحة والعضو والبعض مستحيل كما صفة لله
سبحانه لاستحالة كونه تعالى مجزءا منقضا متغايرا وذلك لاستحالة كونه جسما
او احببنا على ما تقدم ذكره وبيانه من قبل فاما ان يحمل القبضة على معنى القدرة
كقول القايل ما فلان الا في قبضتي اي معنى اني قادر عليه وعلى هذا تاولوا قوله تعالى
عز وجل والارض جميعا قبضته يوم القيمة اي هي تحت قدرته وملكه وقد قيل
ايضا ان معنى الاية قوله قبضته اي ان ذلك في حكم القبضة تحقيقا للمعاد واستشهد
بقول القايل قبض الله نفس فلان اليماي افناه واما المراد بالقبضة في هذا الخبر فهو
اجماع جملة من اجزاء المذكور فيه من الطين بشهادة في اجتماعها بالكلمة المجتمعة في قبضة الجارحة
فاما تاويل قوله عليه السلام قبضها الرحمن فيحتمل وجوها احدها ان يكون طريق ذلك
وقاديا على معنى اظهار فعل كما قال فطمسنا اعينهم وكما قال اليوم نختم على افواههم وليس ذلك

ختما واطمسا على ما وصل فعاناة ومباشرة ومعالجة وممارسة يحرف فيه الفعل على ذلك
على سبيل ما نظهر من افعاله عز ذكره لانه يفعل افعاله ابتداء اختيارا بقدرته واراداته
وامره له كن فيكون ويحتمل ذلك وجها اخر وهو ان يكون ذلك قبضا خارجة ولكنها لبعض
الملايكة ولا يمتنع وصف الملايكة بالجارحة فقد قبضها الرحمن على ان الملك قبض على ذلك بامر
الرحمن جل وعز ومثاله في الكلام الجاري من الناس ضرب الامير اللص وانما امر بضربه
والاصل في ذلك اضافة الحوادث الى الملائكة لما بالفظ الاعم ثم قد يضاف اليه بالفظ
الاخص فان كان متضمنه على التخصيص لا يصلح له على الوجه الذي يجري على غيره فيحمل
ذلك حينيذ على التعارف المشهور بين الناس واصل الخطاب في نسبة الفعل بالفظ الاخص
الى من اضيف والمراد به ذلك انه حصل باس وحدث بقدرته وليس بمنكر في العقول ان
يكون الله عز وجل خلق طينة آدم عليه السلام من اجزاء انواع الطين وان الاطلاق والخلق
اختلفت وتفاوتت كما تفاوتت اجزاء الطين للاجل ان تفاوتها اوجب ذلك لما دلت
على ذلك الوجه الذي حدثت عليه بقدرة الله واختياره كلفه جعلها عبرا وعلامات لربوبيته
ووحدانيته [illegible]

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تبارك وتعالى خمر طينة آدم عليه السلام اربعين
صباحا ثم خلطها بيديه فخرج كل طيب بيمينه وكل خبيث بشماله ومسح احدى يديه بالاخرى
تاويل ذلك اعلم ان قوله صلى الله عليه ان الله عز وجل خمر طينة آدم عليه السلام وعجنه
على نحو ما ذكرنا من اضافة بعض افعاله على اللفظ الظاهر كما يقال عذب وانعم وحرك
وسكن والرجوع في ذلك الى حدوث هذه المعاني منه بقدرته ويكون ذلك محمولا على
حكم سايرافعاله فانها تحدث منه لا على معاناة ومباشرة وتخمير الطينة انما هو تغيير
من هيئته الى هيئة وتجديد ذلك عليها حالا فحالا في هذه المدة المذكورة ليجعل منه
آدم عليه السلام وما خلق عليها غيره للتجربة وان آدم عليه السلام كان اطيب طينة

على هذا الوجه هذه المدة ويشبه ان يكون ما روي في اخبار النطفة تكون علقة اربعين
يوما ثم يكون مضغة مثلها الى ان ينفخ فيها الروح فكانت مدة تصوير ادم عليه السلام
من هذا القبيل كنحو مدة تغير النطفة واذا كان امر النطفة مفارقا لطينة ادم من
وجوه اخر واما قوله صلى الله عليه وسلم ثم خلطها بيده فانا نقول قوله ثم خلطها عجلا
معنى ما ذكرنا في قوله خمر طينته ادم وقوله من قبضة قبضها الرحمن وكلا الوجهين من
التاويل سايغ فيه اذ لنا ان ذلك اظهار وفعل واضافته اليه باللفظ الخاص من وجه الملك
والقدرة سايغ واذ قلنا ان ذلك على تاويل القايل قتل الامير اللص على معنى امر به
وان القتل حدث عن ملكه وحكمه كان غير منكر ايضا واعلم انه ليس المراد باليدين هاهنا
هو المراد بقوله تعالى لما خلقت بيدي لان الخلق هو الاحداث عن العدم وخلط الشيء
بالشيء ليس باحداث له فاذا قلنا ان اضافة هذا القول الى الله تعالى من طريق الامر
وان ذلك حدث على يدي بعض المخلوقين من ملايكته وخلقه فانه لا ينكر ان يكون
خلط مباشرة بيد جارحة كما روي في الاخر ان ذلك كان من الاملاك امر الله
عز وجل بجمع اجزاء الطين من جملة الارض وامره ان يخلطها بيده فخرج كل طيب بيمينه
وكل خبيث بشماله فيكون اليمين والشمال للملك والخلط والتحمير مضافين الى الله تعالى
من حيث كان عن امره وحكمه وجعل بعضهم في يمين الملك علامة لاهل الخير منهم وكو
بعضهم في شماله علامة لاهل الشر منهم ولاذكر في قايل الاخر ان الله خلق الطيب من
ذرية من الجانب اليمين من ادم والخبيث من الجانب الشمال منه ولذلك نهاد يوم القيمة
اصحاب اليمين واصحاب الشمال على بعض ما ذكرنا من وجوه تاويل قوله اصحاب اليمين واصحاب
الشمال فان رجع باليمين والشمال الى يمين الملك وشماله وكان حقا ثابتا مما اراد ان يضع
العلامة على اهل الخير والشر ثم جعلها في صلب ادم عليه السلام على هذا التقدير لم يكن
منكرا او يكون ذلك تاويل قوله ومسح احد سيديه بالاخرى على ما ذكرنا ان ذلك حادث جرى على

ايدي بعض الملايكة لم يكن ذلك منكرا او يكون اضافة المسح الى الله تعالى من طريق الحكم والامر
والفعل له والتقدير ويكون اضافة اليدين واليمين والشمال الى الملك على طريق انه خط
جارحة له وبصر ويكون وجه اضافته الى الله عز وجل على التاويل الاخر بمعنى الملك
والقدرة ويحتمل ان يقال في قوله ثم خلطها بيده اي بملكي وقدرتي ولا يجب على ذلك
ان يحال قوله تعالى خلقت بيدي على مثل هذا التاويل لوجوه تاكيدها ذلك قارن بها
المذكور من اليدين هاهنا واحدهما لانا ان حملنا ذلك على معنى القدرة كان في ارتباط تفضيل
ادم عليه السلام على ابليس وانعاد ذلك كلام جرى على طريق الاحتجاج على ابليس في امتناعه
من السجود لادم عليه السلام وفي حمله على القدرة ما يوجب المساواة واسقاط موضع
الاحتجاج به على ابليس في تفضيل عليه فاذا قلنا ان تاويل قوله ثم خلطها بيده اي بملكي
وقدرتي فانه يحمل قوله تعالى فخر كل طيب بيمينه اي بما انعم عليه من توفيقه وتشريفه وتكل
خبيث شماله بما حرمه من معونته ونصرته والعرب قد تستعمل لفظ اليمين على معنى
المجد والخط من اكبر كما قال القايل اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
اي بمجد ونجدة وحظ الوصول الى المراد وتحمل قوله ومسح احد يديه بالاخرى على ان
ان يكون معناه ان الله عز وجل لما خلق الذرية خلقها نوعين طيبا وخبيثا ميزهما وجعل
محل الطيب جانب اليمين عند يمن السعادة والتوفيق وجعل محل الخبيث جانب اليسار من
ادم او من الملك الذي امر بخلط الطينة كان ذلك تمييز العين والحكم ثم خلطها خلطا
اخر وهو ان جعل الطيب في الجعل الخبيث في المحل الخبيث والخبيث في المحل الطيب على تاويل
من قال قوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي معناه يولد الكافر من
المومن والمومن من الكافر فلان ما يحصل عن مسح احدى اليدين بالاخرى مختلط غير
ممتاز فيحتمل ان يكون ذلك مثلا ضربه الله تعالى لتقريب فهم السعادة والشقاوة
والفريقين من ذرية ادم فانا قد بينا بتعريف ذلك انه خلق طينة ادم عليه السلام من

لنواع طين مختلف ثم طرق ذريته وغيرهم مخلقين من خليقتهم كما روى في الخبر على مثال الادوار كما
مميزين بالعقل فلما صلصلت بالتراب والاصلاب حصلت مخلطة غير مميزة فلذلك تختلف
الاحوال في حكم الايمان والكفر والطاعة والمعصية على التناسل والتوالد واذا اختلف
بعض ما ذكرناه كان ذلك سببا في العربية ويحصل منه الفوائد على التأويل الذي ذكرنا
كان اولى من ان نعتقد فيها شيئا في التوحيد ويؤدي الى الكفر والتشبيه

وقد روي في هذه القصة ايضا في خبر اخر
الله عز وجل لما قبض القبضة من ظهر ادم بكفيه قال لاحداهما شمت قال اخذت يمين
ربي وكلتا يديه يمين ففتحها فاذا فيها صورة ادم وذريته قال محمد بن سماعة انفرد
برواية هذا الحديث حاتم بن اسمعيل وكان صغيفا والمقبري وهو مدلس وانفرد عنه
انه كان يدلس فيما روى عن ابي هريرة فعلى هذا الحديث مسكين فاما اذا قبل على ما
فيه امكن ان يكون تأويلا على بعض هذه الوجوه التي ذكرناها اما قوله قبض الدرته من
ظهر ادم فعلى الوجه الذي بيناه وبان القبضة اضيفت اليه ملكا وفعلا وتقدس
اوحكما واثرا واما الكف فقد ذكرنا فيما قبل انه تحتمل وجوها وقد ذكرنا شواهد ذلك
فان حمل على معنى القدرة والملك صح وان حمل على النعمة والاثر اكسن صح لان ذلك مما
حدث في ملكه بقدرته وعن ظهور نعمته على بعضهم واثاره الحسنة فيهم واما قوله اخذت
يميني فيحتمل وجوها احدها ان اليمين لما كان محلا للطف بين درته اختار من
اختيار الله عز وجل واضاف اليمين الى الله عز وجل من طريق الملك والفعل الذي
جعل في اليمين من اجل السعادة هم اولياؤه وقد اخبرته على معنى اختيرتهم ووالتهم واحببتهم
ويحتمل ان يكون ذلك على معنى ما ذكرنا من قولهم تلقاها عرابة باليمين وتلوذ اليمين من اليسر
واشباه ذلك فيهم وحرف البركة والفضل والسعادة من الله عز ذكره واضاف اليمين اليه
على معنى انه هو الذي اسعد به وقوله وقال محمد بن سماع معناه اني رددت امري في
ذلك الى الذي اختار ما اختار وفوضت اليه لانه قال له خذ ايهما شئت فترك ان

نجار ورد الامر اليه كانه اراد اختر ما تختاره واثر ما يوشر واما قوله
وكلتا يديه يمين فقد ذكر بعض شيوخنا وبلغني انه كان يقول ان الله جل ذكره
هو الموصوف بهذه الصفة لا بهذه الجارحة وانما تكون هذه الجارحة يمينا ويسارا لانها
يكونان للمتحص ومتحوز ذي اعضاء واعضاء ولما لم يكن ذلك وصف الرب بهذه الجارحة
[illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله وكلتا يديه يمين اي ليست في هذه الجارحة
[illegible] ايضا ان الله عز ذكره لما وصف [illegible] وبالجارحة تكون احدا
[illegible] الشمال والتسيري تنقص ابدا في القبض
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصف الله
[illegible] انه لا نقص فيها وان
[illegible] باليد من غير كيف به دون الجوارح
ويحتمل ايضا ان [illegible] لسان آدم لما قبل له [illegible] قال احدث بما شئت
وكلتا يديه يمين انما اراد [illegible] لسان الشكر والنعمة لا لسان الحكم والاعتراف بالملك فذكر
الفضل والنعمة لان جميع [illegible] عز وجل من منته فضل وطول مبتدأ من
منفوع بنفعه ومن مدفوع عنه بمرثه فقصد قصد الشكر والتعظيم لمنه فان
ما اختاره هو الكف والجميع خطأ ما رواه وتصغير لهم وتجهيل وقال بعضهم كلتا يديه
يمين اراد به وصف الله تعالى بغاية الجود والكرم والاحسان والتفضل وذلك ان
العرب تقول هو كذلك كلتا يديه يمين واذا نفضوا حط الرجل وبخسوا نصيبه قيل
جعل سهمه في الشمال واذا لم يكن عنده اجتلاب منفعة ولا دفع مضرة قيل ليس فلان
باليمين ولا بالشمال وذلك قال الفرزدق يمدح كلتا يديه يمين غير مخلفة
آخر في غير المعنى وروى زخر اخران يمين الله ملأى لا يغيضها شيء سحاء عطاياه
الله كثيرة لا ينقصها شيء والى هذا المعنى ذهب المزار الشاعر حيث قال
"هو ان على الاوابد من عمتيل في كلتا اليدين له يمين"؛ والعرب تعبر عن

فمن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ويعلم ان الذي
يقتضي التاويل من هذا الخبر قوله صلى الله عليه وسلم وضع كفه بين كتفي وقد روي بين
كتفي فاما تاويل الكف فقد تاوله الناس على وجهين احدهما ان يكون بمعنى القدرة كما
قال القائل هون عليك فان الامور بكف الاله مقاديرها يعني بقدرته تقديرها
وتدل برهان الوجه الثاني ان يكون المراد بالكف النعمة والمنة والرحمة وقد استعملت
العرب لفظ اليد والاصبع والكف في معنى النعمة وذلك سايغ كثير في اللغة وذلك انهم تقول
لي عند فلان اصبع حسنى وله عندي فلان يد بيضاء اي منة كاملة فكون استعمال الكف
على معنى اليد اذا كان بمعنى النعمة فعلى هذا يكون تاويل الخبر الاخبار عن نعمة الله عز وجل
وفضله ولطفه واقباله عليه بان شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لم يعرفه وعلمه
ما لم يعلمه واذا قلت ان المراد به القدرة احتمل ان يكون المعنى اعترافه بالعجز واقراره
بقدرة الله على ما فعل به من العطف واللطف حتى عرف كثيرا مما لم يعرفه ٥ فاما قوله
بين كتفي فان كان صحيحا فالمراد به اوصل الى قلبه من لطفه وبره وفوايده وذلك لان
القلب بين الكتفين وهو محل الانوار والعلوم والمعارف وقد روي بين كتفي والمراد بذلك
ما يقال في قول القايل انا في كنف فلان وفي جانبه وفنايه اذا اراد بذلك انه في ظل
نعمته ورحمته فكانه قال افادني الرب تعالى من رحمته وانعامه بكله وقدرته
حتى علمت ما لم اعلمه ٥ واما قوله فوجدت بردها فانه يحتمل ان يكون المعنى برد
النعمة بمعنى روحها واثرها من قولهم عيش بارد اذا كان رغدا في رفاهيته وسعته
والذي يدل على ان تلك الفوايد زوايد معارف قوله على اثر ذلك فعلمت ما بين المشرق
والمغرب لما نور الله قلبه وشرح صدره فكان ذلك باطهار اثاره وتدبيره عن
رحمته وانما حملناه على ذلك لاستحاله وصفا الله عز وجل بالجوارح والالة وذلك
لاستحاله ان يكون ذا بعض او عضو وهذا هو نثرة توحيد ذاته وفرع المعرفة بكونه
ذاته شيئا واحدا فاما ما روي عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر

بعد قوله وضع كفه بين كتفي وجدت بردها في صدري فان تاويل الانامل على معنى
تاويل الاصبع وقد شرحنا في كلام اهل اللغة ان فلان على اصبع حسن وقال بعض اهل اللغة
ان العرب تقول لفلان على انامله اصبع حسن اذا اسبغها واحسن اليها قال الشاعر

ضعيف العصى بادي العروق ترى له عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا

اي اثرا حسنا فيهم فاما احتمل ان يكون تاويل الخبر حتى وجدت اثار احسانه ونعمته
وامتنانه ورحمته في صدري فتجلى له عند ذلك علم ما بين السماء والارض رحمة الله
وفضله نعمه وسوقه الخبر الية في ذلك واذا كان ذلك سايغا في اللغة ولا يجوز وصف
الله عز وجل بالجوارح والاعضاء كان طريق التاويل فيه ما ذكرناه فاما ما ذكر في
هذا الخبر من قوله صلى الله عليه وسلم مجيبا لربه عز وجل لما قال له فيم يختصم الملا الاعلى
قال لا ادري الى ان قال فوضع كفه بين كتفي الان ذكر فعلمت ما بين السماء والارض ثم قال له
عليه السلام فيم يختصم الملا الاعلى قلت لا ادري بعد قوله فعلمت ما بين السماء والارض
فوجه ذلك هو على ما ورد القرآن من قوله عز وجل يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فيكون ذلك منه وفهم على وجه التعالم
عليه وان يكون مستعملا للادب بحضرة من هو اعلم منه لان الواجب مراعاة ذلك
حتى لا يدعي العلم عند من هو اعلم به وعند من علمه ذلك العلم ويحتمل ان يكون قد علم
ما بين المشرق والمغرب بان اراه ذلك كما روي انه اخبر انه قال صلى الله عليه وسلم
رويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وليس ذلك مما يتعلق بالعلم باحكام
العبادات وبما عليها من وجوه الثواب والكرامات جزاء على الطاعات وهو الذي
كشف عنه عز وجل له بعد ما قال لا ادري فاذا حمل على هذا لم يتناقض الكلام وصح
الجمع بينهما على الترتيب الذي رتبناه وذكرنا [illegible] وهو من الاخبار التي ذكرنا في الصحاح رفع الحديث الى ان قال فبانيهم في صورة غير صورته التي

يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جاء ربنا
عرفناه قال فيأتيهم على الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه
وفي بعض الفاظ هذا الخبر انه يقول لهم او تعرفونه اذا رأيتموه فيقولون نعم فيقول بماذا تعرفونه
فيقولون بيننا وبينه علامة اذا رأيناه عرفناه وهذا الخبر مشهور وفيه طول وقصة
ذكرنا منه ما يحتاج الى تاويل * وتاويل ذلك وتخريجه يحتمل وجوها احدها
ان تكون ها هنا بمعنى الباء كما روينا عن ابن عباس في قوله تعالى فظلتم تفكهون انه قال
معناه تظلمون من الغرام واذا كان سائغا في اللغة ابدال الباء بفي وفي بالباء لم ينكر ان
يكون معنى ها هنا بمعنى الباء وقد سوغ ايضا في الكلام ولا فرق فيه بين ان يقال اكرمه
في المتحرك واكرمه بالمتحرك واذا كان معنى الباء اعم فتقدير على هذا التخريج والتاويل
ان الله عز وجل ياتيهم يوم القيمة بصورته التي يعرفونه في الدنيا وفي الاخرة وتكون
الاضافة في الصورة اليه من طريق الملك والتدبير كما قال ناقة الله وارضه وبيت الله
وناقة على جهة الملك والفعل لا على الوجه الذي يليق به فيكون المعنى لكن ان الخلق عرفوا
الله جل ذكره في الدنيا بدلالاته المنصوبة وآياته التي ركبها في الصور وهي الاعراض الدالة
على حدث الاجسام واقتضاها محدثها من حيث كانا محدثين فاما الاتيان به على
معنى ظهور فعل لها منه وهو معنى قوله تعالى فاتى الله بنيانهم من القواعد وقوله تعالى
وجاء ربك وقوله تعالى الرحمن على العرش استوى على احد التاويلين * واما قوله غير
صورته التي يعرفونها فيحتمل ان يكون المعنى في ذلك انه ياتيهم يوم القيمة بصورة على
خلاف تلك الشكل وتلك الهيئة التي كانت الصورة عليها في الدنيا مما لم يعرفوها ولم يتعهدوها
وليس ذلك بمنكر لان عادات اهل الفيمة مما يظهر لهم الاهوال وعجايب الخلق من صور الملائكة
وبانية العذاب وخزنة الجنان مما لم يعهدوها على شكلها وهيئتها في الدنيا فاما قوله تعالى
فيقول انا ربكم فقد قال بعض اهل العلم انه هذا اخر محنة المؤمن وانه يظهر هذا القول لفلان من

الله عز وجل في بعض هذه الصور تمحنة للمكلفين في الدنيا من اهل الايمان فيظهر منهم
عن صدق توحيدهم وصحة ايمانهم ما يكون انكارا لذلك ويكون الفايدة فيه تعريفنا
تاييد الله لاهل الايمان به في الدنيا وفي الاخرة وتثبيته لهم كما قال عز وجل يثبت
الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة اي يثبتهم في الدنيا
على الحق عند ظهور الغير والمحن ويثبتهم في العقبى ايضا في مواضع المحن فانما قلنا
الدنيا دار محن وتكليف مظلفا وان كان من نوعها ما يقع في العقبى ولا يطلق المحن
عليها انها دار تكليف ومحنة بل يقال انها دار جزاء لان الغالب ذلك عليها وهذا
كما يقع في الدنيا جزاء ولا يضاف اليه لانه لا تغلب عليها ولم تنزل له * وامّا
قولهم انهم يقولون فاذا جاء ربنا عرفنا محتملا ان يكون معناه مجيئا باظهار
فعل يبديه في قلوبهم من زوايد علم ويقين زعلم وتصر عند ما يحدث لهم من ادراك
ومعاينته لان سايرما اضيف الى الله عز وجل من اتيان ومجيء فهو ظهور نوع
من تدبيره في فضل او عدل واما قولهم في الصور التي يعرفون فان معنى
الاتيان يتاول على الوجه الذي مضى بيانه ويكون تقديره تاويا الله اذا اظهر لهم نوع
الصور المعهود لهم شكلا وهيئة وخلق ادراكهم له وخاطبهم بان اسمعهم كلامه
وافهمهم مراده بتينوا وايقنوا ان المكلم لهم هو ربهم عز ذكره وتكون الفايدة
تعريفنا ما يفعله الله عز وجل في العقبى من الطافه باوليايه في محنتهم وحراستهم
وتثبيتهم وتاييدهم حتى لا يستفزهم مشاهدة تلك الاهوال العظيمة ولا يستخفهم
امر تلك الصور المنكرة التي لم يعهدوا مثلها واما قوله انه يقول لهم فاذا راتيموني
عرفتموني فيقولون نعم بيننا وبينه علامة اذا رأيناها عرفناه فان معنى ذلك انبا نباشر
تباينهم اولا واخرا ودلك بما وجدوه من فضل عز ذكره في ادامة معرفتهم ونصر
وازالة فنون الخطاء والزيغ عنهم فاما تفسير العلامة وذكر ما هي فمن اهل العلم من قال

كما ان تلك العلامة التي اشاروا اليها انا نعرفه بها هو ما بينه وبين خلقه الصور والاجسام
من المخالفة والمباينة وانه لا يشبهه شيء منها ومنهم من قال ان تلك العلامة ما هم
من المعرفة به وانهم عبدوه في الدنيا عن معرفة منهم فيجب ان لا يشبه شيئا مما عرفوه
ولا يجوز ان يشبهه شيء فاذا اداما عرفوه بمثل هذه المعرفة علموا
ان الذي رأوه هو الذي عرفوه فيكون علامتهم عند الرؤية معرفتهم فاذا كان مرادهم في
العقبى معرفتهم في الدنيا ايقنوا انه هو معبودهم وحكي عن ابي عاصم النبيل انه كان
يقول في تأويل هذا الحديث ان ذلك تغيير يقع في عيون الرائين كما يتخيل الى الانسان
الشيء بخلاف ما هو به فيتوهمه الشيء على الحقيقة ، واعلم انه لا بد ان يحمل هذا الحديث
على نوع ما قلنا لاستحالة ان يكون الله تعالى ذكره على صورة كثيرة يجهلونه مرة ويعرفونه
مرة او يكون ممن يتخيل الصور فينتقل الصوت لاستحالة ان يكون الله عز وجل حالا او محلا
صورة او مصورا وانما آية انه بالصورة بعد الصورة من طريق الفعل كما يحدث الشيء
بعد الشيء وتغير الجسم من حال الى حال باحداث تغيير واضافة الصورة اليه وهذه
الاحاديث هي بمعنى الملك والفعل لا بمعنى التصوير لشيء من الصور تعالى الله عز ذلك علوا
الهيئة والصورة والتركيب والتاليف كل ذلك انما يصح على الاجسام المحدودة والاجزاء
المخلوقة وتعاقب الحوادث وتغير ما يقوم به فيها علامة حدث ما يقوم به ويحتمل ايضا
وجها آخر وهو ان يكون الصورة ها هنا بمعنى الصفة فيكون تقدير المعنى فيه ما
يظهر لهم من بطشه وشدة باسه يوم القيمة واظهارها بمعاينة الخلق ومساءلتهم
وقضائهم وانما عرفوه ستارا حليما غفارا كريما فيظهر لهم منها ان ذلك منه وهو
معنى قوله فيقول انا ربكم على معنى قول القائل قالت رجلي فخدرت واذني فطنت
على معنى ظهور ذلك فيه فيقولون عند ظهور ذلك منه مستعيذين بالله هذا مكاننا
اي نمكث وننتظر حتى يظهر رحمته وكرمه وهو اتيانه الرب لهم باظهار رحمته لهم وعطفه

عليهم فيما تهم بعد ذلك عند تبدلهم في الصور التي يعرفون كل معنى ابداه عنه
ومعرفته على الصفة التي عرفوه بها في الدنيا من بشره ومغفرته على الصفة التي عرفوه
بها في الدنيا من بشره ومغفرته وحلمه واذا كان لفظ الصورة مستعملا في معنى الصفة كما ذكر
في قول القائل عرفني صورة هذا الامر اي صفته لم ينكر ان تكون الفائدة في هذا الخبر ما قلنا
وان يكون هذه الالفاظ من متشابه الفاظ الاحاد يث جاز ان يجري مجرى متشابه الفاظ اي
الكتاب امتحانا بها اهل العلم لاستنباط الصحيح من معانيها والوقوف على المراد الواجب فيها وافتتانا
اهل الباطل بها وخروجهم على الهدى الى الضلال والحق فيها على النحو الذي جرى عليه حكم متشابه
اي الكتاب وحكمها
ومن هذا اللفظ في هذه الاحاديث ما روي عنه صلى الله عليه وسلم ايضا من قوله لا شخص اغير
من الله سبحانه وقد روي هذا اللفظ على وجوه اثبتها عند اهل النقل ما روي فيما
لا اصحاب من الله عز وجل وروي ايضا لا شيء اغير من الله تعالى ومن غيرته حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن والخبر يتناول لفظتي احدهما لفظة الغيرة والثانية بمعنى الشخص فاما معنى الغيرة
فهو الزجر والتحريم لان الغيور هو الذي زجر عما يغار عليه ويحظره الا ترى ما فيه من الغيرة
ذلك عقيبه بقوله ومن غيرته حرم الفواحش اي زجر عنها وحظرها وقد روي
ان بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اهدت اليه شيئا فاخبرت
عائشة رضي الله عنها بذلك فتبدرته فقال صلى الله عليه وسلم غارت امكم اي جرت على هذا
ومنه ايضا ما روي ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان سيد كم لغيور وانا اغير منه والله عز وجل اغير مني ومعنى ذلك انه لزجور عن المحارم وانا
ازجر منه والله ازجر من الجميع عما لا يحب من الافعال واما لفظ الشخص فقد ثبت
من طريق السند وان صح فالمعنى ما بينه في الحديث الآخر وهو قوله لا احد افتقل
لفظ الشخص موضع احد على انه يحتمل ان يكون هذا من باب المستثنى من غير جنسه ونوعه

وما كان في صفته ما كقوله تعالى لما لهم به من علم الا اتباع الظن وليس الظن من نوع
العلم بوجه كذلك يكون تقدير ان الاشخاص الموصوفة بالعينة لا تبلغ عشرة وان
تناهت عشرة الله جل ذكره وان لم يكن شخصا بوجه وانما منعنا اطلاق الشخص عليه تعالى
لامور احدها ان اللفظ لم يثبت من طريق السمع والثاني ان الامة قد اجمعت على المنع منه
والثالث ان معناه ان يكون جسما على نوع من التركيب وقد منعت المجسمة ايضا
من اطلاق الشخص مع قولهم بالجسم فدل ذلك على تأييد ما قلنا من الاجماع على منعه في صفته
عز وجل اخر الجزء الثاني

وخلق ادم عليه روى ابو موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق
ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو ادم على قدر الارض منهم الابيض والاسود
والاحمر والسهل والحزن والخبيث والطيب وروي في بعض الاخبار ان الملك الذي
جعل الى الله تعالى الطين هو المسمى ملك الموت وان ذلك سلط على قبض الارواح قلت
ذلك اعلم انا وان القبضة على معنى الجارحة والعضو والبعض مستحيل الصفة لله
سبحانه لاستحالة كونه تعالى مجزءا منقضا متغايرا وذلك لاستحالة كونه جسما
او احببنا على ما تقدم ذكره وبيانه من قبل فاما ان يحمل القبضة على معنى القدرة
كقول القائل ما فلان الا في قبضتي يعني اني قادر عليه وعلى هذا تاولوا قوله تعالى
عز ذكره والارض جميعا قبضته يوم القيمة اي هي تحت قدرته وملكه وقد قيل
ايضا ان معنى الاية قوله قبضته اي ان ذلك في حكم الفتا بحقيقة القبض والشيء
يقول القائل ما قبض الله نفس فلان اليوم اي افناه وانما المراد بالقبضة في هذا الخبر هو
اجتماع جملة من اجزاء المذكور فيه من الطين بشهيد في اجزائها بالكلمة المجتمعة في قبضة الجبار
فاما تاويل قوله عليه السلام قبضها الرحمن فيحتمل وجوها احدها ان يكون طريق ذلك
وقوعها على معنى اظهار فعل كما قال فطمسنا اعينهم وكما قال اليوم نختم على افواههم وليس ذلك

حتما وطمسا على تاويل المعاناة ومباشرة ومعالجة وممارسة يحدث فيه الفعل على ذلك
على سبيل ما يظهر من افعاله عز ذكره لانه يفعل افعاله ابتداء اختيارا بقدرته واراداته
وامره له كن فيكون ويحتمل ذلك وجها اخر وهو ان يكون ذلك قبضة جارحة ولكنها لبعض
الملائكة ولا يمتنع وصف الملائكة بالجارحة فقد قبضها الرحمن على ان الملك قبض على ذلك بامر
الرحمن جل وعز ومثاله في الكلام الجاري من الناس ضرب الامير اللص وانما امر بضربه
والاصل في ذلك اضافة الحوادث الى الملائكة بالفظ الاعم ثم قد يضاف اليها باللفظ
الاخص وان كان متضمنه على التخصيص لا يصلح له على الوجه الذي يجري على عمومه فيحتمل
ذلك حينئذ على التعالم المشهور بين الناس واهل الخطاب في نسبة الفعل بالفظ الاقتصار
الى من اضيف وبالمراد بذلك انه حصل بامره وحدث بقدرته وليس بمنكر في المعقول ان
يكون الله عز وجل خلق طينة ادم عليه السلام من اجزاء انواع الطين وان الاخلاق والخلق
اختلفت وتفاوتت كما تفاوتت اجزاء الطين لاجل ان تفاوتها اوجب ذلك اختلافها
على ذلك الوجه الذي حدثت عليه بقدرة الله واختياره كذلك جعلها عبرا وعلامات لربوبيته
ووحدانيته وقد تقدم في شرح المعنى ثم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
روى عن النبي صلى الله عليه انه قال ان الله تبارك وتعالى خمر طينة ادم عليه السلام اربعين
صباحا ثم خلطها بيديه فخرج كل طيب بيمينه وكل خبيث بشماله ومسح احدى يديه بالاخرى
تاويل ذلك اعلم ان قوله صلى الله عليه ان الله عز وجل خمر طينة ادم عليه السلام وما
عاها نحو ما ذكرنا من اضافة بعض افعاله على اللفظ الخاص كما يقال عذب وانعم وحرك
وسكن والرجوع في ذلك الى حدوث هذه المعاني منه بقدرته ويكون ذلك محمولا على
حكم سائر افعاله فانها تحدث منه لا على معاناة ومباشرة وتخمير الطينة انما هو تغيير
من هيئة الى هيئة وتجديد ذلك عليها حالا فحالا في هذه الاوان المذكورة ليجعل هيئة
ادم عليه السلام وما خلق عليها عبرة للمعتبرين وان ادم عليه السلام كان اصل طينته

على هذا الوجه هذه المدة ويشبه ان يكون ما روي في اخبار النطفة تكون علقة اربعين
يوما ثم يكون مضغة مثلها الى ان ينفخ فيها الروح فكانت مدة تغير ادم عليه السلام
من هيئة الى هيئة كنحو مدة تغير النطفة وان كان امر النطفة مفارقا لطينة ادم من
وجوه اخر واما قوله صلى الله عليه وسلم ثم خلطها بيده فان تاويل قوله ثم خلطها عجلا
معنى ما ذكرنا في قوله خمر طينته ادم وقوله من قبضة قبضها الرحمن وكلا الوجهين من
التاويل سائغ فيه ان قلنا ان ذلك اظهار فعل واضافته اليده باللفظ الخاص من وجه الملك
والمقدر سائغ وان قلنا ان ذلك على تاويل القائل قتل الامير اللص على معنى امر به
وان القتل حدث عن ملكه وحكمه كان غير منكر ايضا واعلم انه ليس المراد باليد ها هنا
هو المراد بقوله تعالى لما خلقت بيدي لان الخلق هو الاحداث عن العدم وخلط الشيء
بالشيء ليس باحداث له فاذا قلنا ان اضافة هذا القول الى الله تعالى من طريق الامر
وان ذلك حدث على يد بعض الملائكة من ملائكته وخلقه فانه لا ينكر ان يكون
خلط مباشره بيد جارحة كما روي في الاخبار ان ذلك كان عملا من الاملاك امر الله
عز وجل بجمع اجزاء الطين من جملة الارض وامره ان يخلطها بيده فخرج كل طيب بيمينه
وكل خبيث بشماله فيكون اليمين والشمال للملك والخلط والتخمير مضافين الى الله تعالى
من حيث كان عن امره وحكمه وجعل بعضهم في يمين الملك علامة لاهل الخير منهم وكو
بعضهم في شماله علامة لاهل الشر منهم ولا ذكر بقاء في اخبار الاخران الله خلق الطيب من
ذرية ادم في الجانب اليمين من ادم والخبيث في الجانب الشمال منه ولذلك ما ورد يوم القيمة
ياصحاب اليمين واصحاب الشمال على بعض ما تذكر من وجوه تاويل اليمين واصحاب
الشمال وان رجع باليمين والشمال الى يمين الملك وشماله وكان ذلك ابتداء ما اراد الله ان يضع
العلامة على اهل الخير والشر ثم جعلها في صلب ادم عليه السلام على هذا التقدير لم يكن
منكرا ويكون ما وقع من مسح احد يديه بالاخرى على ما ذكرنا ان ذلك احداث جرى على

ايدي بعض الملائكة لم يكن ذلك منكرا ويكون اضافة المسح الى الله تعالى من طريق الحكم والامر
والفعل له والتقدير ويكون اضافة اليدين واليمين والشمال الى الملك على طريق انبطاح
جارحه له وبصر ويكون وجه اضافته الى الله عز وجل على التاويل الاخر بمعنى الملك
والقدرة ويحتمل ان يقال في قوله ثم خلطها بيده اي بملكي وقدرتي ولا يجب على ذلك
ان يجعل قوله تعالى خلقت بيدي على مثل هذا التاويل لوجوه تاكيدها ذلك فان ما
المذكور من اليد ها هنا واحدها لانا ان حملنا ذلك على معنى القدرة كان في ارتباط تفضيل
ادم عليه السلام على ابليس وانما ذكر كلام جرى على طريق الاحتجاج على ابليس في امتناعه
من السجود لادم عليه السلام وفي حمله على القدرة ما يوجب المساواة واسقاط موضع
الاحتجاج به على ابليس في تفضيل عليه ذا قلنا ان تاويل قوله ثم خلطها بيده اي بملكي
وقدرته فانه محمل قوي فخرج كل طيب بيمينه اي بما انعم عليه من توفيقه وتشريفه وكل
خبيث بشماله بما حرمه من معونته ونصرته والعرب قد تستعمل لفظ اليمين على معنى
الجد والحظ من اكبرها قال القائل اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
اي بجد ونخت وحظ فالوصول الى المراد وحمل قوله ومسح احدى يديه بالاخرى يحتمل
ان يكون معناه ان الله عز وجل لما خلق الذرية خلقها نوعين طيبا وخبيثا ميزها وجعل
محل الطيب جانب اليمين عند يمن السعادة والتوفيق وجعل محل الخبيث جانب اليسار من
ادم او من الملك الذي امر بخلط الطينة كان ذلك تمييزا للعين والحكم ثم خلطها خلطا
اخر وهو ان جعل الطيب في الجل الخبيث والخبيث في الجل الطيب على تاويل
من تاول قوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي معناه يولد الكافر
الموضع المؤمن من الكافر لان ما يحصل عن مسح احدى اليدين بالاخرى مختلط غير
متميز فيحتمل ان يكون ذلك مثلا ضربه الله تعالى لتعريفكم السعادة والشقاوة
بالفريقين من ذرية ادم فاقادنا بتعريفه كانه خلق طينة ادم عليه السلام من

لنواع طين مختلف ثم خلق ذرية [illegible] من خليقتهم كما روى في الخبر على مثال الدر وكانا مميزين بالجعل فاصله الترايب والاصلاب خلقت مختلطة غير مميزة فلذلك تختلف الاحوال في حكم الايمان والكفر والطاعة والمعصية على التناسل والتوالد واذا احتمل بعض ما ذكرناه كان ذلك سائغا في العربية وحصل منه الفوائد على التاويل الذي ذكرنا كان اولى من ان نعتقد فيها ما ينافي التوحيد ويودي الى الكفر والتشبيه

[illegible] المعنى وقد روى في هذه القصة ايضا في خبر اخر ان الله عز وجل لما قبض الذرية من ظهر ادم بكفيه قال اخذت يميني ربي وكلتا يديه يمين ففتحها فاذا فيها صورة ادم وذريته قال محمد بن سماعة انفرد بروايته هذا الحديث حاتم بن اسمعيل وكان ضعيفا والمفرى وهو مدلس وانفرد عنه انه كان يدلس فيما يروى عن ثقاته فعلى هذا الحديث مسكة وحصن غامض اذا جعل على ما فيه امكن ان يكون وجها على بعض هذه الوجوه التي ذكرناها اما قوله قبض الذرية من ظهر ادم فعلى الوجه الذي بيناه ويدل ان القبضة اضيفت اليه ملكا وفعلا وتقديرا وحكما واثرا واما الكف فقد ذكرنا فيما قبل انه تحتمل وجوها وقد ذكرنا شواهد ذلك فان حمل على معنى القدرة والملك صح وان حمل على النعمة والاثر اكمن صح لان ذلك مما حدث في ملكه بقدرته وعن ظهور نعمته على بعضهم واثاره احسنه فيهم واما قوله اخذت يميني فيحتمل وجوها احدها ان اليمين لما كان محلا للطف من درته اختار من اختار الله عز وجل واضاف اليمين الى الله عز وجل من طريق الملك والفعل الذي جعل في اليمين من اهل السعادة هم اولياؤه وقد اخبرته على معنى اختيرتهم ووالتيهم واحببتهم ويحتمل ان يكون ذلك على معنى ما ذكرنا من قولهم تلقاها عرابة باليمين وتلوى اليمين من اليمين واشباه هذه فيهم وحرف البركة والنمو والسعادة من الله عز ذكره واضيف اليمين اليه على معنى انه هو الذي اسعد به وقربه وقال محمد بن سماع معناه اني رددت امري في ذلك الى ربي واخترت ما اختار وفوضت اليه لانه قال له ضاهيها شيئا فترك ان

يختار ورد الامر اليه كانه اراد اختر ما يختار واثر ما يؤثر واما قوله وكلتا يديه يمين فقد ذكر بعض شيوخنا ويدل ذلك انه كان يقول ان الله جل ذكره هو الموصوف بهذه الصفة لا بهذه الجارحة وانما تكون هذه الجارحة يمينا ويسارا لانها يكونان للقبض وتجزي ذي اعضاء واعضاء فلما لم يكن وصف الرب بهذه الجارحة بين الرسول صلى الله عليه ذلك بقوله وكلتا يديه يمين اي ليست هي بهذه الجارحة وقيل ايضا ان المراد ان الله عز ذكره لما وصف باليدين وبالجارحة تكون احدا يمينا والاخرى يسارا والسيري تنقص ابدا في الغالب عن اليمنى في القوة والبطش عرفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله عز وجل وانه لا نقص فيها وان ما وصف به باليدين ليس كما يوصف به ذوا الجوارح الذي ينقص يسارها عن يمينه ويحتمل ايضا ان يكون معنى لسان ادم لما قيل له ضاهيها شيئا فقال اخذت يميني وكلتا يديه يمين انما اراده لسان الشكر والنعمة لا لسان الحكم والاعراف بالملك وذكر الفضل والنعمة لان جميع ما بيده عز وجل من منه فضل وطول مبتدا من منفوع بنفعه ومن مدفوع عنه بضره فقصد قصد الشكر والتعظم لمنه فان ما اختاره هو الكل والجميع خطاما وواه وتصغيرا لهم وتهجينا وقال بعضهم كلتا يديه يمين اراد به وصفه بالغاية الجود والكرم والاحسان والتفضل وذلك ان العرب تقول هو كريم الكفين كلتا يديه يمين واذا نقص حظ الرجل وبخس نصيبه قيل جعل سهمه في الشمال واد لم يكن عنده اجتلاب منفعة ولا دفع مضرة قيل لشر فلان باليمين ولا بالشمال ولذلك قال الفرزدق يمدح كلتا يديه يمين غير مجلفة

اخر في هذا المعنى وروى زحر اخر ان يمين الله سحا لا يغيضها شيء معناه عطايا الله كثيرة لا ينقصها شيء والى هذا المعنى ذهب المرار الشاعر حيث قال

هما نعمان على لا وابد من عقيل في كلتا اليدين له يمين

والعرب تعبر عن

النعم والافضال باليد واليمين كلاهما روي في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
يوما لشاب اطول كل يدا اسرع كل موتا قال فكن سنا رعن فكانت سوداء اطول
يدا فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت زينب اطولهن يوتا بعده فقلن
كيف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ثم ذكرن انها كانت اطولهن يدا في الخير
فبان ان العرب تعبر عن النعم والافضال باليد واليمين [illegible]
ومثل هذا الخبر ما روي عن النبي صلى الله عليه انه قال المقسطون عند الله يوم القيمة
على منابر من نور عن يمين الرحمن جل وعز وقد تنازل الناس ذلك على تأويلين فمنهم من
قال عن يمين هو من الرحمن على طريقة العرب في الحدف والاضمار كما قال القائل
* واشتب بعدل يا كليب المجلس * يعني اهل المجلس وكما قال الله عز وجل واشربوا
في قلوبهم العجل اي حبه قال بعضهم معنى قولهم عن يمين الرحمن يراد به المنزلة والقرب
والمحل العظيم وهذا شائع في لغة العرب وذلك انهم يقولون كان فلان عندنا باليمين اي
كان له عندنا المحل الجليل والرتبة العظيمة ولذلك قال الشاعر
* اقول لها لما تلفتني اد بلغتني لقد اصبحت عندي باليمين ما الجمل الجليل واذا كان
معروفا في اللغة معتادا فيما بينهم واستحال وصف الله تعالى بالجد والجهة والبعض
والغاية والتالف والمماسة وجب ان يكون محمولا على ما قلنا [illegible]
المعنى ومثل ايضا ما روي في خبر اخر عن ابن عباس انه قال الحجر الاسود يمين
الله في ارضه يصافح بها من يشاء من خلقه وقد تأول اهل العلم ذلك على وجوه من
التأويل احدها ان المراد بذلك ان الحجر كان يمين نعم الله تعالى على عباده بان جعله
سببا يثابون على التقرب الى الله سبحانه بمصافحته فيوجرون على ذلك وقد
بينا ان العرب تعبر عن النعم باليمين واليد كما ذكرنا قبل وزعم بعضهم ان هذا
تمثيل واصله ان الملك كان اذا صافح رجلا قبل الرجل يده فكان الحجر لله سبحانه

بمنزلة اليمين للملك تستلم وتلثم وقد روي في الخبر ان الله سبحانه حين اخذ الميثاق
من آدم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى جعل ذلك في الحجر الاسود فلذلك
تقال عنده ايمانا بالله ووفاء بعهده ليحتمل انها وجها اخر وهو ان يكون معنى قولهم
الحجر يمين الله في ارضه انما اضافه اليه على طريق التعظيم للحجر وهو نحو قول من افعال الله عز وجل
سماه بيتا ونسبه الى نفسه وامر الناس باستلامه ومصافحته لتظهر طاعتهم بالايمان
ويتقربهم الى الله تعالى لتحصيل لهم بذلك البركة والسعادة [illegible]
[illegible] وهو ما روي ان الله تعالى لما قضى خلقه استلقى
ووضع احد رجليه على الاخرى ثم قال لا ينبغي لاحد ان يفعل مثل هذا واكد ذلك بما
روي عن كعب انه نهى الاشعث بن قيس عن ان يضع احدى رجليه على الاخرى وقال
انها جلسة الرب تأويل ذلك اعلم ان قوله لما قضى خلقه اي لما انهم خلق ما اراد ان
يخلق من السموات والارضين وما بينهما ومتعلق في اللغة قضى فلان دينه وصلواته
اذا اداه ومثل قوله تعالى فقضاهن سبع سموات اي خلقهن وقوله عز وجل فاذا
قضيت الصلوة اي اذا فرغتم منها وادديتم وامثاله قوله استلقى فقد تأول اهل
العلم ذلك على وجهين احدهما ان المراد ان الله خلق ما اراد ان يخلق من السموات والارض
وما بينهما ترك ان يخلق امثالها دائما ابدا ولو شاء لادام ذلك لان هذه اللفظة
يستعمل في اللغة والعادة على هذا المعنى كثيرا فيقال مثلا لمن عمل اعمالا ثم ترك
ان يفعل مثلها وديم ذلك اذا قيل للانسان فعل ووضع فانه يكون بمعاناة ومعالجة
وحركة وتعالى الله عز وجل عن ذلك وانما هذا كالمثل المضروب الجاري بين الناس فيقال
لمن فرغ من بناء داره وعمرها فاستلقى على ظهره وان لم يكن قد اضطجع على التحقيق ممن كان له
هيبة من فرغ من علم ولم يرد ان يفعل مثل ما فعل * والتأويل الثاني ان يكون معناه
لما خلق الله سبحانه ما اراد ان يخلقه من هذا الذي خلقها استلقى على معنى الفائدة فيها

تعالى علما

على بعض فجعل السماء فوق الارض والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم وجعل شمسا فوق سماء
الى العرش اطبا قا بعضها فوق بعض ويكون دخول السين والتاء فى القى هاهنا على معنى
ما يدخل فى قول القائل استدعى واستترى ونحوه اذا اراد الدعاء والبراءة فلما خلق
الله عز وجل ما خلق واراد ان يلقى بعضه على بعض قيل له استلق على معنى القائى منه
على شئ وهو على الهيئة المعروفة المعتادة فاساءه ثم وضع احدى رجليه على الاخرى ففيم
ايضا وجهان من التاويل احدهما ان يكون المراد به ان الله عز وجل خلقهم فزيقين وتعجب
وزوجين شقيا وسعيدا وغنيا وفقيرا وصحيحا وسقيما فسمى كل صنف منها رجلا ثم
وضع احداهما على الاخرى بمعناه انه رفع قوما على قوم فجعل بعضهم ملوكا وبعضهم
عبيدا وبعضهم سادة للعشيرة والحشم والوجه الثانى ان يكون عز وجل سمى الجماعة
رجلين لان العرب تسمى الجماعة الكثيرة رجلا ولا تك تقولون مر بنا رجل من جراد اى
جماعة منه فاما معنى التسمية اليه من طريق العقل والملك كما نسبت روح
ادم اليه فاما روى عن كعب فى هذه الاسطقسات عز وجل وضع احدى رجليه على الاخرى
فقد قيل ان كعبا كان ياخذ العلم من الكتب وفى الكتب تحريف كثير مما اخبر به الصادق
صلى الله عليه وسلم انهم حرفوه وبدلوه على ان كعبا لم ينقل ايضا اى رب هو وذلك
لفظ مشترك ويحتمل ان يخرج ذلك ايضا على ان معناه طيب الثناء عليه فيخرج عن الشبه
بهم لان العرب تقول للمعظم الشان المرتب ونحو ذلك ما قال الحليمى فى شعبه عن ابى
عبيدة قال سالته عن الرجل يجلس فيضع احدى رجليه على الاخرى فقال لا باس انما كره
اهل الكتاب زعموا ان الله سبحانه خلق السموات فى ستة ايام ثم استوى يوم
السبت فجلس تلك الجلسة فانزل الله عز وجل ولقد خلقنا السموات والارض وما
بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب وبلغ الحسن ذلك فقال انما ذلك شئ قالته اليهود
تقوله فلما جاء المسلمون انكروا ذلك وروى الزهرى عن عباد بن تميم المازنى عن عمه

عبد الله بن زيد قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا فى المسجد واضعا
احدى رجليه على الاخرى وكان ابو بكر وعمر رضى الله عنهما يفعلان ذلك ذكره
احمد بن [illegible]
وهو من الاحاديث الصحيحة عند اهل العلم
روى قتادة عن انس بن مالك وانس بن عمرو عن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان جهنم لن تمتلئ حتى يضع الجبار قدمه فيها فتقول قط قط وقد روى من
وجه غريب ثابت عندنا مثل النقل فيه ايضا حتى يضع الجبار رجله فيها فتنزوى وتقول
قط قط فاولى بك ذلك اعلم ان هذا الخبر مما طلبه اهل العلم قديما وحديثا تاويله
لحسن طريقه وصحة سنده وقد حمل كل فريق منهم ذلك على ما يتاول سواه من
ذلك ما يروى عن النضر بن شميل انه كان يقول ان معنى القدم ههنا هم الكفار الذين
سبق فى علم الله عز وجل انهم من اهل النار وحمل معنى القدم على انه هو المتقدم لان العرب
تقول للشئ المتقدم قدم وقديم وعلى ذلك تاول المتاولون قوله عز وجل وبشر
الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم اى سابقة صدق وقال ابن الاعرابى القدم
هو المتقدم فى الشرف والفضل خصوصا والقدم هو القديم وان لم يكن فيه شرف
قال وضاح اليمنى صل لربك واتخذ ربما يحبك يوم العثار والزلل
اراد بذلك معنى من الفضل يتقدم به وقال اخر فقدمت به قدم الفخار فعودت
انسابه مرفصة من حالق اراد بذلك ما تقدم من الشرف وما يفتخر به
انه عدم ذلك وفقده وقال الحجاج زل بنو العوام عن الحكم
ولشى الملك لملك دى قدم اى متقدم فى الشرف والملك وقال بعضهم القدم
خلق من خلق الله تعالى يخلقه يوم القيمة فيسميه قدما ويضيفه اليه من طريق
الفضل والملك يضعه فى النار فتمتلئ النار منه وقال بعضهم ان المراد بالقدم
ههنا قدم بعض خلقه فاضيف اليه كما يقال ضرب الامير اللص فقطع يد اللص

اليه على معنى وحكمه وقال بعضهم ان الجبار ههنا يحتمل ان يكون اريد
به الموصوف بالتجبر من الخلق لان ذلك من الاوصاف المشتركة وليست هي من الاوصاف
الخاصة به يقال وذلك من وصف الكفار الا اسمع قوله جل وعز كل جبار عنيد فوصف
وصف الكافر فاذا كان ذلك احتمل ان يريد بقوله الجبار بعض الجبابرة وهم الكفرة
المعاندون اراد تعريفنا امتلاء النار منهم وان جهنم لن تمتلئ الا بهم وقال بعضهم
الجبار ههنا ابليس وشيعته وذلك انه اول من استكبر على الله سبحانه فقال
الله عز وجل في وصف الا ابليس استكبر وكان من الكافرين والتجبر والاستكبار بمعنى
واحد وجهنم تمتلئ به وبشيعته واتباعه والاستكبار يكون بالجوارح والاعضاء
واذا احتمل لفظ القدم بهذه المعاني فكذلك يحتمل لفظ الجبار ان يراد به عز الله سبحانه
من المتجبرين والمستكبرين لم يكن لحمله على ما لا يليق بالله سبحانه من اضافة الجوارح والاعضاء
اليه وجه فاما معنى ورود هذا الحديث على لفظ الرجل فقد قلنا ان هذا امر ثابت عند
اهل النقل وان ثبت المعنى لا يخلو من الوجوه التي ذكرناها اما ان يراد به رجل
بعض خلقه واضيف اليه ملكا وفعلا او يراد به رجل من المتكبرين من خلقه اما
اولهم وهو ابليس او من بعده من اتباعه وقد قيل ايضا ان الرجل اللغة يقال للجماعة
الكثيرة تشبيها برجل اجراد لان الحرب تقتل من كل رجل جرادا اي قطعة منها
فيكون معنى الخبر حتى يدخلها خلق كثير يشبهون في الكثرة جماعات الجراد ومن ذلك
انشد قول القايل حتى نزوا اليهم من اجل اليمامة من ارجل اي جماعات كثيرة
واذا كان هذا معروفا في اللغة فحمل الخبر على مثل هذا اهدى الى الحق واولى في صفة الرب
الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير واما قوله فيقول قط قط وفي اي حسبي وعزتك
كما قالت العرب امتلأ الحوض وقال قطني سهلا ورويدا قد امتلأت بمعنى
وقيل ايضا ان ذلك حكاية صوت جهنم وقد روي في نحو ذلك عن النبي صلى الله عليه
وسلم

انه قال كثافة جلد الكافر في النار مسيرة اربعين ذراعا بذراع الجبار وهذا يبين لك
ان لفظ الجبار ليس مما لا يستعمل الا في صفة الله عز وجل لان المراد بالجبار هاهنا المو
بطول الذراع وعظم الجسم والعرب تقول نخلة جبارة اذا كانت طويلة يفوت اليد
طولها وهكذا قال الله تعالى وما انت عليهم بجبار فاذا كان لفظ الجبار محتملا لما قلنا
ولا يسوغ وصف الله سبحانه بالاعراض والاجزاء وكان حملنا له على ذلك يفيد فائدة
متجددة لم يكن لنا على ما لا يليق بالله سبحانه وجه يوهم الجارحة والالة والعضو والاداة
وصفته [illegible] لما يقتضي تأويلها وليس في شيء مما ذكرناه التناقض
هذا الباب مما دخل في معناه وهو ما روي عن عبيد بن عمير انه قال ان الله عز وجل
يقول للقلم ويوم القيمة مر بين يدي فيقول اني اخاف ان يدحضني خطيتي في النار
فيقول اني اخاف ان يدحضني خطيتي فيقول خذ بقدمي فيأخذ بقدمه فيمر قال
فتلك الزلفى التي قال الله سبحانه وازلفنا عنده ان لزلفى وحسن مآب ذكرنا وتلك
اعلم اولا ان عبيد بن عمير ليس بحجة ولا هو ممن يجوز ان يعتقد في الله سبحانه انه
محدود بقوله على انا نذكر لكلامه وجها صحيحا وتأويلا قريبا فمقول يحتمل ان يكون
معنى قوله عز ذكره لداود عليه السلام مر بين يدي اي حاسب نفسك قبل ان
اسايلك فيكون محاسبتك نفسك اخذا عليك بها قبل ان اسايلك عنها ويصدق
ذلك قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله اي لا تسبقوا افعالكم الله عليكم في الشرع
فكذلك قوله لداود عليه السلام مر بين يدي اي خذ في محاسبتك لنفسك قبل
مسايلتي لك فمقول داود اخاف ان يدحضني خطيتي اي ان حاسبت نفسي ولم انصف
عني في محاسبتي لنفسي بان تستر علي وتعفو عني وكذلك في خلف تأويل مالك
ذلك لما قال مر من خلفي فقال اخاف ان يدحضني خطيتي اي لما خاف ان يبتدي لحما
نفسه فقال فابتدي المسايلة لتكون جوابك بعد ما اسالك فخاف مثل ذلك

فقال خذ نقدمي اي بما قدمت لك من العفو والغفران والرحمة فقد ضحكت عنك
وغفرت لك وتقدم حتى بذلك لك سائر ما تولى وما يهيئ لك ان مثل هذا اللفظ قد
يستعمل فيما ليس محدودا ايضا ولا متناهي ولادي جوارح قوله تعالى لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولم يرد الاخلفه لم اراد بذلك فيما تقدم من
قول الكافرين ولا الباطل الذي يأتي من بعده وقوله خذ نقدمي البك كما
تقال فيما بينكم تحدث بحسناتي اليك ودع ما اساءت الي ولا تأخذ به والذي يريد
جميع ذلك قوله في اخر القصة فذلك الذي قال الله عز ذكره وازلفه عندنا
لزلفى وحسن مآب ولنكشف لك عن المراد انه اريد به ما ذكرنا من تقدم
الرحمة له لاقدم الكافرة على النحو الذي تاولنا عليه قوله حتى يضع الجبار قدمه
فيها وفسر المفسرون قوله عز وجل لم قدم صدق ان كذا بسبق يرجع الى الكافرة
والالة واذا احتمل من طريق العربية ما ذكرنا وكان مثله في الخطاب مستعملا وفي
العرف جاريا كان ما حملته عليه اولى مما توهمه المشبهة من اثبات الجوارح والاعضاء
لله سبحانه واولى ما ذهبت اليه المعطلة من مبطلي هذه الاخبار لما بيناه من الفوائد
التي تتعلق بها ما شهد بمثله القرآن وكثر في الاخبار الصحاح

ومن ذلك ما روي مالك عن الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يضحك الله تبارك وتعالى الى رجلين يقتل احدهما الاخر كلاهما
يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله ثم يتوب الله على القاتل فيقاتل
في سبيل الله فيستشهد وكذلك ما روى ابو نعيم الفضل بن دكين عن اسمعيل بن
عبد الملك عن عامر بن سعيد قال جاءني امير المؤمنين علي رضي الله عنه حلفته حتى
سرينا الى جانب الكوفة ثم رفع راسه الى السماء وقال اللهم اغفر لي ذنوبي انه لا
يغفر الذنوب احد غيرك ثم التفت الي فضحك فقلت يا امير المؤمنين استغفارك

لذنبك والتفاتك الي ضاحكا لما ذا فقال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه
الى موضع ذلك ثم رفع رأسه الى السماء قال اللهم اغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب
احد غيرك ثم التفت الي فضحك فسألته عن ذلك فقال عجبت لضحكك يتعجب لعبد
انه لا يغفر الذنوب احد غيره وحدث عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل ليضحك الى ثلثة رجل قام في جوف الليل فاحسن
الطهور ثم صلى ورجل نام ساجدا ورجل يخاصم كتيبة منهزمة على فرس جواد ولو شاء
ان يذهب لذهب وما روى عن عبدي بن عمير ان الله عز وجل يضحك في كل يوم وليلة
مرتين وما روى عنه صلى الله عليه وسلم قال يضحك ربنا من قنوط عباده قال
ابو رزين قلت يا رسول الله يضحك الرب قال لم يعدم من ربك يضحك خيرا

اعلم ان هذا الحديث من الاخبار المشهورة عندنا اهل النقل وبعضها ابين من بعض
من ذلك ان لفظ الضحك مشترك المعنى في اللغة وتختلف احكامه باختلاف من يضاف اليه
ويوصف به وليس هو من الالفاظ التي تختص بمعنى واحد حتى لا يقبل غيره ومن ذلك ان
العرب تقول ضحكت اسنان الرجل وتعرفه اذا وصع على وجه مخصوص ضحك
وكذلك تقول ضحكت الارض بالنبات اذا اظهر فيها النبات وانفتق عن زهره
وكذلك قالت العرب لطلع النخل اذا انفتق عنه كافوره الضحك لاجل ذلك يسمون
منه مع البياض الظاهر كياض الثغر ويقولون ضحكت لطلعا اذا ظهر منها ما كان مستترا
وكذلك قال القائل يصاحك الشمس منها كوكب شرق وانشد ابن الاعرابي لابي الربيع

اما ترى الارض قد اعطتك زهرتها مخضرة واكتسا بالنور عارتها
وللسما كاءي جوانبها وللربيع ابتسام في نواحيها

يريد بالابتسام طلوع النبات وطلوع النور عليها وانشد بعضهم لمعن وكذلك ايضا
قول القائل كل يوم تأتي جديد تضحك الارض من بكاء السماء وكذلك قول القائل

وضحك المزن هو بكى يريد بالمزن السحاب وبضحكه البرق الذى نظهر منه وبكائه
المطر وحكى عن بعضهم ان الحوب تقول للطريق الواضح البين هذا طريق ضاحك
وهذا طريق لاحب اذا وصفها بالظهور واعلم ان مرجع معنى الضحك فى جميع هذا
الذى ذكرنا الى البيان والظهور وان كل من ابدا عن امر كان يستره فانه يقال له
ضحك وكذلك يقال لمن بين عن المكتوم واظهر عن المستور ذلك فعلى هذا معنى اكبر
فى قوله صلى الله عليه وسلم يضحك الله اى يبدى الله جل ذكره من فضله ونعمه وتوفيقه
لهذين الرجلين المقتولين فى سبيل الله الذى قتل احدهما صاحبه ثم قتل قاتله بالشهادة
ما بان من بعد توبته من قتله وبين من توبتهما واظهر من كرامته لهما وكذلك معنى
ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى آخر الاخبار انه قال ضحك الله الى اى اظهرت
انا عن استائى ففرج ظهر ردى سخاءه وضاء وكرمه قال هذا القول وهو قوله
اللهم اعزلى دينى انه لا يغفر الذنوب احد غيرك واذا كان الضحك عبارة استعمل فى
اللغة على وجهين مخصوصتين منها تكشر الاسنان وفتح الفم ومنها ظهور المنكتم من الامور
وبروز المستتر من الفضل وكان يستحيل وصف الله تعالى بالجوارح والتغير تحلوله
الحوادث فوجب ان يكون محمولا على ما يليق فى وصفه وذلك هو الابانة عن فضله والا
لنعمه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لابى رزين العقيلى لما قال له يا رسول الله اما نضحك الرب
فقال لن نعدم من رب يضحك خيرا وهذا منه عليه السلام اشارة الى وصف الله
تعالى لقدره على فعل النعم وكشف الكرب والبيان عن الخفيات والكشف عن الامور
المستورة فرقا بينه وبين الاصنام التى لا يرجا منها خير ولا شر واذا كان ذلك رجوعا
الى القدرة على الافعال بالرد والنفع فقد صح ما قلنا وبين عليه السلام بذلك ما اليه
اشرنا فاما ما يتبين ذلك من الخبر المروى فى هذا المعنى بقوله عليه السلام لابى رزين
العقيلى لن نعدم من رب يضحك خيرا اى يبدى من فضله ويظهر من منته ما يبدى

الضاحك مما يستر منه تشبيها به فى معنى اظهار ما كان مكتما وابدا ما كان مختفيا واذا
احتمل التاويل اذكرنا واستحال وصف الله جل وعز بالجوارح والاعراض وجب ان نحمل ما
قلنا ذكره خبر اخر ما يتبين ذلك فيه ظاهر من التشبيه
وهو ما روى سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عبد الله بن عمرو
قال خلق الله تبارك وتعالى الملائكة من شعور ذراعيه وصدره ومن وفور ذلك
ذلك الحديث ان اول ما فيه ان عبد الله بن عمرو رحمه الله وقعا الى علي عليه السلام وقد قتل
ان عبد الله بن عمر اصاب سفرين من الكتب يوم اليرموك فكانوا يقولون له اذا
حدثهم حدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحدثنا عن سفريك يوم
اليرموك بينا فيما قبل ان الذى ذهب الى ظاهر التشبيه وحمل الامر فى مثل معنى
هذا الخبر على ما هو جوارح الانسان واعضاؤه فهم اليهود ولذلك كان وهب بن
منبه يقول انما ضل من ضل بالتاويل يريد ونحو كتب دانيال انه لما علا الى السماء
السابعة فانتهى الى العرش راى شخصا ذا وفره فتاول اهل التشبيه على ان ذلك
ربهم جهلا منهم بالتاويل وانما ذلك ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم على ان هذا الحديث
قد رواه اسامة ولم يقل فيه ذراعيه وصدره بل قال من نور الذراعين والصدر
مطلقا غير مضاف واذا كان ذلك لم ينكر ان يكون ذلك صدرا وذراعين لبعض خلقه
ولم ينكر ايضا ان يكون الصدر والذراعان من اسماء بعض مخلوقاته وقد وجدنا فى النحوم
ما يسمى ذراعين فليس بمستنكر ان يسمى بهذا الاسم غيره من الخلق فيكون ما خلق من
الملائكة خلق من ذلك ويكون لفائدة فيه التشبيه على ما ذكرته عز وجل من خلق الخلق
وانشا المخترعات وانه لا يجوز عظم ما خلق ولا يجوز [illegible] فيذلك تاويل قوله
تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا ان الروح ملك من الاملاك يكون وحده صفا
والملائكة كلها باز ايه صفا فاما ما روى حديث سفيان بن عيينة من قوله ذراعيه وصدره

فيحتمل ايضا ان تشاول على ان ذلك اضافة من طريق الملك ونسبه من طريق الفعليه كما
قال في ضمادم ونفخت فيه من روحي فاضاف الروح الى نفسه اضافة ملك وتدبير لا اضافة
تروح بها او حلول في ذاته تعالى والذي يويد ذلك ما كان يقوله ابن شهاب اذا روى
هذا الحديث ومثله فانه كان يقول عند ذلك والادراع كلها لله سبحانه والاصابع
كلها لله سبحانه ليشير الى معنى الملك العام كسائر الملوك وهذا نظير ما يحكى عن
الادراع عند روايته لخبر النزول وذلك انه كان يقول عند ذلك وينعل الله بما
يشاء فعرفهم ان ذلك تنزل فعل لا تنزل تحرك وانتقال من مكان الى مكان وهذا بين
لذي صحة وما وما اليه من ازهذه الاضافه من طريق الملك والفعل لان سبيل ما يضاف
اليه عز ذكره لا يخرج عن مثل هذا المعنى اذا لم تكن الاضافه على طريق اضافة الصفة
الى الموصوف بها من حيث القيام بذاته على الوجه الذي يوجب له اشتقاق الاسم والحكم
فان قيل فاذا اجريتم هذه الطريقه فكيف انكرتم قول النصارى حيث قالوا ان
عيسى ابن الله على طريق الكرامة او على طريق الملك والفعل قيل
الاصل في هذه الاضافات هذه الاوصاف الخاصه التي تجري من طريق الملك والفعل
على ما يضاف به السمع ولا يجوز اطلاق شيء من ذلك على الوجه الخاص الا بان يتقدمه
سمع ولذلك يكون الامر فيه مقصورا عليه ولا يتعداه وكن فلم نجد في شريعتنا
اطلاق ذلك بل وجدنا في الشريعه ما يحظر ذلك ولا يجوز اطلاقه نوجه واعلم
انه قد يصح معنى الوصف والاضافة في ذكر الله عز وجل مع شيء من افعاله من طريق
المعنى من حيث اجازته العقول له ثم لا يسوغ اطلاق الاسم فالوصف والاضافة
في ذلك من حيث حظر الشرع منه او من حيث لم يرد به سمع لقيام الدلالة على
ان هذا الباب مقصور على السمع فقط ولا مجال للعقل فيه فلذلك كان اطلاقه
موقوفا على ما خصّ السمع به دون ما لم يرد به سمع وهذا جواب عن سائر ما يكل ان

فسل عنه في هذا الباب من ذكر تخصيص بعض الاسماء والاضافات الى الله سبحانه دون بعض
ما علم وينعل وكل من حاد عن مثل هذه الطريقه في هذا الباب لم نجد فضلا بين
الامرين من جهة العقول فيفهمه ان شاء الله عز وجل ذكر خبر

وظاهره التشبيه تاويلا ومعنى، روى ابو رافع عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى يوم القيمه يا ابن ادم مرضت فلم تعدني
فيقول اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده ويقول يا ابن ادم استسقيتك
فلم تسقني فيقول يا رب وكيف اسقيك وانت رب العالمين فيقول تبارك وتعالى اما
علمت ان عبدي فلانا استسقاك فلم تسقه اما علمت لو انك اسقيته لوجدت ذلك
عندي قال فيقول يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمني قال فيقول يا رب وكيف اطعمك
وانت رب العالمين قال فيقول اما علمت ان عبدي فلانا استطعمك فلم تطعمه
اما انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي تاويل ذلك علم ان الذي يجب ان يتبين
من هذا الخبر قوله اما لو عدته لوجدتني عنده فما معناه لو مرضت فلم تعده لم
صلى الله عليه وسلم وبين ان معنى ذلك اشارة الى مرض وليه فاضافه الى نفسه اكراما
لوليه ورفعا لقدره وهذه طريقه معتادة في الخطاب عربيه وعجميه وذلك ان
يخبر السيد عن نفسه ويريد عبده اكراما له وتعظيما حتى كانه هو نوع من جلالته
وعظم منزلته مساواته له في المنزله والجلاله وعلى هذه الطريقه يحمل قوله جل ذكره
ان الذين يحادون الله ورسوله وقوله ان الذين يوذون الله ورسوله وقوله ان تنصروا
الله ينصركم وما جرى هذا المجرى من الآي والاخبار ذكر فيها نفسه واراد اولياءه
وانبياءه وعلى مثل هذا يحمل قوله تعالى فلما اسفونا انتقمنا منهم اي اسفوا اولياءنا واغضبوا
انبيائنا والناصرين لدينا اولمن كان على مقامهم استحاله ان يغضب الله عز وجل او ان
يوذيه او يحاربه فاما قوله اما انك لو عدته لوجدتني عنده فمعناه اي وجدت رحمتي

اي يتبين ويكشف امرك
وانت رب العالمين
فيقول اما علمت ان
عبدي فلانا مرض
فلم تعده ؟

التي

وفضل وتوابي وكرامتي دعيا دنك له وهذا ايضا كالاول في باب انه ذكر الشيء بامثله
واريد غيره كقوله عز وجل واسئل القرية واشربوا في قلوبهم العجل وهذه طريقه
مقتادة عز مستنكر واذا كان كذلك فالاولى ان يحمل الخبر عليه وعلى شبيه تاويل قوله
عز وجل ووجد الله عنده على معنى انه وجد عقابه وحسابه فدل الله تعالى
واضاف الفعل اليه والمراد فعل على النحو الذي بيناه تظاير في كلام العرب ومثاله
ايضا قوله صلى الله عليه في اخذ هذا جبل يحبنا ونحبه ومعنى ذلك اهل
الساكنون بفنائه والمقيمون في ساحته ويحبهم واذا اشتمل الخبر ما ذكرناه لا يجوز
على الله سبحانه الحلول في الاماكن لاستحالة الكون محدودا متماسا وذلك لاستحالة الكون
محدثا وجب ان يكون محمولا على ما قلنا ذكر اخبارا يضع [illegible]

ذكر صفوان بن محرز انه كان يماشي عمر فقال له
يا ابا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى قال سمعته يقول
يدنا المؤمن منه يوم القيمة حتى يضع الجبار كنفه عليه فيقرره بذنوبه فيقول له
هل تعرف فيقول له رب اعرف فيقول له هل تعرف فيقول رب اعرف فيقول
عز ذلك اني سترتها عليك في الدنيا واني اغفرها لك فيعطى صحيفة حسناته واما
الكافر والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على الله تاويله
اما قوله صلى الله عليه وسلم يدنا العبد من ربه يوم القيمة معناه اي يقرب من رحمته
وكرامته وعطف ولطفه هذا سائغ في اللغة ان يقال فلان قريب من فلان ويراد به
قرب المنزلة وعلو الدرجة عنده وعلى هذا يقال ان اولياء الله قريبون من الله كما
ان اعداه بعيدون من رحمته وبعني بذلك قرب المنزلة وعلو المرتبة ويراد ببعد اعداء
الله منه بعدهم من رحمته وكرامته وكذلك قيل ان الله عز وجل قريب من اوليائه
بعيد من اعدائه ويقال ايضا هو قريب من خلقه والمعنى قربه منهم عالما بظواهرهم

وبواطنهم وقدرته على اوائل امورهم واواخرها وعليه تاويل قوله ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد وقوله ونحن اقرب اليه منكم لان ذلك يرجع الى القرب بمعنى العلم
والقدرة والسمع والبصر فاما الذي هو قرب بمعنى الكرامة فهو كقوله تعالى فكان
قاب قوسين او ادنى فان المراد به قرب المنزلة وتوفير الكرامة فاما قوله تعالى
ان رحمة الله قريب من المحسنين فتوسع لان الرحمة لا توصف بالعلم والقدرة ولا
بالاكرام والفضل فاذا كان سائغا في اللغة كان قوله يدنا العبد من ربه يوم
القيمة محمولا على مثل الاستواء والمساواة والمشافهة وبعد المكان والنهاية على الله
جل ذكره فاما قوله صلى الله عليه وسلم فيضع الجبار كنفه عليه فانه يبين ما اشرنا
اليه في معنى الدنو وانه على تاويل قرب المنزلة والدرجة وذلك ان لفظ الكنف
انما يستعمل في مثل هذا المعنى الا ترى انه يقال انا في كنف فلان وفلان في كنفي اذا
اراد ان يعرف ايساغ فضله وعطفه وتوفر عليه فاما ما روى بعض الرواة
حتى يضع اخباره كنفه عليه فذكر جمع من اهل العلم ان ذلك تصحيف من الراوي لان
الاثبات قد ضبطوا هذا الحرف على الوجه الذي ذكرناه بالنون واذا كان ذلك
مضبوطا والمعنى الذي حملناه عليه مشهورا كان اولى مما قالوا مع انه ان صح ذلك فانه
يؤول الى معنى ما ذكرنا مع انه عز جاز في الخطاب والاستعمال في اللسان مثل ان يقال
وضعت كنفي على فلان يعني اني رحمته وتعطفت عليه وان يؤول ذلك على الوجه الا
وجعل الكنف ها هنا مستعملا في معنى النعمة كما يستعمل اليد والاصابع على معنى
النعمة والاثر الحسن والكرامة كان طريقا ويكون استعمال الكنف في معنى اليد كما يستعمل
اليد والاصبع على معنى النعمة لانها اصل وبعضها ما جاوره ويكون استعمال ذلك
فيه مجازا هذا اذا صح انه قد ضبط ذلك بالتاء على الوجه الذي قالوا مع انه غير
معروف ولا مضبوط فاعلم

مما يوهم المكان

وهو من الاخبار المشهورة عند اهل النقل ودلك مما يتعلق بذكر المكان وقد روى في معناه
اخبارا يستدل بها او لا فاولا ان في ذلك ما روى في الجزء الذي عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم
ما اردت عتقها في الكفارة فقال عليه السلام لها اين الله فاشارت الى السماء فقال عليه السلام
اعتقها فانها مومنة ذكرنا وبيان هذا الخبر اعلم ان الكلام في ذلك من وجهين
احدهما في دليل قولنا ان الله مع استحالة كونه في مكان والثاني قوله انها مومنة من
غير ظهور عمل منها فاما الكلام فيما يتضمن قولنا ان الله قائم ظاهر اللفظ يدل على ان
ان ذلك موضوع السوال عن المكان واستخبار عن مكان المسول عنه بان اذا
قيل لمن هو ودلك ان اصل اللفظ قالوا المائل على اصل اللسان في الاستفهام عن المكان
ان يقولوا اهو في البيت ام في المسجد او في السوق او في قعر الدار ووضعوا لفظ تجمع
جميع الامكنة يستفهمون بها عن مكان المسول عنه ما هو واصل معنى هذه الكلمة
غير انهم قد استعملوها في غير هذا المعنى توسعا ايضا تشبيها بما وضع له ودلك انهم يقولون
عند استعلام منزله المستعلم عند من يستعلم اين منزله فلان منك وابن فلان من القبر
وقد يستعملونه ايضا في استعلام الفرق بين الرتبتين بان يقولوا ابن فلان من فلان وليس
يريدون المكان ولا الحاضر طرق النحاة ورفع النفاع بل يريدون الاستفهام عن الرتبة
والمنزلة وكذلك يقولون لفلان عند فلان مكان ومنزله ومكان فلان في قلب فلان
حسن ويريدون بذلك المرتبة والحظوة في القرب والبعد والاكرام والاهانة واذا
كان ذلك مشهورا في اللغة احتمل ان يقال ان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اين استعلاما
لمنزلته وقدره عندها وفي قلبها فاشارت الى السماء ودلت باشارتها على انه في السماء
عندها على قول القائل اذا اراد ان يخبر عن رفيعه وعلو منزلة فلان في السماء اي رفيع
عظيم الشان رفيع المقدار لدلك قولها في السماء على طريق الاشارة الى انها تنتهي على محل
في قلبها ومعرفتها به وانما اشارت الى السماء لانها كانت خرساء فدلت باشارتها على
مثل دلالة العبارة على نحو هذا المعنى واذا كان دلك لم يجز ان يحمل غير ما يقتضي ظاهر التشبيه

والتمكن في المكان والتكييف ومن اصحابنا من قال ان القائل اذا قال ان الله تعالى في
السماء فيريد بذلك انفوقها من طريق الصفة لا من طريق الجهة على نحو قوله سبحانه انتم
من في السماء ثم تاول ذلك فاما قوله صلى الله عليه وسلم اعتقها فانها مومنة فيحتمل ان يكون قد
عرف اسلامها بوحي فاخبر بذلك عند ظهور اشارتها التي هي علامة من علامات الايمان
ويحتمل ان يكون سماها مومنة على الظاهر من حالها وان ذلك القدر يكفي في المطلوب من ايمان
من يراد عتقه وانه لا يعتبر بعد ذلك ظهور الاعمال والوفاء بالعبادات وذكر الجد في هذا
المعنى وما له ومعناه نظر الحسن في باب السوال عن المكان فاما روى ان سايلا سال
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اين كان ربنا قبل ان يخلق السماء قال عليه السلام كان في عماء ما
تحته هواء وما فوقه هواء فهذا كما ترى انما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
بلفظ اين عن انه لم ينكر على السايل وظن الاول قال صلى الله عليه وسلم ان الله
فهذا اقوى من ان يكون سوالا عن المكان على ان قوله صلى الله عليه وسلم في عماء يحتمل ان
يكون بمعنى فوق كما قال عز وجل فسيحوا في الارض اربعة اشهر اي فوقها وكما قلنا في تاويل
قوله تعالى امنتم من في السماء ان معناه ان اراد من فوقها وقد روى هذا الخبر على وجهين احدهما
بالمد وهو ان يقال في عاء ممدودا والعاء في اللغة هو السحاب الرقيق وروي مقصورا وهو
ان يقال في عمى فاذا روي مقصورا احتمل ان يكون المعنى انه كان وصف ولم يكن شيء معه
سوى فشبه العدم بالعمى توسعا لاستحالة ان يرى ما هو عدم كما يستحيل ان يرى
بالعمى مكانه قال انه لم يكن شيء سوى ولا فوق ولا تحت ولا هواء ومن قال كان في عماء بالمد
كان سبيله ان يجريه على نحو ما تاولنا عليه امنتم من في السماء وذلك بمعنى القهر والتدبير
والمفارقة له بالصفة والصفة دون التحيز والمحل وايهما واذا احتمل ما قلناه لم
يكن للفظ ما يخص معنى واحدا كان حمله على ما قلناه اولى لانه لا يودي الى التشبيه
والتعطيل وتحديد ما لا يجوز ان يكون محدودا فاعلم ان شاء الله عز وجل
ذكر الخبر في [illegible] وتاويل معنى ما يشاكل هذا الجزء مما روى انس بن مالك

قال كان جبريل عليه السلام عند النبي صلى الله عليه فانا ملك فقال اين تركت ربنا
قال في ارضين فجاءه اخر فقال اين تركت ربنا قال في سبع سموات فجاء اخر فسأله مثل
ذلك فقال في المشرق وجاء اخر فسأله اين تركت ربنا فقال في المغرب بيان وبيان
اعلم ان التلجي جعل دلك على ما يذهبون اليه من القول بان الله تعالى في كل مكان وزعم انه
نظير ما دلت عليه الاية في قوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وقولهم عز وجل
وهو الله في السموات وفي الارض وكان مذهب مذهب النجار في القول بان الله عز وجل
في كل مكان وهو مذهب المعتزلة وهذا الذي عندنا منكر لاجل انه لا يجوز ان يقال ان الله
تعالى في مكان او في مكان من قبل ان ظاهر معنى في وما وضع له في اللغة هو الوعاء والظرف
وذلك لا يصح الا ان الاجسام والجواهر فاما قوله عز وجل وهو الله في السموات وفي الارض
فان معناه عند اصحابنا ان الله يعلم سركم وجهركم الواقعين في السموات والارض والسموات
والارض هي محال السر والجهر الواقعين لانها محال لله عز وجل ولا يصح الوقف على قوله تعالى
وهو الله في السموات وفي الارض دون ان يوصل بقوله يعلم سركم وجهركم فان قال قائل
فما معنى اذ لم يذكر فيه العلم لما اطلقوا القول فقال في الشرق وفي المغرب وفي السموات
وفي الارض قيل ان صح هذا الخبر فمعناه انه فوقها واستعان في بمعنى فوق ظاهرا
اللغة منتشر منه قولهم عز وجل فسيحوا في الارض اي فوقها ومنه قوله لاصلبنكم في جذوع
النخل اي على جذوع النخل وعليه تناول قوله افتنم من في السماء ان يرسل عليكم
من فوقها واذا كان ظاهرا في اللغة استعمال في بمعنى فوق وقد قال تعالى وهو القاهر فوق
عباده وقال عز وجل يخافون ربهم من فوقهم واطلق المسلمون ان الله تعالى فوق خلقه كان
حمله على ذلك او لى وعليه تناول ايضا قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله هو فوق
السماء الله وفوق الارض اله وانشد بعضهم لبعض الشعراء

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة ... فلا عطست شيبان الا بأجدعا

معناه على جذع نخلة واعلم انا اذا قلنا ان الله عز ذكره فوق ما خلق لم نرج به الى فوقية

المكان والارتفاع على الامكنة المساوية والاشراف عليها بالمماسة بشيء منها بل قولنا انه
فوقها يحتمل وجهين احدهما ان يراد به انه قادر لها مستول عليها انشأها لاحاطة قدرته
وشمول قهرها وكونها تحت تدبيره جاريا لي حسب علمه ومشيته والوجه الثاني
ان يراد به انه فوقها على معنى انه مباين لها بالصفة والنعت وان ما يجوز على
المحدثات من العيب والنقص والعجز والافتقار الحاجة لا يصح شيء من ذلك عليه ولا يجوز وصفه
به وهذا ايضا متعارف في اللغة ان يقال فوق فلان وبيراد بذلك رفعة المرتبة والمنزلة
والله عز وجل فوق خلقه على الوجهين جميعا وانما يمتنع الوجه الثالث وهو ان يكون
على معنى التحيز في جهة الاختصاص بسقعه دون بقعة واذا قلنا انه فوق الاشياء على
هذا الوجه قلنا ايضا في تاويل اطلاق القول بانه فوقها على مثل هذا المعنى وقد رأينا من
طرق اللغة تعاقب هذين الحرفين على الوجه الذي ذكرنا شواهده من اشعار العرب
سؤال فان قال قائل فاذا الزمتم ان يقال انه في السماء وفي الارض على معنى انه فوقها
افتجيزون ان يقال انه في كل مكان على هذا المعنى قيل انما اطلق من ذلك ما ورد به اثر ونطق به
سمع وليس للقياس عندنا في ذلك مدخل بوجه من الوجوه قلنا ان صح هذا الخبر
كان طريق تاويله على طريق تاويل الاية في قوله عز وجل امنتم من في السماء وانما زعم مخالفونا
انه واجب ان يقال ان الله تعالى في كل مكان ورد به خبر وانه لم يرد سوى من وافقنا
منهم في اصل اسمائه غير التوقيف خصوصا والتوقيف على هذا الوجه بان الله تعالى في كل مكان
فمتى ما رجعوا في اطلاق ذلك الى العلم والتدبير كان معناه صحيحا واللفظ ممنوعا الا ترى انه
لا يسوغ ان يقال ان الله تعالى مجاور لكل مكان او مماس او حال او متمكن فيه على معنى انه عالم بذلك
مدبر له فاما قولهم ان هذا على سبيل قولهم فلان في بناء دار وفي صلاة وعلم على معنى انه
يدبر فيها فليس هو ايضا خطأ لان ما ذكرتم هو من الكلام المقلوب كقولهم ادخلت القلنسوة
في راسي وادخلت القبر زيدا وادخلت الخف في رجلي وانما يدخل الرجل في الخف ويزيد

الفرا والراغب القلقشندي وكذلك العمل في فلان والبناء فيه الا انه هو في العمل ومثل هذا في الكلام
ما لا ينقاس ولا يصح ان يجعل اصلا لانه نوع من المجاز وانما تحمل الحقايق الاصول وتستخرج
معانيها اذا كان لاستعمال القياس وذكر بعض اهل هذا القول يكفي في الاشارة الى فساد
قول البلخي ومن ذهب مذهبه في اطلاق القول ان الله تعالى في كل مكان وحمل هذا الخبر على هذا
مذهب فيه واعلم ان شاء الله تعالى في ذكر خبر ما يقتضي الرضى ويوهم ظاهره
وهو ما روى ابو داود الخ عن النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله افرح
بتوبة العبد من العبد اذا اضل راحلته في ارض فلاة في يوم قايظ ورحلته عليها زاده
ومزاده اذا صلت راحلته ايقن بالهلاك واذا وجدها فرح بذلك فالله اشد فرحا بتوبة
عبده من هذا العبد بوجود راحلته ونظير ايضا ما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لا يطا الرجل المساجد للصلوة والذكر الا يتبشبش الله تعالى اليه حين
يجرح كما يتبشبش اهل الغايب بغايبهم اذا قدم عليهم تا وتعالى لعلم ان الفرح
في كلام العرب على وجوه منها الفرح بمعنى السرور ومن ذلك قول الله تعالى حتى اذا لتم في الفلك
وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا اي سروا بها وهذا المعنى لا يليق بالله عز وجل لانه يقتضي
جواز التشهي والحاجة عليه وسل المنفعة تعالى عز ذلك ومنها الفرح بمعنى البطر
والاشر من ذلك قوله تعالى ولا تفرحوا بما اتاكم وقوله تعالى ان الله لا يحب الفرحين وقوله
انه لفرح فخور يعني بذلك فرح البطر والاشر ومنه قول الشاعر

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ولا جزع من صرفه المتقلب ٭ اي لست ببطر ولا
اشر وان واتاني الدهر بما عدني والوجه الثالث من الفرح ان يكون بمعنى الرضا من
ذلك قوله عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون اي راضون ولما كان من يسر بالشيء يقال فرح به
قيل انه فرح على معنى انه به راض ومعنى الخبر يحمل على ذلك لان البطر والسرور لا يليقان بالله
تعالى ويكون معنى ذلك ان الله تبارك وتعالى ارضى بتوبة العبد من رضى من قعيد
ضالته واعلم ان الرضا على اصولنا انما يتعلق بمن في المعلوم انه يوافي ربه على الايمان
والطاعة وان من وفقه الله تعالى للتوبة من معاصيه فقد رضي ان يكون ممن باعلى الخيرين لا
منه الطاعة والعباد ولم يزل الله عز وجل عنهما راضيا عمن يعلم انه يموت على الايمان مزكا
له ما دام حاشيا عليه بالايمان والخير والبر ويكون في هذا الخبر على ما ذكرنا تعريفنا ان الله
عز وجل هو التايب على العبد ليتوب كما قال تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا ويدل على صحة ما
نقول ان الله عز وجل هو الخالق لاعمال العباد والموفق للخير منها وان من استحق من الخير ما يصلح
ان يستحق به الشر واذا كان ذلك فاد هذا الخبر تعريف صحة ما نقول في الرضا وان الطاعة
عن رضا الله عز وجل يحصل للعبد لا عن العبد وانه هو الذي يعينه عليه ويوفقه له
وان من علم الله لذلك ييسر له طريق ذلك كما ان من يسر بالشيء ييسر له الطريق وكذلك في
هذه الصفة منذ اكاله وعلى نحو ما ذكرنا نتاول قوله صلى الله عليه في البشبشة وذلك ان معناه
تقارب معنى الفرح والرضا بما يحصل في التبشبش لما يتيسر والعرب تقول راب لفلان
لبنائه وهشاشته وفرحا ونقولون فلان من ليس فرح اذا كان منطلقا فيما يحدث
له راضيا به وعلى هذه الطريقة يكون معنى الخبر ان الله عز وجل يرضى عن العبد الواطئ للمساجد
للذكر والصلاة واعانهم عليه ويسر عليه التقرب به اليه وسهل عليه طرق الاخلاص فيه كمن
يقدم له غايبه اذا ابتدا في شيء من الامور التي يرضاها له ويحبها به فيقال عند ذلك
تبشبش له واعلم ان العرب في كلامها استعارات الامر الى قوله جل ذكره فاذا فتحها
الله لباس الجوع والخوف بمعنى الابتلاء والاجتهاد وان كان اصل الذوق بالفم ولهذا تقول العرب
ياطر فلانا ودق ماعنده ويقولون ذق القوس بالترع ليعلم لينها وصلابتها كذلك قوله
تبشبش الله لله افرح بوجع معناه في التحقق الى اظهار الافعال المرضية فمن تعرض عليه
من الاعمال ما يوفقه للطاعة لشبهها بحال احدنا اذا ظهر له ما يسر ويعجبه وان لم
يكن ذلك لا تفاقا بالله جل ذكره وانما اريد به التقرب الى الافهام بما خطاب المتعارف الكاذر
بينها ويحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم قصد بذكر هذه الالفاظ في التوبة والطاعة
والعبادة

وحضور المساجد والذكر ترغيبا في المبادرة في الفعل وحثا على فعلها اذا دعي اليها بأقرب
ما يدعى الى الفعل من الالفاظ لتكثر الدواعي الى فعلها والمبادرة اليها اذا خاطب اهلها
بابلغ الالفاظ فهم ان وجوه الاستعارات وتحقيق المعاني ثابت عند اهل المعرفة بها
فلا يلبس عليهم ولا يخيل ان المراد هو المعنى الصحيح ويجوز عليه حل ذكر دون ما لا يجوز وهذا
كسائر ما وصف الله جل ثناؤه به من اوصاف ذاته وفعله مما يقع مشتركا بينه وبين
خلقه فكون له منه معناه الذي يصح في وصفه ويليق بحكمه ولعن اذا اجري عليه نحو ما
يجوز عليه ولا يجب ان يستوحش من اختلاف مثل هذا اللفظ اذا ورد به سمع لان النظر
يكشف عن الصحيح من المعنيين واجاز من الحكمة عليه واللغة لا يمكن دفعها والسمع لا يسبيل
الى رد ادلة صحيح والنظر الحكم الفاصل من الخطأ والصواب فهو كسائر الالفاظ المطلقة
المشتركة ذكرنا ما قيل في معنى ما ورد من اطلاق لفظ الضحك هو في من هذا المعنى ؟

ويوهم ظاهر السبب ومما يسأل عن هذا الباب
ما يقتضي التأويل ايضا ورويته في اخبار تختلف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عجب
ربكم من شاب ليست له صبوة وفي خبر آخر عجب ربكم من الكم وقنوطكم وقد قرأ بعض القرا
ان عجبت بضم التاء وروي ايضا عن النبي عليه السلام عجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة
بالسلاسل وروي ايضا انه قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة يعجب الله القوم اذا اصطفوا
في الصلوة والقوم اذا اصطفوا للقتال المشركين ورجل يقوم الى الصلوة في جوف
الليل وروي ابو هريرة ان رجلا نزل ضيفا برجل من الانصار فقال لامراته تعالي
حتى نطوي الليلة لضيفنا فاذا وضعت الطعام بين يديه فاطفي المصباح حتى يأكل
وحده ففعلت ذلك وعدوت على رسول الله عليه السلام فقال رسول الله
صلى الله عليه لقد عجب الله من صنيعكما البارحة فانزل الله عز وجل ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة تاويل ذلك اعلم ان اصل معنى التعجب اذا

استعمل في احدنا فالمراد به ان يرتهمه امر لم يستعظمه فلم يعلمه وذلك مما لا يليق بالله سبحانه
واذا قيل في صفة الله تعالى عجب او تعجب فالمراد به احد شيئين اما ان يراد به ما عظم قدره
ذلك وكبر لان المتعجب متعظم لما يتعجب منه وكل الله سبحانه عظيما بما كان عظيما بما كان يكون
لم يليق به احد الوجهين الذي يقتضي استدراك علم بما لم يكن به عالما فبقي التعظيم له والتكبير
في القلوب عند اهلها ويراد بذلك الرضا له والقبول لاجل ان من اعجبه الشيء فقد رضيه
وقبله ولا يصح ان يتعجب ما يستعظمه ويكرهه فلما اراد صلى الله عليه تعظيم اقدار هذه الافعال
في القلوب اخبر عنها باللفظ الذي يقتضي التعظيم حثا على فعلها وترغيبا في المبادرة اليها فاما
قوله تعالى في قراءة من قرأ بل عجبت بضم التاء فانه على احد وجهين اما ان يراد به انه جاء
على تعجبهم لما اخبر عنهم انهم عجبوا من الحق لما جاءهم وقالوا هذا شيء عجاب وهذا شيء عجيب وهذه
طريقة العرب معروفة في تسمية جزاء الشيء باسمه كما قال الشاعر الا لا يجهلن احد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا، وكما قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وكما قال
وجزاء سيئة سيئة مثلها فسمي الثاني باسم الاول والوجه الثاني ان يراد به النبي صلى
الله عليه وسلم وطريقه ذلك على نحو ما مضى بيانه قبل انه يذكر ليثبت وتخصيصه وكون
الخبر عن نفسه والمراد به وهو كقوله مرضت فلم تعدني وكقوله تعالى ان الذين يؤذون الله
ورسوله وكقوله تعالى قاتلهم الله انى يؤفكون والمعنى انهم اغضبوا اولياءنا وقد انكر منكرون بعد
الفراء قال سمعت قراء عند شريح بل عجبت فقال ان الله تعالى لا يعجب من شيء انما يعجب من
لا يعلم قال فذكرت ذلك لابراهيم فقال ان شريحا شاعر يعجب علمه وعبد الله بن مسعود
اعلم منه وكان يقرأ بل عجبت بضم التاء وقال بعض اهل اللغة ان تقدير معناه قل يا
محمد بل عجبت انا من قدرة الله تعالى فاما نزل الا الكلام عليه وما قال الشاعر
قد علقت ام الخيار تدعي علي ذنبا كله لم اصنع، من ازنيات لا ابا لكراس الاقرع
ممن زعنه قنزعا من قنزع من اين لي الزنا ينطي واسع

اراد ان يقول لها ابطئي واسرعي فاضمر ذلك لدلالة الكلام عليه ذكر [illegible]
[illegible] وذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا
الريح فانها من نفس الرحمن وروي عنه عليه السلام انه قال اني لاجد نفس ربكم من قبل
اليمن وروي في لفظ اخر انه قال هذا نفس ربي اجد منه كيفما شاء كم الساعة تاويل
ذلك اعلم ان النفس في كلام العرب قد يستعمل على معنى التنفس وقد يستعمل ايضا على التنفيس
واما التي بمعنى التنفس فهو في قولهم نفس متنفسه اذا كان مغموما فتنفس فخرج منه
النفس شيا بعد شي وليس المراد بالخبر ذلك لاستحالة التنفس على الله جل وعز من قبل انه
ليس باجزاء متبعضة ولا اجسام متفاوتة وكيف تدعى الجسمية المشبهة ان ذلك على
معنى التنفس وعندهم ان تاويل الصمد المصمت الذي ليس باجوف وانما التنفس يجري من اجوف
فاذا لم يكن النفس بمعنى التنفس كان بمعنى التنفيس وذلك معروف في قولهم تنفست عن فلان
اي فرجت عنه وكلمت زيدا في التنفيس عن غريمه ويقال نفس الله عن فلان كربه اي فرج
عنه وهي اكبر من نفس عن مكروب كربه من المؤمنين نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيمة فاما
معنى قوله صلى الله عليه وسلم الريح من نفس الرحمن فمعناه على هذا الوجه ان الريح مما يفرج
الله عز وجل بها ويروح بها عن المكروب والمغموم وقد روي في الخبر ان الله سبحانه فرج عن
نبيه عليه السلام بالريح يوم الاحزاب فقال عز وجل فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها
ومن الكلام المتداول في العرف والعادة بلا تدافع بين اهل اللسان قولهم اعمل وانت في
نفس من امرك وانت في فسحة فضل الهم والمرض وانشا. دلك من الحوادث والريح مما يفرج
الله بها الكرب ومن نفس الريح انها اذا هبت في البلد الحار والهواجر اذهبت الوباء واطابت
للساري المسير واذا هبت في بعضها البث الاشجار بامر الله تعالى وذلك قوله عز وجل
وارسلنا الرياح لواقح فكثر الخصب واكثر واذا تنسم الريح عليلا او مجزونا وجد بهبوبها
خفة وفرجا ما يجد ويشد ونا يؤيد قول الشاعر قال الصبا ريح اذا ما تنسمت
على قلب مهموم تجلت همومها

كبد

وقال بعض العرب هجمت على بطن واديين جليلين فما رايت واديا اخصب منه واذا وجدت
اهله مهيج والوانهم مصفرة فقلت لهم واديكم اخصب واد وانتم لا تشبهون اهل الخصب
فقال لي شيخ منهم ليس لنا ريح وهذا مما يبين ان الله عز وجل جعل هبوب الريح نفسا
على معنى التنفيس والتفريج عن الكرب والهموم المشتملة على القلوب وقد زيد بعضها
الخير والصلاح للاجساد والابدان فعلى هذا تاويل قوله ان الريح من نفس الرحمن اي
هي مما جعل الله فيها التفريج والتنفيس والترويح والاضافة من طريق الفعل او المعنى ان
الله عز وجل جعلها كذلك وقرن التنفيس بها كما قوله اني لاجد نفس ربكم من قبل
اليمن فمعناه اني لاجد تفريج الله عني وتنفيسه عن كربتي بنصرته اياي من قبل اهل اليمن
ودلك لما نصر المهاجرون والانصار نفس الله عن نبيه عليه السلام ما كان فيه من
اذى المشركين وقتلهم الله على يدي المهاجرين من اهل اليمن والانصار وكان صلى الله عليه
وسلم كثيرا ما يمدح اهل اليمن وروي عنه عليه السلام انه قال الايمان يمان والحكمة
يمانية فاما قوله هذا نفس ربي اي اجد من لقي امتكم الشاعة فمعناه ان هذا
هو الذي فتح الله ربي عني بما يوجبه الى الشاعة فصرف به عمومي وهمومي فكشف
عن قلبي وسرى عن فوادي وذلك ما كان يجده صلى الله عليه وسلم في مستقبل اوقاته
من زوايد روح اليقين وفوايد التعريف والالطاف التي يجددها الله عز وجل له فسمى ذلك
نفس الرحمن لانه هو الذي نفس به عنه والاضافة من طريق الملك والتدبير واذا احتمل لفظ
النفس التنفس والتنفيس وكان التنفس من صفات الاجوف والاجوف لا يكون الا
اجساما متلاصقة واجزاء متلاحمة على وجوه مخصوص وذلك لا يليق بالله سبحانه
وجاز ان يحمل على معنى التنفيس الذي هو التفريج عن الكرب والهموم فاعلم ان الله عز وجل
ذكر اجزاء الليل والنهار يوم طاهر بن [illegible] وذلك ما رواه ابجع الذي يكثر عدد هم
والثقات وهو من مشاهير الحديث في هذا الباب كالمجمع على صحته عند اهل النقل وذلك

ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاظ متغايرة في اخبار متفرقة تؤول
جميع ذلك الى معنى واحد ونحو هذا روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز
وجل ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا وفي بعض الاخبار في كل ليلة وفي بعضها في ليلة
النصف من شعبان فيقول هل من مستغفر فاغفر له وهل من سائل فاعطيه الحديث
بيانها وسلم اعلم ان جميع اوصاف الله تعالى كلها مما لا يخرج من احد وجهين
اما ان يكون راجعة لنفسه او لصفة قامت به او لفعل فعلم وانه لا يطلق شيء من
الالفاظ في اوصافه واسمائه المتقدمة عن هذه الاصناف الا بعد ورود التوقيف في
الكتاب والسنة وعلى اتفاق الامة ولا مجال للقياس في ذلك بوجه من الوجوه وادلة
هذا الباب وشرح وجوهها قد ذكرناه في الكتب وليس هذا موضع ذكرها اذ كان
الغرض التنبيه على معاني هذه الالفاظ المشكلة التي وردت في الاخبار المروية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ايهام التشبيه ويجدها اهل البدع لتوهمهم ان ذلك
مما لا يمكن ان يحمل على تاويل صحيح من حيث ان ظواهرها تشبيها وتحديدا وتكييفا وصفا
الرب عز وجل بما لا يليق به واعلم ان اقل ما يرد من هذه الاخبار من امثال هذه
الالفاظ وظاهرها موجود في الكتاب وهي اذا وردت في الكتاب نحوله عندهم على
التاويل الصحيح بحرجه على الوجه الذي يليق بصفاته تعالى واذا وردت في الاخبار
ابطلوها متناقضة منهم لاصولهم كتناقضهم في مذاهبهم المبنية على ارائهم
الفاسدة مما لم يشهد به كتاب ولا تشنه ولا بنان بها اتفاق الامة وذلك يجدهم
سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخفافهم باهل النقل واسد
بروايتهم ويابى الله الا ان يتم نوره ويظهر مخازيهم ومناقضاتهم
وهذا المعنى من اي الكتاب قوله تعالى فاتى الله بنيانهم من القواعد وقوله تعالى هل
ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقوله عز ذكره وجاء ربك والملك صفا

اول ما يجب ان
يعلم ذلك قبل
شروعنا في اول
هو ان

صفا واعلم انه لا فرق بين الاتيان والمجيء والنزول اذا اضيف جميع ذلك الى الاجسام التي
تتحرك وتنتقل وتحادي مكانا بعد مكان ان جميع ذلك يعقل من ظاهرها المعنى الذي
هو الحركة والنقلة التي هي تفريغ مكان وشغل مكان فاذا اضيف الى ما لا يليق به الانتقال
من مكان الى مكان لاستحالة وصفه انه جوهر او جسم او محدود او متناهي او متمكن او مماس
او يجيء ذلك في وصف كان معنى ما يضاف اليه من الاتيان والمجيء على حسب ما يليق بنعته
جل وعز اذا ورد به الكتاب فكذلك اذا اضيف النزول اليه وورد به الخبر الصحيح الموثوق
برواته وثقا وصحته في باب انه يحمل معناه على نحو ما حمل عليه معنى المجيء والاتيان اذا
ذكر في الكتاب واذا كان كذلك تاملنا معنى ما ورد في الخبر من لفظ النزول وتزلنا على الوصف
الذي يليق بوصفه حمل ذلك على المعنى الذي لا ينكر استعماله شرعا في اللسان ومثل معناه ولا
ان يرد الخبر بمثله فمن ذلك انا وجدنا لفظة النزول اللغوي مستعملا على معان مختلفة ولم تكن
هذه اللفظة ما تختص امرا واحدا حتى لا يميل العدول عنه الى غيره بل وجدناه مشتركا
المعنى فاحتمل التاويل والتخريج والترتيب لمن ذلك النزول بمعنى الانتقال وذلك قوله
وانزلنا من السماء ماء طهورا على معنى النقلة والتحويل ومن ذلك النزول بمعنى الاعلام في قوله
نزل به الروح الامين اي اعلم به الروح الامين محمدا صلى الله عليه وسلم والنزول ايضا بمعنى القول
والعبارة وذلك في قوله عز وجل ساترل مثل ما انزل الله فما اخبر به المشركين انزل دعوا
معارضة القرآن فقالوا سنقول مثل ما قال والنزول ايضا بمعنى الافعال على الشيء وضده
هو المستعمل في قولهم والجار في عرفهم وصوابهم يقولون ان فلانا انزل حكمان الاخلاق
ثم نزل منها الى سفسافها اي افضل نزل منها الى دونها ومثل في نقصان الرتبة والمرتبة انهم
يقولون نزلت منزلة فلان عند فلان فما كانت الى دونها اذا انحط قدره عنده وبين
ذلك ايضا النزول بمعنى نزول الحكم من ذلك قولهم قد كان كذا خبر وعدل حتى نزل بنا بنو فلان
اي حكمهم وكل ذلك في معنى النزول متعارف عند اهل اللغة غير مدفوع عنهم اشتراك الصفا

عن

صفا

فما قوله عز وجل وانزلنا الحديد فيه بأس شديد فمن اهل التاويل من قال معناه وخلقنا الحديد
ومنهم من قال ان الحديد انما نزل على معنى النقل من علو الى سفل فاما قوله عز وجل انا انزلناه
في ليلة مباركة فان انزال القرآن ليس هو على معنى النقل والتحويل لاستحالة الانتقال على الكلام
انما هو بمعنى الاعلام والاسماع والافهام وقوله عز وجل هو الذي انزل السكينة في قلوب
المؤمنين يكشف ايضا عن انه ليس كل نزول وانزال نقلا وتحويلا بل ذلك لفظ مشترك
المعنى وجب الترتيب واضافته ما يليق بالمذكور المضاف اليه على حسب ما يليق به الا
ترى انه اذا اضيف النزول الى السكينة لم يكن حركة ولا نقلة واذا اضيف الى
الكلام لم يكن ايضا تفريغ مكان واشغل مكان واذا اريد به الحكم او تغيير المرتبة فلذلك
واذا كان كذلك كان ما وصف الرب جل ذكره من النزول محمولا على بعض هذه المعاني التي
لا تقتضي له ما لا يليق بنعته من الحاب صفة محدثة به ذاته وتعديه بلحظ او تقضي له
تمثلا او تحيزا او هو ان يكون على احد وجوه من المعاني اما ان يراد به افضاله على
اهل الارض بالرحمة والاستعطاف والتقريب والتقنية الذي يلقى في قلوب اهل الخير
منهم من اسعدهم بتوفيقه لطاعته حتى نزعهم الى الجد والانكماش في التوبة
والانابة والاقبال على الطاعة وجنا الله تعالى قد خص بالمدح المستغفرين بالاسحار
وقال في وصفهم ايضا كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون
وقال المستغفرين بالاسحار فيحتمل ان يكون ذلك هو المراد به وهو الاخبار عما ظهر
من الطافه جل ذكره ومعونته وتاييده لاهل ولايته في مثل هذا الوقت بالزواجر
التي يقيمها في نفوسهم والمواعظ التي تنبههم عليها بعقب الترغيب والترهيب ويحتمل
ان يكون ذلك فعلا يظهر ما من فضاف اليه كما يقال ضرب الامير اللص ونادى الامير
اليوم في البلد وانما اراد ذلك فضاف اليه ذلك الفعل على معنى انه عن امره ظهر
وبامره حصل فاما كان ذلك يختلف في اللغة لم ينكر ان يكون لله عز وجل ملائكة يأمرهم

وقد يكون نزوله جل ذكره
وتكوين ما يحدث عن ذلك
الوصف ايضا من التفاوت
[illegible] من اهل اللغة
واذا كان الامر كذلك
المعنى [illegible]

بالنزول الى سماء الدنيا وهذا النداء والدعاء فيضاف ذلك الى الله تعالى على الوجه الذي يقال
ضرب الامير اللص ونادى في البلد وقد روى لنا بعض اهل النقل هذا الخبر عن النبي صلى الله
عليه وسلم بما نويل هذا التاويل وهو بضم الياء من ينزل وذكر انه قد ضبطه عن من سمع
منه من الثقات الضابطين واذا كان ذلك محفوظا مضبوطا كما قال فوجهه ظاهر
ولما ذكرناه مما يحتمله من التاويل الموافق لذلك موجد شاهد ويحتمل ايضا ان يكون على
ما قلنا انهم يقولون ما زلنا في كذا حتى نزل بنا نحن فلان على معنى نزول حكمهم وامرهم
فيكون تقدير التاويل فيه الاخبار عما يفعله الله تعالى في كل ليلة من افعاله التي هي
ترغيب لاهل الخير في آخر وزيادة في الدواعي الى الطاعة واستعطاف لاهل المعاصي
مع انه اذا لم يحل ما اطلق عليه من هذا الوصف من ان يكون مما يلزم الذات لاجل
الفعل او يكون مما يجب لاجل فعل وبطل ان يكون ذلك مما يلزم الذات وجاز ان يكون مما يوصف
به من اجل فعل يفعله وقد روى لنا عن الاوزاعي رحمه الله انه سئل عن هذا الخبر فقال
يفعل الله ما يشاء وهذا اشارة منه الى ان كل فعل يظهر منه عن امره وروي عن
مكحول انه قال في هذا الخبر ينزل الله في كل سحر فاما هو عز وجل فدائم لا يزول ولا
تنكر تسمية الله عز وجل بما افعاله اذا ورد التوقيف بها كسائر ما سمي به لاجل الفعل
مثل قولنا خالق والسماء بنيناها بايد وقوله تعالى قد مدم عليهم ربهم وقوله ودمرنا
ما كان يصنع فرعون وقومه وقد ورد بذلك الخبر الصحيح الذي لا يمكن دفعه فكان حجة
في اطلاق التسمية والنظر شاهد مميز من المعنيين ومقتض نفي ما لا يليق به تعالى فوجب
حمله على ما يصح في وصفه من بعض الوجوه التي ذكرناها فضل الخبر ذلك
فاتبع ذلك فاما حمله ما روي من التاويل في الخبر على ما ذكرنا في على ما ذا يحمل قول الله
تعالى لله بنيانهم من القواعد وقوله سبحانه وجاء ربك والملك صفا صفا وقوله
تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل قد قال اهل العلم قد

الآي على وجه كيف شئن ذكر لهن ما ولوا قوله عز وجل فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم
السقف من فوقهم ان معناه الاستئصال بالاهلاك والدمار يا رسال للعذاب كما تقول
الناس بلد كذا فقلبته ظهرا اذا استأصله وليس يريدون حضور البلد نفسه ولا
شهوده بل يريدون به الهلاك والتدمير وقال بعضهم انما اراد بذلك ظهور فعل
من جعله في البنيان سماه اتينا ولله ان يسمي افعاله بما يشاء ان يصف نفسه من
ذلك بما اراد فاما قوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا فانهم من قال ان معناه
جاء ربك بالملك صفا وزعم ان الواو ها هنا بمعنى الباء ومنهم من قال وجاء امر ربك وحكمه
وبدا امر الفتنة وما تختص به ذلك الوقت من امر المخصوص وحكمه الذي لا يقع للشركة
فيه بالدعاوي وقد بينا فيما قبل انه لا تدافع بين اهل اللغة وقولهم ضرب الامير اللص وبنى
الامير في البلد كذا وانما يراد بذلك ان ذلك الفعل وقع بامره وعن حكمه فيضاف
الفعل اليه بالافظ الذي يضاف الى من فعله وتولاه ونظير ذلك قوله عز وجل في قصة
قوم لوط فطمسنا اعينهم وكان الطمس للاعين للامر الله عز وجل واذا كان شيء
متعارفا في اللغة وانما ورد الخطاب في القرآن على المتعارف في اللغة والمعهود فيما بين
اهلها لم ينكر ان يحمل على ذلك قوله تعالى وجاء ربك فاما قوله سبحانه هل ينظرون الا ان
يأتيهم الله في ظلل من الغمام وهذا شائع في اللغة ان يعبر عن الشيء بفاعل اذا وقع عن
امره وتدبيره كقولهم اتى الامير بلد فلان اذا وصل اليه جيشه ودخل السلطان بلد
كذا اذا نفذ فيه حكمه وامره وقال بعضهم ان قوله تعالى في ظلل من الغمام مراد به
ظلل من الغمام وان الباء معنى الباء وقد روي في التفسير عن ابن عباس وقال بعض
اهل العلم في الاستشهاد بابدال الباء من الباء ان اعرابيا كان يقرأ ومسحوا برؤسكم
بالجمع وعنى الباء في مكان الفاء لما كان عنده ان احدهما يسد مسد صاحبه من
غير اختلاف المعنى ويحكى ايضا انه سمع من بعض الاعراب وهو يشول لصاحبه ارفع

بالسماء يديك اي ارفع في السماء وقال بعض اهل التاويل في قوله تعالى سال سائل بعذاب واقع
انه معناه سال سائل عن عذاب واقع وهو وفق الصفات يدخل بعضها في بعض ويباين بعضها
من بعض اذا تقاربت معانيها ولم تختلف ورووا ان ابي بن كعب حج عمر محامد في قوله تعالى
هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام انه قال هي السحاب التي يأتي الله بها يوم
القيمة وما وليه هذا نظير ما روي عن ابن عباس في قوله ان معناه انه يأتي بظلل من الغمام
وروى ابو صالح عن ابن عباس ايضا في قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من
الغمام قال يأتيهم بوعده ووعيده فان الله عز وجل يكشف لهم يوم القيمة عن امور
كانت مستورة عنهم وقد روي مثل قول ابن عباس عن الحسن واعلم انه اذا كان ما حملنا
عليه من تاويل الخبر والاية منقولا عن الصحابة والتابعين كان ذلك حاويا لما قلناه ويتبين
المستعلم لتاويل ما ذكرناه وانكشف للناظر تاويل الالفاظ الواردة في الاخبار كلها وغير
الالفاظ الواردة في القرآن وان طرق التخريج فيهما واحد واذا وجد ان يحمل ما يرد في
الكتاب من لفظ المجيء والاتيان على عرفي الزوال والانتقال الذي هو صفة الجسم المحدود
المتحرك المنتقل المتمكن في مكان ثم ان كل معنى ما ورد به الكتاب من الاتيان والمجيء ولا
فرق عند ان يرد ذلك من طريق صحيح من جهة الامر والسنة وبين ان يرد ذلك من الكتاب
في باب ما يحمل عليه من التاويل على الوجه الذي يليق بالله سبحانه فعلى ذلك يرتب الباب
اعلم ان [illegible]
روى عمر بن مرة عن ابي عبيدة عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخمس فقال ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض
القسط ويرفعه ويرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور
لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه وفي بعض الاخبار لو كشفها لاحرقت
سبحات وجهه كل شيء ادركه بصره ما ويل ذلك فاعلم ان كل ما ذكر

ه الحجاب من امثال هذا الخبر فانما يرجع معناه الى الخلق لانهم هم المحجوبون
عنه تعالى فحجاب يخلقه فيهم ولا يجوز ان يكون الله عز وجل محتجبا ولا
محجوبا لاستحالة كونه جوهرا او جسما محدودا لان ما استتر بالحجاب
والحجاب اكبر منه ويكون متناهيا محاذيا جايزا عليه المماسة والمفارقة
وما كان كذلك كانت علامة الحدث فيه قائمة وذلك ان الموحدين انما توصلوا
الى العلم بحدث الاجسام من حيث وجودها متناهية محدودة محلا
للحوادث وكان تعاقبها عليها دليلا على حدثها ولن يجوز ان يقوم
دلالة الحدث على القديم الذى لم يزل موجودا فاذا كان هذا الاصل
صحيحا بما كشفنا عنه وجب ان يحمل ذلك على النوع الذى بيناه وقدرناه
ويشهد لذلك ويؤيده قوله عز وجل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
فجعل الكفار محجوبون عن رويته بما خلق فيهم من الحجاب والمنع منها
ولم يصف نفسه بالاحتجاب ولا بانه هو المحجوب واعلم ان اصل معنى
الحجاب فى اللغة هو المنع ولذلك يقال لمن يمنع عن الامير من يدخل اليه
الا باذنه حاجب وكذلك قيل للماحن الذى يمنعان عن المحـ
الصوت لاحاطتهما بها واذا قلنا ان الكافر محجوب عن رويته والمعنى
فيه انه ممنوع عن رويته والمنع من الرؤية معنى يضاد الرؤية اذا وجد
انتفت الرؤية لوجوده والذى يحقق ويؤيد ما عليه تاولنا ما روي عن
على رضى الله عنه انه مر بقصاب وهو يقول لاوالذى احتجب بسبعة
فقال له على ويحك يا قصاب ان الله لا يحتجب عن خلقه وفى بعض الاخبار
ان عليا علاه بالدرة وقال بالطبع ان الله لا يحتجب عن خلقه بشى
ولكن حجب خلقه عنه وفى بعض هذه الاخبار انه قال القصاب لعلى

اول

اولا اكفر عن يمينى يا امير المؤمنين فقال لانك حلفت بغير الله تعالى
وروى عن عاصم عن عطاء عن ابى يحيى عن على رضى الله عنه مثله
فاما قوله صلى الله عليه وسلم لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه
فقد تاول اهل العلم ذلك منهم ابو عبيدة ذكر ان معنى قوله لو كشفها
اى لو كشف رحمته عن النار لاحرقت سبحات وجهه اى لاحرقت
محاسن وجه المحجوب عنه بالنار فالهاء عايدة فى قوله سبحات وجهه
الى المحجوب لا الى الله عز وجل لان هذا الوصف لا يليق بالله سبحانه لما
ذكرنا انه يستحيل ان يكون محجوبا او محتجبا وقال بعضهم معنى قوله حجابه
النار جعل خلقه محجوبا بها وروى فى بعض هذه الاخبار حجابه النور
وليس يتفاوت معنى النار والنور ومعنى الاضافة فى الحجاب اليه من
طريق الجعل والخلق وهو انه خلق الخلق محجوبا به لا انه تعالى محتجب
به فان قالوا فعلى ما ذا تحملون ما روى ابن عمر انه قال احتجب من خلقه
باربع نار وظلمة ونور وظلمة قيل قد ذكر بعض اهل العلم فى تاويل ذلك
ان معناه ان الله عز وجل عرفنا نفسه باياته ودلايله فقال له ايات
لو اظهرها للخلق كانت معرفتهم به كمعرفة العيان كما ذكر فى قوله سبحانه
فظلت اعناقهم لها خاضعين وقال المجاشعى سماع التلبى معنى قوله احتجب
بالنار اى خلقها دون تلك الايات التى تبهر العقول وتدل على معرفته حق
تصير كمعرفة العيان وهذا الخبر اذا حمل تاويله على ما ذكر التلبى كان
معنى الاحتجاب عن الخلق انه جعل دلاله فوق دلالة ودلالة اظهر من
دلالة ويرجع فى الحقيقة الى ما قلنا انه يحجب الخلق عما خلقه فيهم من موانع
المعرفة والرؤية لا انه يحتجب احتجاب استتار كالاستتار بالاجسام

الكاوية لما يحيط بها ويكتنفها واعلم ان الاجسام ليست بحجب على الحقيقة في الحدثات
ايضا لانها في الحقيقة عرفانه رويه المحجوب المستور المغطى ولا مانعة للرؤية به على الامر
الصحيح من مذاهب وذلك ان المانع من معرفة الشيء ورويته ومعاينته ما يمنع من وجود
معرفته ومعاينته وما يمنع ذلك فهو الذي يضاد وجوده وذلك لا يصح الا في العرض
المتضاد فمن المتعاقبين ولا يصح ان يكون الجسم منعا ولا مانعا من عرض اصلا لاجل
انه لا يصح ان يكون من العرض والجسم تضاد ولا تضاد على وجه من الوجوه فبان بهذا
ان الذي يحجب عن المعاينة والمعرفة في القديم والمحدث هو المنع الذي هو معنى موجود
يعاق العلم والرويه لمن هو ممنوع به فعل ذلك لا يصح ان يكون المحدث ولا القديم
محجوبا بشيء من سوائر الاجسام المغطيه المكتنفه المحيطه واما قولنا في هذه الاجسام انها
حجاب عن رويه المحدث المحجوب لما وراءه من اجل ان المنع من الرويه تحدث عنده فسمي باسم
ما حدث عنده وذلك عند المعتزله فانهم ان البارئ سبحانه وتعالى لا يرى لاجل انه لو
كان مرئيا لارتياه الساعه لارتفاع الحجاب والبعد واللطافه والرقه وذلك ان ما قالوا
انه حجاب ومنع ليس بحجاب ولا منع على الحقيقه وانما يطلق ذلك عليه مجازا لاجل ان المنع يحدث
عنده فعلى ذلك ترتب هذه الاخبار الواردة بلفظ الحجاب وتحقق بان الله تعالى لا يصح ان
يكون محجوبا ولا محتجبا على الحقيقه وانما هو مانع خالق الحجاب فيضاف الحجاب اليه على معنى
انه جعل حجابا لمن يحجبه به من طريق الفعل لا من طريق الاستتار والاختفاء عليه ؟
ذكر خبر مما يقتضي التأويل دون ما رواه الجم الغفير والجم الكثير عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالفاظ متفرقه ومعان متفقه في مواطن مختلفه وهو انه قال تترون ربكم
يوم القيمه كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون في رويته وفي بعضها لا تضامون في رويته
بتشديد الميم من تضامون الذي هو بمعنى المضامه وقد روي ايضا مخففا على معنى نفي
الضيم عنهم والذي يجب ان يوقف عليه من هذا الخبر معنى المضارة والمضامة المنفيه

عن الرائين له ووجه تشبيه رويته برويه القمر ليلة البدر وان ذلك لا يرجع الى المرئي فيرجع
الى تشبيه رويته برويه القمر ليله البدر وان ذلك لا يرجع الى المرئي بل يرجع الى الرويه وقد
روي في خبر اخر لفظ اشكل من هذا وهو انه روي ان الله تبارك وتعالى يتبرز لكل يوم
جمعه لاهل الجنه على كثيب من كافور فيكونون منه بالقرب على قدر تبكيرهم الى الجمعه
الافسار عوا الى العبرات تأويل ذلك ان قوله ترون ربكم كما ترون القمر ليلة
البدر يحقق رويه العيان لا تشبيه المرئي بالمرئي ليحصل ذلك تشبيه الرويه بالرويه
حتى كانه قال انكم ترونه تعالى يوم القيمه كرويتكم القمر ليله البدر اي كما انكم لا تشكون
ليله البدر في رويه القمر انه هو البدر ولا يتخالجكم فيه ريب وظن كذلك ترون الله جل
تناؤه يوم القيمه معاينه يحصل معها اليقين بان ما ترونه هو المعبود الاله الذي
كلف شكر وحقق ذلك بقوله لا تضارون في رويته وبقوله لا تضامون في رويته
فاما معنى قوله لا تضامون في رويته اي لا ينضم بعضكم الى بعض كما تنضمون في رويه الهلال
وابين الشهر بل يتراءه جمهرة من غير تكلف لطلب رويته كما ترون البدر وهو القمر ليلة
الرابع عشرة اذا عاينه المعاين جمهرة لم يحتج الى تكلف في طلب رويته ومعاينته وكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم لا تضارون اي لا يلجئكم مرئي في رويته بتكلف طلبه كما تلحق المشقه
والتعب في طلب رويه ما يخفى ويدق ويغمض فكل ذلك تحقيق لرويه المعاينه وانها صفه
تزيد على العلم وكذلك من روى تضامون مخففا فانما المراد به الضيم اي لا يلحقكم فيه ضيم
والضيم والضر واحد في المعنى وقد تاولت المعتزله ذلك على ان معناه رويه العلم وانكم
تعرفون الله تعالى يوم القيمه ضرورة وهذا خطا من قبل ان الرويه اذا كانت بمعنى العلم
تعدت الى مفعولين وذلك كما تقول القائل اريتك زيدا فقيها اي علمتكه كذلك فاما اذا قال رايت
زيدا مطلقا فلا يفهم منه الا رويه البصر وقد حقق ذلك ايضا بما اكد به من تشبيه رويته
القمر ليله البدر فتلك رويه البصر لا رويه العلم وعلى ان النبي صلى الله عليه وسلم انما لبس الموضع من

اصحابه بذلك وذلك يوجب ان يكون معنى يختصون به فما العلم بالله فيشتركون فيه المؤمنون والكافرون
في القيمة وذلك يبطل معنى نسبة الرؤية للمؤمنين بالرؤية وذلك ان تلك الرؤية رؤية العيان وقد روي
الاثبات منهم فليس عن جبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تردون ربكم عيانا وهذا يرفع الاشكال
ويمنع الاحتمال لان الرؤية وان كانت تستعمل في معنى العلم فانها اذا اقترنت بلفظ العيان لم يحتمل
غير العيان وذلك قول القائل رأيت زيدا معاينة وعيانا لا يحتمل معنى العلم كما انه اذا قال
رأيت زيدا بقلبي لم يحتمل رؤية البصر فاما ما روي في اخبر الاخران الله جل ذكره ينزل كل يوم
جمعة لاهل الجنة على كثيب من كافور فيكونون في القرب على قدر تفاضلهم الى الجنة فقال محمد بن
شجاع ان هذا الخبر ما تفرد بروايته المنهال بن عمرو وهو ضعيف ضرابط انه ان صح ونقل فانه
يحتمل ان يكون معناه ان اهل الجنة يرونه على مقادير اوقات الدنيا واوقاتها كقوله تعالى لهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا فذكر على التقدير ما ايام الدنيا واوقاتها لان هذا عندهم وعشية او جمعة
وسبتا فاما نزوله لاهل الجنة فقد ذكر تخليقهم وهو ان يخلق لهم رؤية له تعالى وهم على
كثيب من كافور فاما معنى قربه منهم فذلك راجع الى الكرامة والمنزلة لا الى المكان والمسافة
وذلك متعارف مشهور بين الناس انهم يقولون فلان قريب من فلان وانما يريدون قرب
المنزلة لا قرب المسافة وعليه يتأول قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا اني
من تقرب الي بالطاعة تعرضا لعفته له الثواب وزدته كرامة ولذلك يقولون للفاسق
وصفه انه متباعد عن الله يريدون بذلك انه بعيد من طاعته وعبادته وعلى
هذا المعنى يقال ان الكافر بعيد عن الله والمؤمن وهب من الله عز وجل لي من رحمته
والهدى وقربه من المؤمن يعني من الكافر ومعنى ذلك قرب رحمته وكرامته ولطفه وفضله
من المؤمن وبعد جميع ذلك عن الكافر فما قرب المكان ولا بعد يوصف الله جل ذكره
وعلى ذلك بنا وكل جميع ما في القرآن مثل قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ومثل
قوله تعالى ونحن اقرب اليه منكم وكقوله فكان قاب قوسين او ادنى وقوله تعالى واسجد واقترب

ان جميع ذلك لا يخلو اما ان يكون قربا من الطاعة من العبد او قربا من الكرامة والمنزلة
من الله جل ذكره فقرب جميع ما يوصف به الله جل ذكره من قرب به من الخلق يوصف
به العبد من قربه من الله عز وجل وكيف القول في البعد ذكر ما خرجه البخاري
وهو ما روي عن رسول الله عليه السلام انه قال ما منكم من احد الا سيخلو
به ربه يوم القيمة ويكلمه وليس بينه وبينه ترجمان فينظر ما ذا اعلمت فيما علمت فيقول
ما وسعه اعلم ان معنى قوله سيخلو به ربه محمول على معنى ما جرى به العرف في كلام العرب
واهل اللغة في قولهم خلا فلان بعمله وخلا فلان بنفسه ومعنى ذلك انفراده وتفريده لما ينفرد
ويتفرد له فعلى ذلك يكون معنى الخبر انه يكلمه بكلام لا يسمعه غيره لم يختص الكلام بالاسماع لما
يكلمه به فيكون خاليا به على هذا الوجه حتى يظن من يكلمه ويحاسبه انه ليس يكلم لاحد
سواه ولا يحاسب لغيره وانما حملناه على ذلك لاستحالة وصفه جل ذكره بالقرب الذي هو قرب
المسافة والمساحة وذلك لاستحالة كونه محدودا متناهيا ولاستحالة كونه محدثا وقد
ذكرنا فيما قبل مثل هذا المعنى في حديث النجوى وقد روى منصور قال ابن عمر سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى اما المؤمن فيدنيه ربه عز وجل يوم القيمة حتى يضع
كنفه عليه فيقرره بذنوبه وقد رأينا فيما قبل ان ذلك ادنا من طريق الرأفة وان كنفه ستره
وعفوه وكرمه ورحمته وكذلك معنى خلوه بالعبد يوم القيمة انما هو تعريف افعال السالفة واعلا
مواقع اجزاء من اعماله اكبر والشر بالثواب والعقاب وذلك نظير قوله جل ذكره ما يكون من نجوى
ثلاثة الا هو رابعهم وكقوله تعالى ومعلوم انهما كنتم لان ذلك يرجع الى ما يدل العلم به والقدرة
عليه والسمع لكلامه والرؤية لذاته وصفاته بتعريفهم انه هو الذي لا يخفى عليه شيء من امور
الخلق لذلك قوله صلى الله عليه وسلم سيخلو الله عز وجل به يوم القيمة اي يفرده بالتعريف يوم
القيمة حتى لا يسمع غيره ما يسمعه ولا يعرف احد سره ما يعرفه رحمة منه للمؤمنين وستارا عليهم بما ظهر من عفوه وكرمه وقد قيل انه يحاسب المؤمنين عفوا ويحاسب

الكافرين عقابا ولما كان الله جل وعز هو القادر على اسماع كل واحد من المحاسبين ما يريد
ان يسمعه بكلام يحسن ان يسمع غير مثل ذلك الكلام لم ينكر ان يكون ما روى انه يخلوا به حتى
يظن احدهم انه ليس يكلم احدا سواه ومعنى يكلمه الله عز وجل خلق افهامه اياهم كلامه
على ما يريد اما باسماع عبارة تدل على مراده او بابتداء فهم يخلقه في قلبه يفهم به عنه
ما يريد ان يفهمه وكل ذلك سايغ جايز وهو معنى ما يكلم به العبد عند المحاسبة فاذا افرده
به اسماعا وافهاما كان ذلك خلوا به وذكر آخر مما يشبه الباطل
وهو ما روى سعيد المقبري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لما خلق آدم عليه
السلام ونفخ فيه من روحه عطس آدم فاراد له فشكر الله تعالى قال له يرحمك ربك فبقيت
له من ربه رحمته وقال له اذهب الى الملا من الملايكة فقل السلام عليكم فقال
لهم فقالوا له وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثم رجع الى ربه فقال لهذه تحيتك وتحية
ذريتك بينهم ما وجه ذلك اعلم ان معنى قوله ونفخ فيه من روحه معنى قوله سلم ذكره ونفخت
فيه من روحي ومعنى جميع ذلك اضافته اليه من طريق الملك والفعل وقد بينا ان افعاله
عز وجل لا تغيره ولا تحله وانما تحدث بقوله كن فيكون وان بعضها يضاف اليه بالوصف
الذي ذكرناه عاقبا خص به نفسه اما لفايدة تجدد واما للتنويه بشانه والدفع من
حاله وقد علمنا ان جملة الارواح مخلوقة له عز وجل يخص بعضها بالاضافة الى نفسه
وان كان ذلك ملكا له وفعلا للتنويه بذكرها والتشريف والدلالة على فضلها وشرف امرها
فاما قوله فقال له رحمك ربك حين عطس آدم عليه السلام فقد بينا مخاطبة الله عز وجل
لمن يريد ان يخاطبه به وانه قد تارة يكون بسماع بلا واسطة والترجمان وذلك نوع من
التخصيص للدلالة على شرف المكلم على احد الوجه لانه مكلم لجميع المكلفين بالامر والنهي
وانما كلام بواسطة الرسل والمبلغين عنه اليهم فاما قوله فسبقت له من ربه
رحمته فمعنى ذلك الوعد بالرحمة لان نفس الرحمة لا يصح فيها تاخر وتقدم بحدود نهاية

بانة

لاحالها عند ناصفة من صفات ذاته لم تزل بها موصوفا وانما اراد هنا ما هو دلالة
على الرحمة التي تناله من قبل الله جل ذكره لان الكلام انما يتعلق عن الشيء والمتعلق به قد يسمى باسمه
كما قال لما نظر عن قدرة الله تعالى من افعاله انها قدرة الله تعالى ويحتمل ذلك انه هو
الكائن عن قدرته وكذلك ما يشبه هذا النوع من سابق الرحمة قد يسمى رحمة على التوسع في
الكلام وقد روي في بعض الفاظ هذا الخبر سبقت رحمتي غضبي ووجه السؤال فيه على
اصلنا انا نقول ان رحمة الله صفة من صفات ذاته ولذلك غضبه وسخطه ولا يصح فيما
سبيل ذلك ان يكون مسبوقا فان تقدم احدهما صاحبه لاجل ذلك يوجب حدثه
المتاخر منهما ووجه الجواب عن ذلك قريب على النحو الذي بيناه من تسمية الصادر
عن الشيء باسم ما فيه تعلق فكذلك الظاهر من نعم الله تعالى وغضبه الذي تسبق
الى الخلق في الدنيا ابتداء واولا عن رحمته لهم في الاول وذلك ما نظهر من ثقة وعقوبة
وغضبه الذي لم يزل يسمى به توسعا لانها عنه تكون وبحدثت فلما كان ذلك سايغا في
اللغة لم ينكر ان يكون معناه ان الله عز وجل ابتدا خلق نعمه ومنته وعفو وستره
واخر العقوبات والجزاء على السيات التي العقبى والدار الاخرى فنسمي ما سبق ظهوره من
فعله بهم النعم في الدنيا رحمة وما اخرهم عنهم الى العقبى من العقوبة غضبا على معنى
ما ذكرنا من تسمية الشيء باسم ما يحدث عنه ويظهر منه وقد بينا فيما قبل تاويل
الرحمة والغضب والرضا على اصولنا وان حقيقة لا تدرج على اصولنا وقواعد
مذهبنا الى ما سبق وجوده لاعدم وتقدم كونه لا نهاية لكونه من اراده
الله جل ذكره والانعام على من علم انه ينعم عليه اذا خلقه والانتقام ممن علم انه اصل
لان يتقيم منه ما ظهر من النعم والنقم فما لا يزال عز الرحم والرضا والغضب فيما
لم يزل يسمى بذلك منها من التعلق وان اخرها يسمى باسم صاحبه لانه عنه نتج
وعلى حسب تعلقه فيما توجد وعلى ذلك تتناول الفاظ الدعا اذا قيل

اللهم اوحنا وارض عنا من قبل ان ارضى عنك من صفات الذات لا يصح فيها الطلب والسؤال وانما
يصح الطلب والسؤال فيما طريقه طريق الفعل فحسن ان يفعل دلك على هذا الوجه متاول
معنى للدعا بذلك فيقال ان المسئول بهذا الدعا هو المرجو ان يحدث رضاه لا نفس
الرحمة والرضى وقد ورد ذلك ايضا في الدعا قولهم اللهم اغفر لنا عملنا فعسانا شهادتك
علينا ونفس العلم لا تغفر وكذلك نفس الشهادة وانما تتعلق المغفرة بالمعلوم والمشهود
وعلى ذلك تناول ايضا قولهم رضي الله عن فلان ورحمه لان ذلك ليس يخبر عن تقدم
الرضا والرحمة له وانما معنى ذلك معنى الدعا والطلب لان يفعل ما اذا فعله غفر رضاه
ورحمه فاختصر اللفظ في الدعا اختصارا والمعنى غير مشكل ولا ملبس فاما معنى قوله
عليه السلام ثم رجع ادم الى ربه فقال له هذه تحتك فمعنى ذلك انه رجع الى مسائلته
ومخاطبته وقد نص بقوله فقال له وليس ان ذلك رجوع الى السؤال والخطاب
وليس كل رجوع رجوعا الى المكان عن المكان بل قد يكون رجوعا عن فعل
الى فعل واحداث شيء بعد شيء وعودا الى مثل ما كان فيه فهذا من طريق الفعل والحكم
لا من طريق التنقل والتحول من مكان الى مكان وقد جاء في خبر آخر مما يقتضي هذا المعنى
روى معاوية بن راشد بن سعيد ان رسول الله عليه السلام قال ان الله عز وجل يطوي
الظالم يوم القيمة فيجعله تحت قدميه الا ما كان من اجر الاجير وعقر البهيم وقضى
الحاكم تاويل ذلك اعلم انا قد بينا معنى القدم وذكرنا ما فيه من الاشتراك في استعمالهم
له في المعاني المختلفة وليس كل ذلك هو الجارحة والبعض والعضو فقط وبينا ان مما
هو قديم من الجارحة فالمعنى هو تقدمه على البدن وان اصل معناه ما خوذ من
التقدم عن ان مثل هذا اللفظ قد اعتيد استعماله في اللغو والامر الذي لا نتائج
فيه والارتباط به وبسببه ولا يحصل حكمه ولذلك يقال في هذا الامر الذي صفته
ما ذكرنا قد جعله تحت قدمي عامتهم ترك المناقشة عليه والمطالبة به فكانه عليه
السلام

اراد ان يعرفنا موانف الاعمال واقدارا لجزآء عليها وان منها ما يكون الله العفو عنه
اقرب من غيره فخص بعض الاعمال بالذكر تنويها بها انه تعالى لا يبطل ثمرها والمدح
المطالبة بها زجرا عن فعلها وتاكيدا للحث على تركها لا انه اراد بذلك اثبات عضو
وجارحة لمن يستحيل ذلك وصفه وانما خاطبهم على المعهود في لغتهم المتعارف فيما
بينهم وذلك من المقام المشهور في خطاب العرب والعجم انهم يعبرون بمثل عن مثل
هذا المراد فقد لو جعلت هذا الامر تحت قدمي اذا اعرض عنه واهمله والمطالبة
به وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما قام على باب الكعبة فقال لادم
كان في الجاهلية فقد جعلته تحت قدمي يعني انه قد اعرض عن المناقشة فيه
والمطالبة بذلك واذا كان ذلك مستعملا في اللغة عن الرضا الذي هو كان معنى قوله
عليه السلام ان الله يجعل الظالم تحت قدميه يوم القيمة محمولا على ما ذكرنا فاما الشك
معناه على من يعرف عادة العرب في الخطاب حتى ليس يحتاج ان يضيف الى خلاف هذا المراد حتى
يعلم انه قدم جارحة وعلى هذا كونه جارحة فاذا كان ذلك كذلك جاز ان يكون وجه هذا
الكلام اضافة القدم اليه تعالى ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا بالامر الذي يوطا بالقدم
لانه اذا اريد ستره والاعراض عنه وترك كشفه والتوقيف عليه جعل بحيث يطا بالقدم
تشبيها بما على هذا المعنى اجعله تحت قدمي وحمله تحت قدمي توسعا وتمثيلا مما ذكرنا
فاعلم ان شا الله [illegible] وبالله التوفيق
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حدثكم اذا تصدق بالتمر من الطيب ولا يقبل الله
الا الطيب كيف يقبل الله ذلك في كفه فيربيه كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى يكون مثل
احد فاعلم ان معنى الكف هنا هو الملك والسلطان كما قال الاخطل
اعاذل ان القشر في كف مالك اذا ما دعى موما احابت به الرسل
ومن الكلام على هذا الحديث ان الله عز وجل يجازي بما شاء امر الجزا اضعافا مضاعفة

وفائدته الترغيب في الصدقة وانها ما يجب ان تقصد الطيب من المال وتخلص لان الله
وتعلم ان ذلك يحرك بعلم الله وقدرته وارادته ومشيته ومشيته فاعلم ان الله عز وجل
هو المطلع الشاهد وللصدقات قابل لانها تقع في ملكه وسلطانه على حسب علمه ومشيته
وقد روي ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب كان لبيرا ينسب هذين البيتين

هون عليك فان الامور بكف الاله مقاديرها
فليس بآتيك منهيها ولا فائت عنك ما مورها

ومعنى قوله بكف الاله مقاديرها اي في سلطانه وملكه وقدرته وهذا انما اجاري كلام
الناس في تعاملهم وتقاريرهم لانهم يقولون ما فلان الا في كف فلان يريدون بذلك انه ممن
يحرك عليه امس وملكه وفي سبب دليل لنا على خلاف قول القدرية لان الصدقة
فعل المتصدق وقد اخبر انه في كف الله تعالى على معنى انه في ملكه وتحت قدرته وهذا
يجب ان يكون مقدورا لله محلا قالوا وقد يقول هذا القائل على وجه اخر فيقال ان الكف
المراد به ههنا الاثر والنعمة واذا كان لذلك كان معناه كنه تجري على احسن وجوهها
ان يكون معناه ان لله تعالى في كفكم نعمة من الله عز وجل هو قيمه اياكم كنفها ويكون
معنى قوله كف الرحمن تربيته وتحسين انعامه واللطافة به يكون ويحدث ثم انه
يجازي من فضله من شاء بما شاء ومنه قيل خير الاجتماع في معنى الكف الذي يراد به
النعمة زمان به الهوكف كريمة علينا وفيها لهف نشتر
اراد به نعمة ظاهرة من الله عز وجل فيه ذكر خراجي مد
[illegible] روت عائشة رضي الله عنها وام سلمة واسس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان
قلبا ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن عز وجل يقلبها كيف يشاء وبذلك
دليل على ان اصل العلم قدرة ولبواد ذلك على وجه [illegible] احدهما ان يكون المراد بالاصبع
ههنا الملك والقدرة وقلوب عباده ان قلوبهم ما قبضته جارية قدرته عليها وذلك

ان الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات والعزوم والنيات وهن مقدمات
الافعال ونوائح الحوادث ثم جعل سائر الجوارح تابعة للحاق في الحركات والسكنات حتى
تقع حركاتها بحسب ارادات القلوب اذا كانت اختيارية كسبية ثم اخبر ان القلوب
جارية على ارادة الله عز وجل كائنة تحت سلطانه وقدرته ليستفاد بذلك ان
مركات نوائح الامور جارية تحت قدرته فتلك غاياتها وكنهاتها وهذا ايضا يدل على
صحة ما قلنا ان افعال الحيوان مقدورة لله مخلوقة له لانها لا تخرج الا على حسب
سابق علم الله ومشيته فيها فقول عليه السلام بذكر القلب وكونه تحت القدرة جاريا
على المراد على ان ما عداه اولى به لانه الذي تصيد افعال الجوارح عن تقلبه وارادته
وانما سئل رسول الله عليه السلام لاصحابه قدرة العبد سببا ما وضع ما يعقلون من انفسهم
لان الرجل منهم لا يكون على ثقة قدر منه اذا كان من اصبعيه وذلك يضرب من المثل
ما فلان الا بدي وخضري يريدون بذلك انه عليه مسلط وانه لا يتعذر عليه ان يكون
على ما يريد وقال بعض اهل العلم الاصبع ههنا بمعنى النعمة وقد ذكرنا فيما قبل ان
العرب تقول لفلان علي اصبع حسنة اذا انعم عليه نعمة حسنة وذكرنا قول الراعي
ذلك [illegible] قوله ضعيف القصب ادي العروق ترى له [illegible] اما اجدب الناس اصبعا
اي [illegible] الناس الكفة والخط ترى عليه اثارا حسنة
هذا [illegible] النعمة اللتين يتصرف فيهما قلب [illegible]
وذلك [illegible] جميع النعم لان النعم على ضربين ظاهر وباطن
المنتفعين بها والباطنة ما دفع من وجوه البشر وصرف من عوارض المحن واذا كان
كذلك احتمل ان يكون معنى اصبعين اي نعمتين اظهرهما الله علينا وهما سبغت وشملت
ظاهرا وباطنا وخص القلوب بالذكر لانها معظم ما في الانسان وبفسادها يفسد الجملة
وقال بعضهم معناه بين اثرين من اثار الله عز وجل وفعلين من افعاله في الفضل والعدل

وقد روى في بعض الالفاظ هذا الخبر ما يدل على ذلك وهو ان بعضهم قال فيه اذا شاء ازاغه
واذا شاء اقامه فاخبر ان القلوب في زنتها واستقامتها جارية تحت قدره الله وقبضته
وفي ملكه وسلطانه وتحقق ذلك انه قد روى في انه قال صلى الله عليه وسلم يعجبه
ما تقلب القلوب ثبت قلبي فدل على صحتها وبنا على ان معناه الموفق والخذلان وفيه
دليل على صحة مذهبنا لانه عرفنا ان الازاغة والاقامة يجريان على حسب القدرة
وتقاد المشية واعلم ان لفظ الاصبع مشترك المعنى واقع على الوجه التي ذكرناها
والمعاني التي ذكرناها وقد يقال للجارحة اصبع ايضا وليس مختصا به بل يجوز ان يقال
له واغير على الوجه التي ذكرناها فقد قامت الدلالة واضحة انه لا يجوز ان يقال
وصف الله عز وجل بالجوارح والادوات والابعاض والالات فلم يجز ان يحمل ذلك على
معنى الجارحة لاستحالة ذلك في صفته تعالى فوجب ان يحمل على احد ما ذكرنا من المعاني لانها
تفيد المعنى الصحيح ولا تقتضي التكييف والتشبيه الذي تعالى الله عنه وانما اخترنا
لفظ الاصبع في القدرة واحدة لانه جرى على طريق المثل فالمثل الجاري فيما بين الناس
في مثل هذا المعنى على هذا اللفظ وهو انهم يقولون فلان لابن اصبعين اذا اراد ان
ضرب المثل بانه مسلط عليه قادر على ما يريد فحكى لفظ المثل على اللفظ الجاري المعهود
وذلك لفظ التثنية فلذلك ساغ ان يقال انه بمعنى القدرة وهي واحدة وان كان اللفظ
شيئين اذ ليست حقيقة معنى الاصبع معنى القدرة فيتوهم القدرتين وانما يتمثل بذلك والمراد
به القدرة والسلطان ذكر جرير ما ذكره [illegible] الوجه
[illegible] ويحيى بن يعمر عن علقمة عن عبد الله ان رجلا من اهل الكتاب جاء الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ان الله تبارك وتعالى يمسك السموات على اصبع والارضين
على اصبع والجبال على اصبع والماء والثرى على اصبع ثم يقول انا الملك انا الملك فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قرأ قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره

ذكرنا وسلمنا ان هذا الخبر يحتمل تأويلا ووجها صحيحا لا يؤدي الى اثبات الجوارح لمن يستحيل
عليه وصفه ذلك وهو الله عز وجل لاستحالة كونه جسما متبعضا متجزيا محدودا فيما يمكن
ان يقال في ما لا يزال الى المحال في وصف الله سبحانه ان المراد به اصبع بعض خلقه
ويشهد بصحة ذلك انه لم يقل انه على اصبع الا طلق فقد ينكر ان يكون على ما قلنا
انه اريد به اصبع بعض خلقه وليس ينكر ان يخلق الله عز وجل ان يخلق خلقا على هذا الوجه
وقال محمد بن شجاع الثلجي [illegible] ويشهد لذلك يحتمل ان يكون خلق من خلق الله يوافق اسمه اسم الاصبع
فقال انه يجعل السموات على ذلك ويكون ذلك تسمية للمحل عليه ما ذكرناه فان قال قائل البر قد ذكر
في الخبر الاول ثم قبض اصابعه الخمس واعتبر انه اذا ثبت لله تعالى الخمس فكيف يكون
تأويلها قيل قد يحتمل ان يكون المراد به القدرة والملك والسلطان على معنى قول القائل ما فلان
الا بين اصبعي اذا اراد الاخبار عن جريان قدرته عليه فذكر معظم المخلوقات واخبر عن
قدرة الله تعالى عليها بعظم الشأن لرب عز وجل في قدرته وملكه وسلطانه فضحك رسول
صلى الله عليه وسلم كما تعجب منه انه لا يعظم ذلك في قدرته وان ذلك يسير في جنب ما يقدر عليه
ولذلك قرأ النبي صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره اي لم يقدروه في
القدرة على ما خلق على احد ما يتهى اليه الوهم ويحيط به الحد والحصر واذا كان كذلك فاحتمل
ما ذكرنا من التأويل كان صرفه اليها اولى من صرفه الى ما يستحيل في صفة الله عز وجل
ذكر [illegible] المعنى وما روى [illegible] روى عبيد بن عمير عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يأخذ الجبار سماواته وارضيه بيديه ثم يقبضهما ويبسطهما ويقول انا الجبار انا
المتكبر انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون واعلم ان اخذ السماء والارض بيديه يرجع
الى تعريفنا قدرته عليهما وحرانه سلطانه فيهما وقبضه لهما ويحتمل ان يكون معنى قبضهما
كقول القائل قبض الله روح فلان اليه اذا قبضها هم ليبسطها اي ثم يعيدها على ما كانت
بيديه والهيئة التي يشاكلونها عليها وقد قال تعالى في كتابه والارض جميعا قبضته يوم

القبضة والسموات مطويات بيمينه فتاول بعض اهل التفسير ذلك على معنى الافناء فانه يفني السموات
والارض بقدرته وقيل يقبضها بيمينه اي يقبضها التي أقسم بها ثم يعيدها وقوله ويقول
انا الملك اين الملوك تشهد بهذا التاويل في معنى الافناء وقد ذكرنا ما ذكره في قوله تعالى لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار قال المفسرون يقول ذلك عند افنائه خلقه واماتتهم فلا يكون
له مجيب فيجيب نفسه بقوله لله الواحد القهار واعلم ان القبض والبسط في صفة الله تعالى
ظاهر وقد ورد به القرآن وذلك يرجع الى معنى الفعل والفعل واقع بالقدرة فتكون هذه الخبر
يقوي قولنا انه هو القادر على القبض والبسط فان يقبض بعضا ويبسط بعضا وما
يقبض الآن ثم يبسط قد دلنا على قدرته على القبض والبسط جميعا ثم تفصيلا ونبه بذلك
على انفراد الحق وانه يفني الخلق ثم يعيدهم ويحييهم ثم يميتهم وعرفنا ضعفهم وعجزهم وزوال
املاكهم ودعاويهم انه هو الذي يتفرد بالملك والقدرة ولا يزول ملكه وقدرته
ذكر حديث ابن عمر في يوم القيامة وتأويله وذكر حديث سلمة عن ثابت عن انس
مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا قوله عز وجل فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال
هكذا يعني انه اخرج طرف الخنصر قال قلت لثابت يا ابا محمد ما يريد بهذا فضرب ثابت
صدره وقال احدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول ما يريد بهذا ذكر
تاويل من اعلم ان الذي يفسر هذا الخبر معنى التجلي ومعنى الخنصر فاما التجلي فمعناه في كلام
العرب ظهور الشيء والشيء قد يظهر بمعنيين مختلفين فيظهر حسا وعيانا بالحس ويظهر
بالدلالة كقول القايل تجلى لي الامر حتى عرفته وقد تجلى الله للخلق بعلاماته ودلايله
ويتجلى للمؤمنين يوم القيمة حسا وعيانا والصحيح من معنى التجلي ههنا في الآية ان الله جل
وعز خلق رؤيته في الجبل حتى راى ربه وذلك بان احياه وجعله عالما رايئا ثم ذكره
بعد الرؤية وجعله فرقا وقطعا علامة لموسى عليه السلام في انه لا يراه في الدنيا فاما قوله
فاخرج طرف الخنصر فان من اهل العلم من قال ان معناه الشيء اليسير من اياته كما سئل الخليل عن

بذلك اذا اراد الشيء اليسير فذكر الخنصر وضرب المثل به لانه جعل له خنصرا والعرب
تقول وتضرب بالخنصر مثلا عند تقليلهم الشيء وممكن الفايدة فيه انه اظهر من تفريق اجزاء
الجبل الذي كان موسى عليه وذلك يسير بالاضافة الى الآيات نظيرها الله عز وجل
يوم القيمة وكان ذلك من النوع الذي يظهر في القيامة وكان في القلة بالاضافة
الى كطرف الخنصر فان قيل فكيف انكرتما ثابت على من سمعه عن انس وعلى قول يحتمل ان
يكون توهم فيه انه يظن ان ذلك رجع الى صفة الله عز وجل او اثبات جارحة له او عضو
فلذلك انكر عليه ليفهمه ان ما توهمه من ذكر الخنصر على معنى الجارحة
قال محمد بن شجاع وقد روى عكرمة عن ابن عباس تجلى مثل طرف الخنصر على معنى
الجارحة تشبيها بما قلنا وعلة تاويلنا من ان ذلك على طريق التمثيل بالشيء اليسير لا على
معنى اثبات الجارحة وقد قال محمد بن شجاع الثلجي ان هذا الحديث ضعيف ولو صاد
عن ثابت ولم يروه عنه غير من اصحابه وقال بعضهم ان حماد ان كانت له خرجة الى
عباد ان وان ابا بكر العوجاء الزنديق ادخل على اصوله الفاظا واحاديث اخرجها
في اخر عمره فرواها بغفلة ظهرت فيه ذكر خبر ما توهم الشيخ وتاويله
روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا قوله تعالى ان الله يامركم ان
تؤدوا الامانات الى اهلها الى قوله ان الله كان سميعا بصيرا قال فوضع ابو هريرة
ابهامه على اذنه والتي تليها على عينه وقال هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرؤها ويضع اصبعه فكاري زعمت المشبهة اراد بهذا ان له عينا واذنا جوا
وهكذا وضع يده على عينه واذنه بيانا ويلزمهم ذلك اغلظ ان العين والاذن اذا
كانا بمعنى الجارحة فلا يصح ان يكونا الا لاجسام المولفة والاجزاء المركبة وقد بينا فيما
قبل ان القديم سبحانه لا يصح ان يكون جسما ولا ذا اجزاء والة وجارحة فاستحال ان
يكون المراد به اضافة الى العضو الجارحة وانما اراد بذلك تحقيق السمع والبصر وان الله جل

ذكر رؤية المرئيات برؤيته وسمع المسموعات بسمعه فاشار الى الاذن والعين تحقيقا
للسمع والبصر لاحل انهما محل السمع والبصر وقد يسمى محل الشئ باسمه لما بينهما من المجاورة والقر
وهذا كما قال عز ذكره لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها
والمراد بذلك ما في القلوب من العلوم والعقول لما لم يستعملوها في التوصل الى الحق ولم يعملوا
فكرهم ونظرهم في تعرف الحق والدلالة لما لم يستعملوا الحق ولم يسمعوه بسمع قبول صاروا كانهم
لا اسماع لهم ولا ادراك وصفهم في اية اخرى بانهم صم بكم عمي لما تعاموا عن قبول الحق صاروا عن
فهمه وسماعه وانما كان الاذن والعين محل السمع والبصر اشار الى المحل والمراد ما فيه
من السمع والبصر لا نفس المحل ومثل هذا قولك القائل قبض فلان على مال فلان
فيقبض يده ليشير به الى انه حازه له لا انه فعل ذلك بل يريد تحصيل المقبوض وايضا فان
هذا كما افادنا ان وصف الله عز ذكره بانه سميع بصير لا على معنى وصفه علم كما ذهب اليه بعض
اهل النظر فلم يفد الله عز وجل في وصفنا له بانه سميع معنى خاصا وفائدة زائدة على وصفنا
له بانه عليم واذا كان كذلك افادنا صلى الله عليه وسلم بذلك تخصيص معنى السمع والبصر وعلى الوجه
الزائد معناه على معنى العلم ابطالا لقول من ذهب الى هذا التاويل من معنى العلم ولو كان
معنى الوصف فيه بانه عليم لكان يشير الى القلب الذي هو محل العلم لتنبيه بذلك على ان معنى
انه سميع بصير انه عليم محلا اشار الى القبر والاذن وهما محلان للسمع والبصر حقق الفرق
بين السمع والبصر وبين العلم وبين فائدة الوصف بهما الاختصاص على ان العين والاذن
ليس مما يبصر به ويسمع وانما يسمع ويبصر بالسمع والبصر اللذين يكونان في الاذن والعين
الا ترى انه قد تكون عين ولا تكون بصر واذن صحيحة ولا يكون سمع فعلم ان المقصود ليس
هو اثبات الجارحة التي لا مدح في اثباتها بل المقصود اثبات الصفة التي بها يكمل الوصف
بالمدح والتعظيم وان الاشارة في ذكر الجارحة الى المستفاد مما في العين والاذن من السمع
والبصر لا الى نفس العين والاذن والعرب قد تقول كثيرا ما فلان الاشم وقد يريدون انما

هذا

ترى الشبيه بوجه دون وجه وفي هذا المعنى قال النابغة فانك شمس والملوك كواكب
اذا طلعت لم يبد منهن كوكب وكذلك قال الاخر
الفشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم ولم يرد بذلك انه
عز المسك وانما شبه الفشر بالمسك لطيب الرائحة واطراف الاكف بالعنم للاحمرار الذي
لا عز ذلك وكذلك اشارته عليه السلام الى الاذن والعين لتحقيق كونه سميعا بصيرا لا
لاثبات جارحه لاستحالة الجوارح على الله جل ذكره ومثل هذا الخبر ما روي في اخر انه قال
صلى الله عليه وسلم في وصف الدجال وانه يدعي الربوبية فقال عليه السلام ان الاعور
وان ربكم ليس باعور وهذا معنى اخر ايضا يختص وصف الله جل ذكره بانه بصير وانه لا يجوز
كونه على النقص والعمى ولم يرد بذلك اثبات الجارحة وانما اراد نفي النقص لان العور
نقص وقد ذكرنا انه لا مدح في اثبات الجوارح بل اثباتها لله مستحيل وقد يؤدي
الى القول بتشبيه وحدثت للوجوه التي تقدم بيانها ذكر اخر في النجاء
روي يحيى بن كثير عن عكرمة عن ابن عباس ان الله عز وجل اذا اراد ان يخوف اهل الارض
ابدا عن بعضه واذا اراد ان يدمر عليهم تجلى لها فاهلكت دلت اعلم انه يحتمل ان يكون
المراد بقوله ابدا عن بعضه اي بعض اياته وعلاماته تم يكون متدرجا ومتحدرا ومخبرا
كما قال تعالى وما نرسل بالايات الا تخويفا وقوله واذا اراد ان يدمر عليهم تجلى لها يحتمل
ان يكون المراد به انه اذا اراد ان يهلكهم ويستاصلهم اظهر من الايات اكثر مما اظهرها
في الاول حتى لا تستقر قلوبهم عليها وقد بينا فيما قبل معنى التجلي وان ذلك يقتضي على وجهين
فان يكون تجليا بالذات كما تجلى للجبل وان ذلك يقتضي ان نفسه الجبل قد دك وتقطع
وان يتجلى لخلقه بافعاله وذلك بما يظهر لهم من اياته الناقضة للعادات وعلاماته المزعجة
للقلوب والانفس فيسمى اظهار ذلك تجليا وذلك سائغ في اللغة على الوجهين جميعا كما قال
القائل تجلى لنا بالمشرفية والقنا يعني بالسيوف والرماح واراد ظهور القوم بالحرب

علهم وفهم واما معنى التجلي فهو الظهور وذلك يقال خلوت العروس اذا اظهرتها وابرزتها
ومنه قول القائل فان الحق منطقه ثلاث يميز اونفائا وجلاء اي ظهورا وز
ومنه الاخلاء عن الاوطان الظهور منها والخروج واذا كان هذا ساغ في اللغة كان الواجب
ان يكون محمولا عليه لاستحالة وصف الله تعالى بالكل والبعض والجزء وذكر الشيء والمراد به
غيره سايغ في اللغة لقول القائل بنو فلان يطؤهم الطريق والمراد اهل الطريق للمارة
فيها والعرب تقول اجتمعت اليمامة وحاربوني بنو اسد اهلها وقال الله تعالى واسئل القرية
واراد اهلها واذا ساغ ذلك كان قوله ابدا عن بعضه محمولا على هذا الوجه انه ابدا
عن بعض اياته وعلاماته من الافعال المنتقة الموقفة ذكر جبرا خرونا وسيلة
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعرابيا اتاه وعليه شاب رثة فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصعد النظر فيه ويصوبه ثم قال اكلك مال فقال نعم فقال ان الله
سبحانه اذا انعم على عبد يحب ان يرى اثر نعمته عليه ثم جرى الحديث طويلا الى ان
وصف البحيرة التي كانت العرب تحترمها وتشوذبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ساعد الله اشد من ساعدك وموساه احد من موساك فاوما بذلك اعلم ان النبي
عليه السلام انما خاطب العرب على لغتها وبالمفهوم في خطابها على عاداتهم الجارية فيما بينهم
والعرب تقول عند وصف الرجل بالقدرة والقوة عند اتفاق الامر فعلت ذلك بساعد
وبقوة ساعد ولا يريدون بذلك اثبات الساعد دون الوصف بالقدرة والقوة
الا ترى ان الرجل اذا قال جمعت هذا المال بقوة ساعدي فانما يريد انه جمع المال برايه
وتدبيره وقوته دون المباشرة بالساعد والغرض من هذا الكلام معلوم والخطاب به
مستفيض واللغرض مفهوم كذلك قصد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ساعد الله اشد من ساعدك
اي ان نفس اشد من امرك وقدرته اتم من قدرتك على العادات التي عرفت العرب في خطابها
اذا ثبت مثل هذا الخطاب لا على اثبات الساعد التي هي جارحة للقديم جل وعز وهذا نظير

ما ذكرنا فما قيل ان العرب تسمي محل الشيء باسم ما فيه من طريق العرف كما سمت المعرعنا والسمع
اذنا كذلك تسمي القدرة ساعدا وان كانت الساعد محلا للقدرة واما قوله وموساه احد
من موساك فهذا تحقيق ما ذكرنا من التاويل في ان المراد به التمثل وتحقيق الوصف بالقدرة
لا اثبات الجارحة لان الموس لما كان آلة للقطع وكان مراد عليه السلام ان قطعه امتنع
من قطعك عبر عن القطع بالموس اذ كان سببا له على مذهب العرب في تسمية الشيء باسم
ما يجاوره ويقرب منه ويتعلق به واذا كان ذلك كان تاويل الخبر محمولا عليه وليس
لاحد ان يقول هلا حملتم ما وصف به نفسه من اليدين في قوله بل يداه مبسوطتان
وخلقته سدى على القدرة كما حملتم الساعد عليه لاجل ما تقدم ذكره من تمثيل وان
حمل ذلك على القدرة يبطل وجه الفائدة في الاحتجاج على المليس من حيث انه مخلوق
بالقدرة كادم وانما ذكر الله عز وجل ذلك في خطابه على طريق التفضل لادم عليه السلام
على المليس في قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وليس كذلك ما ذكرناه هذا
اكبر من الساعد لانه ان حمل على معنى القدرة لم ينقض اصلا ولم يبطل فايدة بل امس
اظهر لانه اراد به القدرة ولذلك قال عليه السلام وموساه احد من موساك
وذكر خبرا خرقناه وهو ما روي عنا ان نبي رباح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا قام العبد الى الصلاة فانه يؤتى بعنق من جهنم فاذا التفت قال له الرب
جل وعز الى من تلتفت الى من هو خير لك مني ثلثت اقبل الي فاني خير لك من تلتفت
اليه اعلم ان العنق يستعمل في كلام العرب على معان كثيرة منها ما يراد به المشاهدة والرؤ
ومنها ما يراد به الحفظ والكلاية ومنها ما يراد به الجود ومنها ما يراد به الدلالة
فاما ما يراد به المشاهدة فكقول القائل انت على عيني واضع هذا المتاع على عيني
اي على مرأى مني ومشاهدة واما ما يراد به الحفظ والكلاية فهو في قولهم انت بعين
الله اي انت في حفظه وكلايته وقيل في قوله تعالى فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي
بحفظنا وكلايتنا واما التي يراد بها الدلالة ففي قولهم هذا عين القوم اي دليلهم فاما عين

بمعنى الجود ففى قولهم هذا عين مال وهذا من المتاع وهذا عن الفلان اى جيد والخيار
منه فاما العين التى هى بمعنى الجارحة فظاهر المعنى والاستعمال لانهم يقولون عين الانسان
والحدقة عين وادا كان لفظ العين مشتركا بين هذه المعانى المختلفة وكان وصف الله سبحانه
بالجارحة مستحيلا وجب ان يكون محمولا على بعض هذه المعانى التى ذكرناها من معنى العين
وذكر انه ان حمل على ان المراد به الحفظ والكلاءة كما قيل فى قوله تعالى فانك باعيننا لم يكن
ذلك منكرا وكان معناه ان الله سبحانه موفق للمصلى حافظ له وانه يحفظه ويكلاءته حتى
وفقه للصلاة وحرسه عن المعصية فى تركها كان بعيدا على معنى انه يحفظه ورعايته
وما يحقق ذلك ان المراد ان اكبر يدل عليه من قوله عز وجل انا خلقنا لكم ممن يلتفت اليه
لانه يدل واغظ له من نفسه تنبيها له ليزجره عن الاخلال والدعوة الى الاقبال
وهذا علامة الحفظ والكلاءة من قبل الله جل وعلا واذا قلنا ان المراد بالعين البصر وانه
يسمى البصر عينا لان مما يتعلق به ويقوم به فيتا كان المراد ان المصلى بمرأى من الله
تعالى ومشهد يراه ويرى حركاته ويسمع كلامه ويشهد قلبه وتكون الفائدة فيه
الترغيب فى التحفظ فى الصلوة وزم الجوارح للخشوع والحضور بالقلب والنية على
رويه المشاهدة والهيبة والاجلال لمن يصلى ويناجيه فى صلوته بقرآنه وذكره
وتسبيحه واذا قلنا ان المراد بالعين الكوة والخرق ونحو الشئ فيحتمل ان يكون المعنى فيه
ان المصلى ممن اختاره الله تعالى من بين خلقه لعبادته وخدمته فى ان وفقه للصلوة
لهو عين من عيونه وولى من اوليائه ومختار من خلقه وقد حمل قوله تاويل قوله
جل ذكره واصنع باعيننا ووحينا كلا الوجهين اى بحفظنا وكلاءتنا وعلى مرأى منا
ومشهد وقيل فى قوله تعالى ولتصنع على عينى الامر اى جميعا الصنا وكذلك قوله تعالى
فانما ولم يجر تاعيننا فقد ذكر بعض اهل التفسير ان للعين تاويلا ثانيا وخبرا خطفنا
لانهم كانوا قوم الموسن فى وقت نوح عليه السلام وقال بعضهم المعنى انها تجرى بمرأى منا

وقال بعضهم اراد بذلك عين الماء
التى اخرجها الله تعالى من الارض

وفى قوله تعالى
فانك باعيننا تجرى

ومشهد فى حفظنا وكلاءتنا لا تلحقها آفة ولا تعترضها نقص لاجل حفظ الله جل وعز لها
ولمن فيها واعلم ان استعمال لفظ العين فى البصر توسع لما ذكرنا انه تسمية الشئ باسم محله
ما هو قائم به وان ذلك سائغ فى اللغة وقد اختلف اصحابنا فيما يثبت لله عز وجل من الوصف
له بالعين فمنهم من قال ان المراد به البصر والرؤية ومنهم من قال ان طريق اثباتها صفة
لله تعالى السمع وسبيل القول فيها كسبيل القول فى اليد والوجه وقد مضى بيان ذلك
حيث ذكرنا تاويل اليد واذا كان لفظ العين اكثر مشترك المعنى محتمل التاويل ولا كبر
امرا واخذا لما جاء صحت به الاخبار المشبهة فقد بان ان الصحيح فى وصف الله سبحانه
احد ما ذكرناه لاحتمال اللفظ له وجريان ذلك فيه وصفه تعالى وتعالى حاله وصفه بالجوارح
والعضو والآلة تعالى عز ذلك علوا كبيرا ذكر حبر [illegible]

روى مالك عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى نخاعا فى جدار القبلة
فحكه ثم اقبل على الناس فقال اذا كان احدكم يصلى فلا يبصق قبل وجهه فان الله تعالى
قبل وجهه اذا صلى ومثله ما هو فى معناه ما روى انه لما سئل عن ابى ذر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله سبحانه مقبلا على العبد ما لم يلتفت فاذا
صرف وجهه انصرف عنه بيان ذلك وسببه اعلم ان معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله
سبحانه قبل وجهه يحتمل وجوها احدها ان يكون معناه ان ثواب الله عز وجل لهذا
المصلى ينزل عليه من قبل وجه هذا المصلى ومثل قوله عليه السلام يجى القرآن من بين يدى صاحبه
يوم القيمة اى يجى ثواب قراءة القرآن وقد روى ايضا فى الخبر انه قال من قرأ ثلث القرآن
اعطى ثلث النبوة والمعنى فيه انه اعطى ثلث علم النبى ومثله ايضا قوله صلى الله
عليه وسلم من عال ثلاث بنات كن له حجابا من النار اى كان ثواب ذلك حجابا له من النار
وقال الجوين قدم عمر رضى الله عنه مكة فجعل يطوف والناس حوله ويقول لهم افقهكم
قريبا بى سفيان فقال له ذلك قال نعم حتى يجى منا قال ثم من به بعد ذلك فقال
له الم اقل لهم افقيتكم فقال نعم حتى يجى منا يعنى خدمنا واصدقاءنا من هو كالخادم

قال فعلاه بالدرة فرجعت عنه فقالت انه والله لرب يوم لو ضربته لاقشعرت
بك بطن مكة فقال صدقت والله ولكن الله عز وجل رفع بالاسلام اقواما ووضع به اقواما
فقولها اقشعرت بك بطن مكة اي اقشعرت بك بطن اهل مكة وهذا كما ذكرنا في قول اهل اللغة
انهم يقولون حاربت تميم والازد بريد ابناءهم ويقولون حاربت اليمامة بريدون اهلها وهذه
طريقة العرب طالما نبهنا عليها فيحمل على هذا الوجه ان يكون معنى قوله عليه السلام فان
الله سبحانه قبل وجهه اي صلاته وكرامته ويحتمل ايضا ان يكون معنى اكرم على التزغيب
في ادمان الخشوع في الصلوة والحض عليه بريد بذلك صلى الله عليه وسلم ان اولى الاشياء بالمصلي
ان يكون شغل قلبه بذكر الله عز وجل وذكر عظمة الله وعزته وقدرته فمعنى المعنى ان
عظمة الله وعزته يجب ان يكون تلقاء وجهه على معنى انه يجب ان يكون شغله بها وبدلها
يجد بما حضارها القلب حتى لا يدلاه عن غيرها ويحتمل ايضا ان يكون ذلك ضربا من
ادب الصلوة على المصلي حتى لو ان صلوته محضرا لحرمتها معظما لامرها وللجهة التي
استقبل اليها خاصة تعظيما لامر الله سبحانه فلذلك لا يليق قبل تلك الجهة وعلى هذا يكون
تقدير قوله فان الله قبل وجهه ان امر قد توجه عليه في تعظيم الجهة التي توجه اليها فيجب
ان لا تعدل عنها لشيء من حسبك ولا لشيء من قبلك فاما معنى قوله عليه السلام لا تزال الله سبحانه
مقبلا على عبده ما لم يلتفت يعني في الصلاة فيحمل ان يكون المعنى فيه انه لا تزال خير مقبلا
عليه كما يقول القائل لا تزال الامير اقبل على فلان ادانيه وانا له خيرا وقوله فاذا صرف وجهه
انصرف عنه اي انصرف خير وثوابه كما يقول القائل لا تصرف وجهه عني فلان اذا قطع
خيره عنه ولم يحسن اليه في الاستانف كما احسن فيما سلف وهذا كقول القايل

وكما اذا الجبار صعر خده اقمنا له من ميله فتقوما

اي اذا مال خده مال قطع عطيته ونظره لا انه يريد بذلك اخذ المعوض ويحتمل ان يكون
المعنى فيه لا تزال توفيني الله عز وجل للعمد ولطلبته واصلاحه ما لم اعرض فاذا اعرضت
الله عز وجل عني بفعل اعادة اللطف فيه وهو معنى قولنا انصرف عنه وهذا كما قال

عز وجل ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم والمعنى في ذلك انه لما صرف الله قلوبهم عن اذ يقبل
التوفيق واللطف انصرفت قلوبهم عن الخير وهذا مبني على اصلنا في انه لا ينصرف احد عن
الطاعة الا بصرف الله عز وجل وقد ذكرنا ما لاجله توفيقا ولطفا يصل به الى الفعل
الكبير وعلى هذا تناول قوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اي لما زاغوا عني وحكمي
ازغت قلوبهم لما احدثتهم وخلقتهم واعلم ان الذي اوجب ان يحمل المتاويل في ذلك على
ما قلنا استحالة وصف الله تعالى بالكون في جهة ومحاذاة ومقابلة لما يستحيل كونه جهة ومحاذيا
واذا سوغت اللغة عن الطريق التي حملنا عليها هذا الكلام وكان مفيدا كان حمله عليه
اولى من وصف الله عز وجل بما لا يليق به ذكر حرمة نقض الوضوء بالقيء

روى ابو درعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة لا ينظر الله اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم
ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وروى عبد الله بن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الذي يجد ازار خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيمة ووجه
السوال في هذا الخبر ان يقال اذا كان الله تعالى لا يصح ان يوصف بالنظر فما وجه
قوله لا يزكيهم ولا ينظر اليهم والجواب عن ذلك ان النظر في كلام العرب ينصرف
على وجوه فمنها نظر العيان ومنها نظر الانتظار ومنها نظر الاعتبار ومنها
نظر التعطف والرحمة فمعنى قوله عليه السلام لا ينظر الله اليهم لا يرحمهم والنظر من الله
تعالى لعباده هو رحمته لهم ورافته بهم وعايدته عليهم ومنه ما تقول
القائل لغيره انظر الي نظر الله اليك اي ارحمني يرحمك الله وقال ايضا انظر الي
بمعنى تعطف علي وقال في الدعا ايضا انظر الينا نظرة نوحضا بها وروى في خبر
عن النبي عليه السلام ان الله عز وجل في خلق كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخفض
فيها ويعز ويذل والمراد بهذا النظرات ما يتجدد في كل حال من تغير الشؤون والاحوال
فاما وصف الله تعالى بانه ناظر فلا يصح على معنى الرويه من قبل ان النظر المعروف بالوجه
في اللغة وان كان بمعنى الرويه والعيان فانه لا ينسى الباري سبحانه الا بما سمى به نفسه

اوسماه به رسوله عليه السلام او اتفقت عليه الامة وقد ورد الكتاب بانه راي
بصير وانه يرى ويبصر ولم ينظر فلذلك لا يوصف بالنظر على معنى الرويه ويوصف
بالنظر على معنى التعطف والرحمة وعلى هذا تاول ايضا قوله ان الذين يشترون
بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى قوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمه اي لا
يتعطف عليهم ولا يرحمهم ولا يجوز ان يوصف برويته الله عز وجل بانها نظر كما لا يوصف
بانه ناظر على معنى انه راي وكذلك لا يجوز ان يوصف بانه رويه بعد رويته كما لا يوصف
بانه عالم بعد علم فما وصف به من تكرير النظرات وتكثيرها فذلك يرجع الى معنى النظر الذي
هو التعطف والتفضل والرحمة وذلك نوع الفعل ولا يجوز فيما طريقه طريق
صفات الذات ان يتعدد ويكثر ويكرر وقد روى في اخبار الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكنه ينظر الى قلوبكم فما
معنى هذا النظر يحتمل ان يكون معناه الاحتساب والاعتداد اي انه لا يعتد
بما نظر على ظواهركم اذا لم تكن موافقه لبواطنكم وهذا القول القابل فتصدر فلانا في
نظر الى اي لم يقع قصدي عنده موقعا اعتد به واحتسبه وانما كان كذلك لان الاعمال
الظاهرة منوطة بصحة السرائر والاخلاص في النيات ولهذا قال النبي عليه السلام انما
الاعمال بالنيات وان لكل امرء ما نوى ومثل هذا كان النيات هي المصححة للاعمال وانها
مع انفرادها عنها واقعة موقع القبول والاجزاء يشهد لهذا حديث ابي هريرة
وروى ايضا في اخبار الله تعالى لم ينظر الى الدنيا منذ خلقها فمعنى ذلك قد قيل قد يسأل قائل
ان النظر الذي هو بمعنى الرويه لا يقع فيه الاختصاص وانه هو الرائي لكل مرئي على طريق
الاحاطة والاختصاص لا يوصف بالنظر على معنى الرويه من طريق اللفظ والعبارة لاصل ان السمع
لم يرد به فاما الذي يوصف به من ذلك على لفظ النظر نقيضا وانيا فانما هو بمعنى التعطف
والرحمة او تركها او بمعنى القبول وتركه للقبول على الوجه الذي ذكرناه في قولهم فلان ينظر
نظر الى فلان اذا اراد وانه لم يعتد به ولم يكن له عنده قدر وعلى هذا يحمل معنى هذا

هذا الخبر بان الله تعالى لما خلق الدنيا للفناء والزوال وحث على الزهد فيها وتركا لاستيطان
بها قيل او صفه على هذا المعنى انه لم ينظر اليها اي لم يجل قدرها ولا قدر من ركن اليها وهذا يرجع
في التحقيق الى منع عز وجل لطف المستغلين بها المعرضين عن حكم الاخرى لان ما وصف به من
النظر على هذا الوجه راجع الى معنى التعطف والرحمة وفعل الفضل واللطف بالعباد ويكون
تحقيقه ان المستغلين بها المعرضين عن الطاعة فيها حرموا من اللطف والتوفيق من عنده
ما عند حرمانه اعرضوا عن الطاعة واشتغلوا بالمعصية وعلى ذلك ترتب ما وصف به
الله تعالى من النظر من قوله القابل نظر اليه ولم ينظر اليه [illegible]
روي في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله تعالى لا
يمل حتى تملوا اعلم ان وصف الله تعالى بالملال على معنى السامة والاستثقال للشيء على معنى
نفور نفسه عنه محال لان ذلك يقتضي تغير وحلول الحوادث فيه وقد دل على خروج
وصفه تعالى ولهذا الخبر طريقان من الدليل احدهما ان يكون معناه ان الله سبحانه لا يقطع
عليكم ولا يقطع عنكم ثوابه حتى تتركوا العمل وتزهدوا في سؤاله والرغبة اليه فسمى الفعلان
مللا تشبيها بالملال وليسا بمملين على الحقيقة والوجه الثاني ان يكون معناه ان الله تعالى لا
يمل اذا ملتم ومثل هذا قولك في الكلام ان هذا الفرس لا يفتر حتى يفتر الخيل وليس المراد بذلك
انه يفتر اذا افترت الخيل ولو كان المراد هذا ما كان له فضل عليها لانه يفتر معها فاي فضيله
له وانما المراد بهذا انه لا يفتر وان فترت الخيل وكذلك يقول القائل للرجل البليغ في كلامه
الا لذي خصومته فلان لا ينقطع حتى ينقطع خصومه يريد بذلك انه لا ينقطع اذا انقطعوا
ولو اراد به ينقطع اذا انقطعوا لم يكن له في هذا القول فضل على غيره ولا وجب له مدحة
وقد جاء مثل هذا في كلامهم وفي الشعر ايضا كما قال قائلهم ضليت منا هزيل بخ ولا يمل الشر حتى يملوا
لم يريدوا انهم يملون الشر اذا ملوا ولو اراد ذلك ما كان لهم مدح لانهم حينئذ يكونون قبيحا يكم
بل اراد انهم لا يملون الشر وان مله خصومهم فعلى هذا يكون معنى الخبر ان الله عز وجل لا يترك الاحسان
الى عبده وان تركوا هم طاعته وقصروا فيها لان الله تعالى انما وصف بالملال على الحقيقة

المثل

ذكر خبر آخر [illegible] روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا الدهر
فان الله هو الدهر ما وجه ذلك اعلم انه لا يجوز ان يوصف الله تعالى انه دهر او انه الدهر على
الحقيقة واما هذا مثل واصله ان العرب لما كانت تقول اصابتني الدهر في مالي كذا وانالني
قوارع الدهر ومصائبه فيضيفون كل حادث يحدث مما هو جار بقضاء الله وقدره وخلقه
وتقديره من سرور او حزن او فقر او حياة او موت الى الدهر ويقولون لعن الله هذا
الدهر والدهار ولذلك قال قائلهم امن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع
وقد يسمي الدهر المنون ايضا لان حالب المنون عندهم والمنون المنية وروى
بعضهم هذا البيت امن المنون وريبه تتوجع كانه قال امن الدهر وريبه يتوجع
والدهر ليس بمعتب من يجزع وقال الله سبحانه تتربص به ريب المنون اي ريب الدهر
وحوادثه وكانت العرب تقول لا والقا اخر المنون اي اخر الدهر وقد اخبر الله سبحانه
عن اهل الجاهلية بما كانوا يعتقدون عليه من نسبة افعال الله والاحداث الى الدهر فقال وقالوا ما هي
الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر فقال عليه السلام لا تسبوا الدهر اي
اذا اصابكم المصائب فلا تنسبوها اليه فان الله تعالى هو الذي اصابكم بها لا الدهر وانتم اذا نسبتم
الدهر وفاعل ذلك ليس هو الدهر وقع السب على فاعل ذلك وهو الله سبحانه وتعالى الا ترى ان
الرجل منهم اذا اصابته جائحة في ماله او ولد او بدن سب فاعل ذلك وتوهم الدهر
وكان المسبوب الفاعل لذلك وهو الله جل ذكره وشأنه فلو ان احدهم ان يكون رجل يسمى زيدا وله
عبد يسمى بكرا فمر ان يقتل رجلا فقتل من الناس بكرا ولعنه فقال لم قاتل لا تسبوا
بكرا فان زيدا هو بكر بعينه انما هو القاتل لان الذي امر هو حي كان هو القاتل كذلك الدهر
لكون فيه المصائب والنوازل وفي اقدار الله عز وجل فيثبت الناس الامر ثم لون المصاب
فيه وليس للامر صنع فيقول القائل لا تسبوا الدهر فان الله هو الامر وزعم بعض اهل العلم
ان هذا الحديث مداخل بعض الرواة وغير وامعناه غير صحيح لان هذا كيف ما دار
ذكر ما ذمه وروى الزهري عن ابن المسيب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول

الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدي اقلب الليل والنهار واذا شئت
وقد روى هذا الحديث بهذا اللفظ فبان ان التأويل على ما ذكرنا وقد روى قولهم انا الدهر
على وجهين احدهما بفتح الراء من الدهر ويكون معناه انه جعل ذلك وقتا للفعل المذكور ورجع
معناه الى ان الذي يبدي المقاليب للاحوال التي يتغير بها الدهر وقد روى ايضا بضم الراء
واذا روى ايضا على هذا الوجه يكون معناه ما تقدم ذكره اي اني انا المغير للدهر والمحدث
للحوادث فيه لا الدهر كما تتوهمون ويكون فائدته تكذيب من اقتصر على الدهر والايام والليالي
باحداث الحوادث وتغيرها من الملمات والنوازل وتحقيقا لاثباته جل ثناؤه وانه الفاعل
لجميع الحوادث بالدهر وطيها مرور الليالي والايام وان الايام ظروف للحوادث لا انها تحدث شيئا
منه شيء [illegible] ما يقضي الى ما ذكرنا وروى ابو كبران النبي صلى الله عليه وسلم قال
عقيب كلام ذكره ما لا يقتضي تأويلا ولا يوهم تشبيها وان آخر وطأة وطئها الله تعالى
بوج تأويل ذلك اعلم ان الوطأة التي هي بمعنى ما مس جارحه كيده او لبعض الاجسام
فلا يصح في وصف الله تعالى لاستحالة كونه جسما واستحالة تغير المحدث فيه من الحوادث واذا كان
كذلك كان معنى الخبر محمولا على ما تقدم ذكره وان ذلك يرجع الى الفعل دون ان يكون معنى متعلقا بالذات
مما يوجب حدوث معنى فيه ومعنى الحديث على هذا التأويل ان آخر ما اوقع الله عز وجل بالمشركين
بالطائف وكان آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنين وهو وادي
الطائف ووج اسم موضع فيه وكان سفيان بن عيينة يذهب في تأويل هذا الحديث
الى نحو ما ذكرنا ان ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر
واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فتتابع القحط عليهم سبع سنين حتى اكلوا الجلد
والعظام والعرب تعول في كلامها اشتدت وطأة السلطان على رعيته وليس
يريدون بذلك وطئ القدم ولذلك يقال وطئهم السلطان وطئا ثقيلا ويقال وطأة
المقيد اذا وصفوا وصف الوطأة بالثقل ولذلك قال قائلهم

ووطئتنا وطأة على حنق وطأة المقيد يابس الهرم

وروى نابت الهرم

والمقدار ثقل شيء وطائلة يوسف في قوله فيضع رطبه تمرا والهرم نبت ضعيف فاذا
وطبه العقد فتته وان كان هذا في الكلام سابقا وفي العرف جاريا وجب ان يحمل عليه
معنى الخبر لاستحالة وصف الله تعالى بالجوارح والمماسات [illegible]
روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اهتز العرش لموت سعد بن معاذ
وقد روى ابو الزبير عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر انه قال اهتز
عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ ذكرنا وسلم اعلم ان بعض اهل العلم ذهب في تاويل
هذا الحديث ان [illegible] اهتزاز العرش على الحقيقة وان العرش يتحرك على الحقيقة لموت سعد
ولسنا [illegible] بل نجوز ان العرش يتحرك عليه الحركة ولكنه تبطل بتبطل فايدته وذاهب
بعضهم ان الاهتزاز هنا هو السرور الذي كان على سعد ولهذا انتفى بطل فايدة الخبر
وانما اضيف هذا الخبر فضيلة لسعد ولا فضيلة له في تحريك سرير والصحيح من التاويل
[illegible] ويحتمل ان يقال الاهتزاز هو الاستبشار والسرور ويقال ان فلانا يهتز للمعروف
ويهتز له ومنه قيل في المثل فلان اذا دعي اهتز واذا سئل ارتز والكلام لابي الاسود
الدؤلي والمعنى فيه انه اذا دعي الى الطعام بادر اليه ارتاح له واستبشر واذا دعي الى الحاجة ارتز
اي تقبض ولم ينطلق ومنه قول الشاعر وناظر عند الكرام هزة كما اهتز عند الباخع
الغض الرطب فمعنى الاهتزاز في هذا الحديث الاستبشار والسرور وروى العرش
فعرش الرحمن على ما جاء في الخبر والمعنى في ذلك ان حملة العرش الذين يحملونه ويطوفون
به فرحوا بقدوم روح سعد عليهم فاقام العرش مقام من يحمله ويطوف به لعلو الملائكة
كما قال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض يريد اهل السماء واهل الارض وكما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في احد هذا جبل يحبنا ونحبه يريد يحبنا اهله ونحب
اهله يعني الانصار وقد جاء في الحديث ان الملائكة يستبشرون بارواح المؤمنين وان لكل مؤمن
بابا من السماء يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه وتفرح فيه روحه اذا مات وكان حملة العرش
من الملائكة يفرحون ويستبشرون بقدوم روح سعد عليهم لكرامته عند الله تعالى

وحسن عمله واعلم ان هذا الحديث ليس مما يوجب شيئا منه الى صفات الله عز وجل ولكنه
مشكل اللفظ فضل في جملة ما ضمنا تاويله وتفسيره من مشكلات الاخبار
[illegible] روى عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لو جعل القرآن في اهاب ثم القي في النار ما احترق اعلم ان الناس اختلفوا في تاويل
هذا الخبر فاوجب بعضهم معناه ان من حفظ الله عليه بحفظ القرآن وقاه عذاب
النار واحتج لذلك بحديث ابي امامة ان الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن وقد روي
ذلك عن الاصمعي وقال بعضهم معناه ان القرآن لو كتب في جلد ثم طرح في النار ما احرقته النار
وذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم علامة لنبوته وقال قوم تاويل اي ان القرآن
لو كتب في جلد ثم طرح الجلد في النار ما احترق اي كما احترق القرآن بمعنى انه لم
يبطل ولم يندرس وانما يندرس ويبطل المداد ويحترق الجلد دون القرآن وهذا
مثل قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله سبحانه اني انزل عليك كتابا لا يغسله الماء ولم
يرد انه لو كتب القرآن في ثوب وغسل بالماء ينغسل انما اراد ان الماء لا يمحوه ولا
يتلفه وكذلك قوله ما احترق اي في حقيقة الامر لا يبطل ولا يندرس ومثل هذا كثير
قال الله تعالى والا مكتوم الله حديثا وهم قد كتموا الله عز وجل لما قالوا والله ربنا ما كنا
مشركين وانما اراد ولا مكتمون الله حديثا في حقيقة الامر لانهم فيما كتموا ما يغيب
كتموه عن الله عز وجل وانما توهموا انهم كتموه وذهبوا هبون من اصحابنا الى انه لا
يصح ان يكون معناه ان من حفظ القرآن لا يعذب بالنار لانه قد روي في اخبار النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال يكون في آخر الزمان قوم تحقرون صلاتكم في صلاتهم واعمالكم في اعمالهم
يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية
فبان انه اراد بقوله لا يعذب قلبا وعى القرآن اذا حفظ حدوده وعمل بموجبه
واعلم ان هذا الخبر يدل على صحة ما نقول ان القرآن مكتوب في اللوح والجلد غير حال فيه وانه
لا يجب طول الكلام في محل الكتابة كما ان النبي صلى الله عليه وسلم مكتوب في التوراة فلم يكن حالا

فيها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما احترق اي از احراق الجلد وبطلانه لا يوجب بطلان
الكلام لاجل انه ليس في محل كتابة ومثل هذا الحديث ما روي عبد الله بن عمر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي لمن حمل القران ان يجهل مع من جهل وفي حوفه كلام الله سبحانه
وذلك ان معنى قوله حمل القران اي حفظ ووعاه وفهمه ومعنى قوله في جوفه كلام الله
اي فيه حفظ كلام الله وذلك ان الكلام يحفظ في القلوب متلوا بالالسنة مكتوبا في
المصاحف كما ان الله عز وجل مذكور لا بالسنة معبود بالجوارح ولا يجوز ان يكون
في شيء من هذه حالا ومثل هذا قوله تعالى واسربوا في قلوبهم العجل اي وحب العجل
لان العجل لم يحل قلوبهم واعلم انا لا نابى القول بان كلام الله سبحانه محفوظ على
الحقيقة في القلوب مكتوب على الحقيقة في المصاحف بكتابة حالة فيها متلو
بالالسنة متلاق فيها مسموع بالاسماع غير حال في شيء من هذه المخلوقات ولا مجاور
[illegible] فما تقولون فيما روى ابو امامة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ما تقرب العبد الى الله تعالى بمثل ما خرج منه يعني القران قيل
لم أن خروج الشيء من الشيء على وجهين احدهما خروج الجسم والاخر لمفارقة مكانه واستبداله
مكانا اخر وليس الله سبحانه وتعالى جسما ولا كلامه ايضا جسما لانه لو كان جسما لاقتضى
محلا واحدا وذلك فاسد والوجه الثاني من معنى الخروج كقولك خرج لنا من
كلامك خير كثير وانا نافيه نفع بين اذا اراد انه ظهر لهم منه منافع فامتا الخروج
الذي هو بمعنى الانتقال فلا يصح على كلام الله سبحانه ولا على شيء من الكلام لاجل انه
ليس بجسم ولا جوهر وانما يجوز الانتقال على الجواهر والاجسام فاما على الوجه
الثاني فيصح للمعنى فيه ما انزل الله على نبيه وانهم عباد وقد قال قايلون
ان القاي في قوله خرج منه لعود الى العبد وخروجه منه وجوده متلوا على لسانه
محفوظا في صدور مكتوبا بيده وذكر عكرمة انه شهد جنازة رجل مع ابن
عباس فلما دخل الرجل يقول عند القبر يا رب القران لغرلة قال ابن عباس سنة

اما علمت ان القران منه قال فغطى الرجل راسه كانه اي كبين ومعنى قوله ان القران منه
اي بوصفه الله القايمة بذاته ولا يجوز ان يكون ما كان في حكم مربوبا ومحدثا فان قيل
فما معنى قول عمرو بن دينار ادركت مشايخنا يقولون منذ سبعين سنة ان كلام الله
منه خرج واليه يعود قيل معناه عند اهل النظر انه هو الذي تكلم به وهو الذي امر به وفي
عنه واليه يعود يعني هو الذي يسلك عامر كل وزهاك حر [illegible] وقد روى
عثمان بن عفان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال افضل القران
على سايز الكلام كفضل الخالق على المخلوق وذلك انه منه واعلم ان قول القايل ان
الشيء من الشيء قد يكون على وجهين احدهما ان يكون جزءا له كقولنا اليد من الانسان
والواحد من العشرة وقد يكون الشيء من الشيء على معنى انه فعله وظهر منه كقوله تعالى
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه يعني خلقا وتدبيرا وقد يكون من
على معنى انه صفة له وعليه يتناول قوله ان كلام الله من الله ومن اضحانا من قال
ان معنى قولنا كلام الله من الله اي منه تبيين وتعليمه يعلم وتفهيمه يفهم وذكر
بعض اصحابنا ان معنى قول النبي عليه السلام وذلك انه منه معناه انه له والعرب
تقول ان هذا منك يعني انه لك كما قال القايل ومنك العطا ومني الثنا اي لك العطا
ولي الثنا اعلمك والعلم ان الشبهة قد تناولت الصدر على معنى انه معنى ليس بحرف
فكيف يصح ان يقال خرج منه كلامه على تقدير خروجه من الاجسام المجوفة فعلت
ذلك تناقض قولهم وان معنى اكبر على ما اشرنا اليه [illegible]
فما تقولون فيما روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قراطة
وليس قبل ان يخلق ادم بالفي عام فلما سمعت الملايكة ذلك قالت طوبى لامة تنزل عليها هذا
والجواب اعلم ان معنى قوله قرا اي اظهر واسمع وافهم كلامه من اراد من خلقه من
الملايكة في ذلك الوقت والعرب تقول قروت الشيء اذا سمعته وتقول ما قرات
هذه الناقة في رحمها سلا قط اي ما ظهر فيها ولد فعلى هذا يكون الملاح شايعا وقرانه

وملكا

اسماعه وافعاله بعبارات يخلقها وكتابة يحدثها وهي مخلوقة وقولنا قرانا كلام الله ومعنى
قوله فاقرؤا ما تيسر منه ومن اصحابنا من قال معنى قوله قرا اى تكلم به وذلك مجاز كقولهم
دقت هذا الامر دواقا بمعنى اختبرته ومنه قوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
اى بلاهم الله به فسمى ذلك ذواقا والخوف لا يذاق على الحقيقة لان الذوق الحقيقي بالفم
دون غيره من الجوارح وما قلناه اولا اوضح في تاويل هذا الخبر لان الله تعالى ازلي
قديم سابق لجملة الحوادث وانما اسم وافهم من زاد من خلقه على ما اراده في الاوقات
والازمنة للان غير لايم تعلق وجوده بعد وزمان دلر حسرا حرما يعني
وروى ابو خازم عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال دون الله تعالى سبعون الف حجاب من نور وظلمة وما يسمع من نفس شيا من
حسن ذلك الحجاب الا زهقت نفسها وروى ايضا عن ابن عمر انه قال احتجب الله عن
خلقه باربع بار وظلمة ونور وظلمة تاويل ذلك اعلم ان معنى قوله عليه السلام دون
الله سبعون الف حجاب اى هو حجاب لغيره من خلقه لانه جل ثناؤه لا يصح ان يكون محجوبا
بالاستحالة ان يكون محصورا محدودا تعالى الله عن الحد والحصر والتشبيه والتمثيل فالخلق
محجوبون لا رب العالمين جل وعز وعن الحجب لهم وهم المحجوبون بها ولا يصح ان يكون دونهم
حجاب محجبه سبحانه وتعالى عما يشركون وقد روينا فيما قبل عن علي رضي الله عنه انه انكر
على من قال لا والذي احتجب بسبع وعلاه بالاره وقال له ان الله لا يحتجب من خلقه بشي
وكل محجب خلقه عنه رواه علي بن عاصم عن عطاء بن السايب عن المختار عن علي رضي
الله عنه انه قال ذلك وقال محمد بن شجاع البلخي في معنى قوله احتجب الله عز وجل من خلقه
باربع اي ان الله عرفنا نفسه بايات ودلايل مما خلق من النور والظلمة والنار وان له
ايات لو اظهرها للخلق كانت معرفتهم به كمعرفة العيان وذلك نحو ما ذكر في قوله تعالى
فغشيت اعناقهم فهاخا صعقين ومعنى احتجب بالنار اي خلقها دون ذلك للدلالات التي تبهر
العقول وتدل على معرفته واعلم ان الغرض من هذا ان تعلم ان الحجاب يرجع الى المحجوب من الخلق

كلام

وان الخالق لا يصح ان يكون محجوبا ولا محتجبا كما لا يصح ان يكون محدودا ولا محصورا فاذا علمت
انه لم يرد بالخبر هذا المعنى وان الحجاب يرجع الى المحجوب من الخلق سلمت من الغلط وامنا دخول
الشبهه عليك فما لا يجوز في صفة الله عز ذكره من اثباته محدودا محصورا تعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا [illegible] ومعناه روى انس بن مالك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى ليستحي اذا رفع العبد اليه يديه ان يردهما صفرا
من خيرهما وروى بعل بن منبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى ليستحيي ان
اراد احدكم ان يغتسل فلتوار بشيء ذكرنا وبما اعلم ان وصف الله تعالى بالحيا على
معنى ما وصف به المخلوقون من الحيا الذي هو انقباض وتغير وتخشع فلا يجوز لاستحالة
كونه جسما متغيرا تعالى الله عن ذلك فاما ان يوصف بالحيا على معنى الترك
فصحيح وقد عبرت العرب عن سبب الشيء بما هو فلما كان الحيا سببا لترك المستحيا منه
كان معنى ما قال الله عز وجل ليستحي ان لا يترك يدي العبد خاليتين من خير اذا رفعتهما
اليه في الدعاء وعلى ذلك تتاول ايضا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله ليستحي ان يعذب الشيوخ
قيل ومن الشيوخ يا رسول الله قال الذي يحاسب نفسه فلما ان يحاسب نفسه فلم يترك بعد
وعلى هذا تاول قوله عز وجل ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا اي لا يترك والاستحيا من الله
فعال بمعنى الترك لان المستحي يترك من الحيا الشيء كما يترك للاجبار وينقطع بالحيا عن
المعاصي كما ينقطع بالاجبار عنها وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحيا لا يسوق الا بخير
وقال ابو وايل عن عبد الله بن مسعود ان اخر ما حفظ من كلام النبي اذا لم تستحي
فاصنع ما شئت يريد اذا لم تستحي الرجل ركب كل فاحشة وقارف كل قبيح وارتكب
كل دنية دنيا واخيا؛ وان معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى حيي ستير فقد فسرنا
معنى الحيي ومعنى ستير اي ساتر يستر على عباده كثيرا من عيوبهم ولا يظهرها عليهم
ويستر بمعنى ساتر كما قد يرد بمعنى قادر وعليم بمعنى عالم واذا حمل الخبر على ما ذكرنا صح المراد
وبطل قول من توهم فيه التشبيه [illegible] روى عن النبي صلى الله

عليه وسلم ان رجلا قال لبنيه اذا انا مت فاحرقوني ثم ذروني في البحر لعلي اضل الله تعال
ففعلوا ذلك فجمعه الله عز وجل وقال ما حملك على هذا فقال الخيا منك رب فغفر له وروى
حميد بن عبد الرحمن عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر لفظا
مشكلا زايدا ومعنا ان قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا اسرف على نفسه
فلما حضر الموت اوصى بنيه فقال اذا مت فاحرقوني ثم ذروني في الريح في اليم فوالله
لئن قدر علي ليعذبني عذابا ما عذبه احدا ففعلوا ذلك فقال فيقول له الرب عز
وجل عند التوبة ما حملك على ما صنعت فيقول خشيتك فيغفر الله عز وجل له ذكر
ذلك وقيل اعلم ان هذا الخبر وان لم يرجع لشيء من الفاظه الى ما هو صفة من صفات
الله تعالى فان لفظه مشكل وكان القايل لم يسمعه معصوما له فوجب ان يوقف على
معناه ليزول الاشكال فما معنى قوله اضل الله اي انسيه كما قال تعالى في كتابه لا
يضل ربي ولا ينسى وما ذكر تعالى في قوله ان تضل احداهما فتذكر اي تنسى وقد قرئ
بفتح الواو في تاويل قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا فذكرك والعرب تقول
ضللت كذى واضللته اذا نسيته فاذا كان ذلك معنى الضلال ههنا فمراد ان
الله تعالى يميته ولا يبعثني فاستريح من عذابه والعرب تقول ضل للآذن اللبن اذا
غاب فيه ولم يتبين ويكون معنى قوله لعل اضل الله اي لعل الله تبارك وتعالى ان يميتني
ولا يبعثني فاستريح من عذابه وهذا اظهار الجزع والخوف والخشية لا على ما يكون
عليه لانه كان يعتقد فيما انه يجوز ان ينسى الله احدا ولا شيئا ولكن ان يفوته
شيء ومثل ذلك ما روي عن عمر رضي الله عنه انه كان يقول في دعائه اللهم قد كبرت سني
وضعفت فاقبضني اليك غير مضيع ولا مفرط وذكر اهل العلم ان ذلك اظهار غاية الخوف والخشية
حتى لئن ما لا يكون ان لو كان فلما يكون حتى لا يفوته التضرع بكل وجه في طلب ما يكون
ولا يكون اظهار الغاية الخوف والخشية لان ذلك يظلما لما يعلم انه لا يكون فاما معنى
قوله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه احدا فلا يصح ان يكون على معنى القدرة لان

من توهم ذلك لم يكن مؤمنا بالله عز وجل ولا عارفا به وانما ذلك على معنى قوله تعالى في قصة
يونس عليه السلام فظن ان لن نقدر عليه اي لن نقدر عليه وذلك يرجع الى معنى التغيير لا الى معنى
القدرة لانه لا يصح ان يخفى على نبي معصوم ذلك وقال الفراء في تاويل قوله تعالى فظن ان لن
نقدر عليه اي لن نقدر عليه ما قدرنا ومثل قول الشيخ الهذلي ولا عايدا ذاك الزمان الذي
مضى تبارك ما تقدر يفيء وكل الشكر ان ما تقدر يكون فعلى ذلك يحمل قوله لئن قدر
علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه احدا اي ما عاقبه بعقوبة فانه يعاقبني دايما وهذا كلام خايف جزع مم
وكما قدمنا في الخبر ان الله تعالى يغفر له وقد علم انه لا يغفر للكافر وجب ان يحمل لفظه على تاويل
صحيح لانا في المعرفة بالله تعالى وتاييدنا له نجري ان الكفر واذا حمل على ما ذكرنا بان الغوض وبان وجه
الاشكال فيه فاعلم ان شاء الله ذكر [illegible] روى ابو صالح عن
ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة معلقة بمنكبي الرحمن جل وعز تقول
الله لها من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وذكر في خبر آخر انه قال انا الرحمن
وهذه الرحم شققتها من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها بتته ذكرنا وجه
اعلم ان الشجنة في كلام العرب هو الشعب من الشيء والتقطعة منه ومنه قيل لبخن متشجنة
اي متفرعة كثيرة الاغصان ومما يحكى انه قيل لاياس من يعوده الحديث دو شجون فقال
شجونه خير منه ومعنى الشجون ان يتشعب من الحديث احاديث كالوادي الذي يتشعب
منه المجاري فتفترق عنه الانهار والطرق ومعنى قوله تعلقت بمنكبي الرحمن اي اعتصمت
بذكر الله عز وجل ولذت به وهذه كلمة تقولها العرب عند الاستظهار والاستجارة ويقولون
استظهرت بفلان واستجرت به وتعلقت بحباله وقال الشاعر في مثل هذا المعنى

تعطيت من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني

اي اعتصمت به وقال عز وجل ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اي هو قادر على تصريفها
كيف شاء والعرب تقول لصاحبه اذا اطاعه ناصيتي بيدك وزمامي بيدك وقيادي بيدك
وليس ثم زمام ولا قياد ولا ناصية في الحقيقة وانما هو مثل للتطويع والمطاوع وكذلك قوله تعلقت

وهما اخر قدر
معنى قسم ومن
قدر عليه رزقه
اي ضيق
ذكر اي قسم

بمنكبي الرحمن اي استحارت به واعتصمت والله عز وجل لا يوصف بالمنكب تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم انما خاطبنا على لغة العرب فاذا ورد منه الخطاب محمل على
مقتضى حكم اللغة فاذا كان محالا لوجين احدهما المخرج في اللغة وما يليق بحكمة ولا
يودي الى المحال في وصف الله عز وجل ذكره والثاني يقتضي تشبيها وتكييفا وتمثيلا كان اولى
ما حمل عليه من الوجهين ما لا يودي الى وصف الله جل ذكره بالجوارح والادوات على انه وان حمل على
ما يوهم التشبيه من ذلك الخبر لم يجز معناه من قبل ان الرحم لا يسع عليها التعلق وانما هو حق
القرابة من طريق النسب فتعلم ان ذلك مثل والمراد ما ذكرنا انما اراد تاكيد امر الرحم والحث
على وصلها والزجر عن قطعها فاجتهد من ذلك بما بلغ ما يكون من التاكيد واعلم ان مثل
هذا ايضا مما يرى في الكتاب قوله جل ذكره ان نفسا تاسف على ما فرطت في جنب الله
وقد انه كلام محمول على وجه من التوسع على عادة العرب في الخاطب بما يقتضي من معناه ان المراد
به امر وقد تشيع في كلامهم انهم يقولون كبر فلان في جنب فلان فيريدون بذلك الحط من
وحدته والتقرب اليه كذلك معنى هذا الآية ان النفس تظهر الحسرات يوم القيمة على ما وقع من
التفريط منها في طاعة الله والذي يوضح هذا المعنى ويوضح ان التفريط لا يقع في جنب الصفة
ولا في جنب الجارحة لما قرن بذكره التفريط علم ان المراد به ما قلنا ان المعنى التقصير في طاعة
الله والتفريط في عبادته وقد جاء في حديث رواه سالم عن ابيه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال صلة الرحم تزيد في العمر وقال في حديث رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم من احب ان ينسأ له في عمره فليصل رحمه فسد سائل عن هذا الخبر وقال كيف يجمع بينه وبين قوله عز وجل
في محكم كتابه فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقال تعالى في موضع آخر
وان لن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها فاخبر ان الاجل لا يتقدم ولا يتاخر فكيف يجوز ان يعود
صلى الله عليه وسلم صلة الرحم تزيد في العمر بيان ما ورد به الجواب عن السؤال
اعلم انه ليس شيء من هذه الاخبار مخالفا لما في الكتاب كيف وقد روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ذلك ما يؤيد ما في الكتاب وهو ما روي ان ام حبيبة قالت اللهم متعني

بابي سفيان وباخي معوية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سالت الله في اجال مضروبة
وارزاق مقسومة لن يؤخر منها شيء وقال ابن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الصادق المصدوق ان الله تعالى يبعث ملكا الى الرحم فيكتب اجل المولود في بطن امه
ورزقه وسعادته وشقاوته وكذلك روي عن ابن عمر وجابر عن النبي صلى الله عليه وسلم في مثل
هذا المعنى وهذه اخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء مجيء كتاب الله عز وجل وان كان
نفس اجلا لا يتقدم اجلها ولا يتاخر فاما معنى الزيادة في العمر فقد قال بعض اهل العلم ان
معناه السعة والزيادة في الرزق وقد قيل ان العمر هو الموت الاكبر وقال بعضهم ان الله
سبحانه اعلم موسى ان يميت عدوه ثم رده بعد ينسيه الخوض فقال يا رب وعدتني ان تميته
قال قد فعلت ذلك فاني قد قدرته وهنا كما قال الشاعر

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء

انما الميت من يعيش فقيرا كاسفا باله قليل الرجاء

فلما جاز ان يسمى الفقير ميتا توسعا جاز ان يسمى الغني حيا وتسميه زيادة في العمر وتمديد مدة السعة
والرزق على طريق الثواب والكرامة في الدنيا وقال قائلون ان معنى الزيادة في العمر
نفي الآفات عنهم والزيادة في افهامهم وعقولهم وبصائرهم وليس ذلك بزيادة في ارزاقهم ولا
في اجالهم لان الاجال معجلة لا زيادة فيها والارزاق مقسومة لا يزاد في رزقه ولا ينقص منه شيء
لان الله تعالى اخبر انه قد قسم الارزاق بين عباده فقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم
الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وقال في الاجل لكل امة اجل اذا جاء اجلهم
فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقال جل ذكره ان غير الاجل والرزق يمر له
الرزق والاجل وقد اخبر انه يزيد من يشاء من قضله ولم يخبر انه يزيد من يشاء في رزقه ويوخر
من يشاء في عمره وقال قائلون ان الله سبحانه يملك اجل عبد مائة سنة عند وجود
تركيبه وحياته وبنيته لتعميره ثمانين سنة فاذا وصل رحمه زاد الله في ذلك التركيب
وفي تلك البنية ووصل ذلك النقص فعاش عشرين سنة اخر حتى يبلغ المائة وهو الاجل

الذي لا متاخر عنه والمستقدم فيه وقال قوم معنى ذلك ان يكون السابق في العلوم
انه اذا وصل درجة كان عمره الذي منه اداء يصير فيكون كله ما سبق في العلم على الحد الذي يحدث
ويوجد في المستقبل فان قيل فما معنى قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من
عمره الا في كتاب قيل معنى ذلك لا يعمر من معمر في ابتداء الامر ولا ينقص من عمر عن الاخر
في الابتداء الا كل ذلك في كتاب قد سبق علمه واظهر قدرته لانه يكون زايدا ثم ينقص او
ناقصا ثم يزيد لان ذلك يودي الى ان لا يكون الله سبحانه عالما بالاشياء قبل كونها على ما
ما يكون ولا يجوز ذلك في وصفه سبحانه فعلم ان المراد بذلك تعريفنا ان التفاوت الواقع
بين الاعمار في اختلاف مقاديرها في الطول والقصر والزيادة والنقصان كل ذلك في
كتاب مبين على حكم واحد صدر عن علم سابق محيط فيه واعلم ان الذين يحالفونا
من القدرية فقالوا بقطع الاجل ومعنى ذلك عندهم ان يكون الله تعالى قد جعل لبعض الاحيا
مدة حياة خمسين سنة ثم يقتله القاتل فيجعل ذلك قطعا لمدته ويقطع على المدة التي
قدر الله له من دونه وهذا عندنا مخالف للكتاب والسنة اذ لا يوصف الله جل ذكره
بالقهر والغلبة لانه اذا اراد الله تعالى ان يكون اجل زيد خمسين سنة ثم يقتله القاتل
فيجعل ذلك سنة ويقطع عليه بلوغ مدة ذلك واراد غيره ان يكون سنة فلم يكن من
بلوغه الاجل الذي اجله الله له واراد ان يبلغه وقطع عليه اجله فقد قهر من دونه
وغلبه في حكمه وذلك لا يليق بوصفه [illegible] فان قيل فما تقولون في قوله تعالى يمحوا
الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب قيل تاول اهل العلم ذلك على وجوه
كثيرة فمنهم من قال ان معناه ان الله جل ذكره ينسخ من الاحكام ما يشاء ويذكر ما يشاء
فيها ما يشاء ويواثبانه ويقرره وقد يوصف جل ذكره بالفسخ والاثبات ولا يدعوا
ذلك الى البداء ولا الزيادة في العلم على خلاف ما ذكرنا ومنهم من قال معناه يمحوا ما سبق
من الذنوب بالتوبة المتعقبة لها ويثبت التوبة وحكمها ومنهم من قال معناه
يمحوا بياض النهار ويثبت سواد الليل ومنهم من قال ذلك لاثبات تعريفنا ان

الايجاد والاعدام [illegible] والتي متطوق بمشيته على حسب ما سبق به علمه وجرى به قلمه
نقضا لان يكون ذلك [illegible] او من عنى [illegible] فان قال قايل من المعذرة ان يقال قد
قال الله تعالى مخبرا عن نوح انه قال لقومه اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من
ذنوبكم ويوخركم الى اجل مسمى فقال عز وجل في اية اخرى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده
ثم انتم تمترون قيل اما معنى قول نوح عليه السلام انه يوخرهم الى اجل مسمى يعني ان
امنوا واتبعوه يكون اجلهم ولم يثبت الله عز وجل لهم اجلا ان يبلغوه فقال ان اجل
لكم مسمى بل لم يصف لهم ذلك الاجل وذكره فما ان المراد اجل من الاجال لو امنوا وبلغوه
كان لهم اجلا فاما قوله تعالى ثم قضى اجلا وهو اجل الدنيا والاخر وهو اجل القيامة
اي تشكون في البعث وهو الاجل المسمى للثواب والعقاب واجل الدنيا هو المسمى للفناء
والتكليف فيه وليس في ذلك شيء يوجد فوت القدرة القائلين بقطع الاجل فاما من قال منهم
بقطع الاجل واباح جواز الزيادة فيه فيقال لهم اخبرونا انه يزيد في الاجل الموجل اذا وصل
رحمه او تجنب الافات وتعاهد من المقدورات ما يستغني به على استحلاب الزمان في عمر
وصرف الافة عنه فان منعوا بين الامرين وقالوا جايز ان يزيد حزنا في الاجل الذي قدر
الله تعالى بخلاف ما ذكرنا كما جاز ان ينقص منه فقد فارقوا قولهم وخرجوا عن ظاهر الكتاب
والسنة والمعقول لانه كان نفع الاستقدام في الاجل كذلك الاستخار ويجمع بينهما في الحكم
وما يوضح لك ان الخبر في قول نوح عليه السلام ما ذكرنا قوله عقيبه وذلك ان اجل الله اذا
جاء لا يوخر لو كنتم تعلمون يريد بذلك انكم لو علمتم اجل فعل على ما قلنا [illegible]
[illegible] ومثل ذلك ما يجري هذا المجرى والسوال فيه كالسوال فيما ذكرنا ما روي انه قال صلى
الله عليه وسلم الدعا يرد البلا والصدقة تدفع البلا وما روي انه قال الدعا والقضا
يتعالجان وما روي انه قال الصدقة تدفع القضا المبرم وجميع هذه الاخبار كلها نحو ما
ذكرنا وهو ان يكون السابق في العلم ما حدث من المستانف فانه اذا دعا صرف عنه البلا
وكذلك اذا تصدق لانه يكون المعلوم في الازل وصول البلا اليه اذا حصل الدعا

بغير المعلوم لان ذلك يؤدي الى ان لا يكون ذلك في الازل معلوما ولا قضاء وذلك محال وقيل ايضا
ان المراد به العوض من الدعا والصدقة اذا اتى بهما دفع بذلك عن الفاعل بهما وزر الترك
وعقوبة العصيان فيه ويكون معنى التخصيص لذلك بالذكر بالتحريض على هذا والحث عليه
[illegible] روى حماد بن سلمة عن عمار عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان موسى عليه السلام لطم عين ملك الموت فاعور فقال
بعض اهل الالحاد على طريق الاستنكار لذلك انى جاز على ملك الموت العور جاز عليه العمى
قال ولعل عيسى قد لطم عينه الاخرى فاعماه لانه كان اشد كراهة للموت من موسى وذلك
انه قال اللهم ان كنت صارفا هذه الكاس عن احد فصرفها عني سائر ايامي اعلم
ان اهل النقل قد صححوا هذا الحديث وله تاويل صحيح لا ينكر وذلك ان الله عز وجل قد جعل للانبياء
ان تتصور بما شاءت من الصور المختلفة الا ترى ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرة في صورة دحية الكلبي ومرة في صورة اعرابي ومرة اخرى وقد شد
يجناحه ما بين الافق وكذلك قال في ذكره فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا
قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال بعض اهل التاويل ان تقيا اسم رجل
تصور جبريل بصورته لمريم عليها السلام فان قالوا فكيف ساغ لنبي ان يلطم عين ملك
وان كان على صورة آدمي صالح قال بعض اصحابنا انما ينتقل فيه من هذه الامثلة
تخيلات وان اللطم ادهبت العين التي هي مخبل ولسيت بحقيقة ومنهم من قال ان
معنى قوله لطم موسى عين ملك الموت يوسع في الكلام وموما يحكى في عمر رضي الله عنه
انه قال اما افقات عين الفتنة يريد بذلك الزام موسى الحجة ملك الموت حين راه قد قبض
روحه على حسب ما ورد في الخبر واعلم ان للعرب في كلامها استعارات تعرف معانيها
ومجاري خطابهم فيها المتوسع في استقرائها يفهم والمتحري في المعرفة بلغاتهم واذا كانت
اللفظة مستعملة عندهم على امرين احدهما ان يراد به عين الجارحة والحال الغض
فيها والثاني ان يراد به عين الشيء وذاته ويراد بالعور نقصه ومحوه ولم ينكر ان يكون

في واحد

معنى هذا الكلام محمولا عليه على فنون من التوسع فقد يقول القائل عورت هذا الامر اذا اراد
به تشبيها بمن ادخل نقصا على العين التي هي الحدقة وقد يقال فلان ذلك كان على الحقيقة من
موسى عليه السلام وكان ادخال نقص على جارحته لذلك حتى يكون ممحنة للمظلوم عبادة للاخر ثم
يكون ذلك منكرا اندفع بالعقول لان الله عز وجل له ان يبر بما شاء من ذلك وباضعاف ما شاء
منه على ان ما قلناه اولا له وجه في الكلام يصح فيه المعنى على طريق الاستعارة والتوسع في
الخطاب على ما هو العرب واذا كان كذلك لم يكن لما توهمه الزائغ عن الحق معنى وبطل توهمه
والطعن بذلك على انبياء الله صلوات الله عليهم ذكر خبر آخر [illegible]
روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يحكي عن ربه عز وجل الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني منهما قذفته في النار ومن اقترب مني شبرا اقتربت منه ذراعا
ومن اقترب مني ذراعا اقتربت منه باعا ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملا
ذكرته في ملا خير منه وطيب ومن جاءني يمشي جئته اهرول ومن جاءني بهرول جعلت
بيان ما ويسلم اعلم ان معنى قوله الكبرياء ردائي والعظمة ازاري اي ذلك صفة من صفاتي
وانا المختص به دون غيري فمن نازعني فيه بان تكبر وتعظم عن الناس اقصمه الله النار
وهذا كما تقول العرب ان فلانا شعاره ودثاره الزهد والورع اي صفته ونعته وليس يريد
بذلك نفس الشعار والدثار واعلم ان العرب تعبر من الرداء عن اللين ومن
الرداء على السيف ومن الرداء على العطيه فيقولون فلان عمر الرداء اذا كان واسع
العطية واذا كان قصير الرداء بعيبونه وكذلك يعبرون عن صفاته بالرداء فيقولون رداء
فلان وازار العفو والمروق عن الطاعة اي نعته وصفته قال كثير عزة

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال وقد يجعلون الرداء
الحسن والنضارة اذا كان نعته وصفته كما قال القائل وهذا ردائي عندنا يتجر
ليسلبني اسمال بن حنظلة يعني بامال بن حنظلة وقد قيل في معنى الرداء الذي هو
الدنيا حكي عن علي رضي الله عنه قال من اراد البقاء ولا بقاء فليخفف الرداء وليباكر

العذاة وليقل اغشيان النساء قال بعضهم اراد به الدين ويسمون السيف رداء لانه
يتقلد كما يتردى بالرداء توسعا فاما معنى قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا
فيحتمل وجها احدها ان يكون معناه الاخبار بسرعة الاجابة لمن اطاعه ودعاه وتقرب
اليه واراد بالاقتراب قرب المنزلة والحظوة لديه لا قرب المسافة والمساحة فيكون هذا
الكلام تشبيها وتمثيلا ويحتمل ان يكون اراد به مزايدتي سرعا بالطاعة اتيته بالثواب اسرع
من اتيانه ويحتمل ان يكون معناه على معنى ما قال الرجل لكه من حجا بالجنة فله عشر امثالها
اي من اطاعني طاعة واحدة جازيته عليها عشرا ويكون ذلك اخبارا عا يفعله من تضعيف
الثواب ويحتمل ان يكون معناه انني اريد بالمتقرب الى بشكر نعمتي تعالى وعد الشاكرين
الزيادة واما المشي الهرولة فتوسع وهذا كما تقول العرب فلان موضع في الضلالة
والايضاع اسرع السير وليس يراد به ههنا نفس السير وانما المراد به الاسراع في الضلالة
وعلى ذلك معنى قوله سبحانه والذين سعوا في اياتنا معاجزين والسعي هو العدو والاسراع
في المشي وليس يراد بذلك انهم مشوا بل يراد بذلك استعمالهم المعاصي ومبادرتهم الافعال
فاما قوله اذا ذكرني في نفسه ان يكون بحيث لا يعلم احد غيره ولا يطلع عليه سواه
قال الله عز وجل حاكيا عن عيسى عليه السلام تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي
تعلم ما احبه واسره واضمره ولا اعلم بما في غيبك ما اخفيته عني واعلم ان النفس
في كلام العرب على معان منها نفس الشيء وجسمه ومركبة ذاته وروحه وبقال الله
عز ان يكون كذلك علوا كبيرا ومنها النفس بمعنى الدم ومنه يقول العرب له نفس
سايلة وليست له نفس سايلة ويريد بذلك الدم ومنه يقال للمراة نفساء اذا سال
دمها عن النفاس ويقال الله عز الوصف بذلك ايضا ومنها نفس بمعنى اثبات
الذات وهذا كما يقولون في كلامهم هذا نفس الامر يريدون به اثبات الامر لا ان له نفسا
متنوسة مجسمة وعلى هذا المعنى يوصف الله عز وجل بانه نفسا وقد اخبر الله عز وجل
في اكثر كتابه منها قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما

اي في غيبي و

في نفسك وقوله تعالى ويحذركم الله نفسه وقد قال اهل التاويل في ذلك قولين منهم من قال
معناه يحذركم الله عقوبته ومنهم من قال معناه ويحذركم الله اياه وزعم بعض اهل
التاويل ان النفس بمعنى الغيب كقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي غيبك
ومنهم من قال لا اعلم ما في نفسك يرجع ايضا الى نفس عيسى عليه السلام وانه اضاف نفسه
الى الله عز وجل من طريق الملك والخلق وبد لك ان نفسي لك مخلوقة ومملوكة لا اعلم
ما في ملكك ما خلقته الا ما علمتني ومعنى الخبر على الوجه الذي من هذا التاويل
ان من اخلص الطاعة واخبر عنها وخلص من النفاق والرياء اخفيت ثوابه وهذا كما
ذكر في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقوله عليه السلام مخبرا
عن الله سبحانه انه قال اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر بلغة ما اطلعهم عليه فاما قوله من ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير
منه واطيب فقد قال بعض اهل العلم انما المراد بالملا الملايكة وانه تعالى يشهدهم على ما يفعله
بهم من الاكرام والمدايح ويثني عليهم عندهم وقد جعل قوم هذا الخبر حجة في تفضيل الملايكة
على المومنين من بني آدم ومن ذهب الى تفضيل الانبياء والاولياء والآدميين على الملايكة
فانه يجيب عن هذا بان معنى قوله خير منه يرجع الى الذكر كانه قال بذكر خير من ذكره واطيب منه
لاجل ان ذكر العبد لله تعالى ذكر دعاء وتضرع وذكر الله له اظهار رحمته وكرامته وذكر
خير للعبد وانفع واعلم ان اذا احتمل هذا الكلام ما حملناه وساغ في معناه ما ذكرناه
وكان في تنزيه الله سبحانه عن مشابهة خلقه مع اعطاء الخبر معنى صحيحا وفايدة كثيرة كان
حمله على ذلك اولى من حمله على ما لا يليق بالله عز وجل [illegible]
روى مكحول عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالجاعة فان يد الله مع الفسطاط
بيان ذلك اعلم ان الفسطاط في كلام العرب هو المدينة والرستاق قبل لمصر فسطاط ومعنى
الخبر ان يد الله مع الفسطاط اي ان الله تعالى مع السواد الاعظم ومع اهل الامصار وان من
شذ عنهم وفارقهم فليس على الحق فاما معنى اليد ههنا فان من اصحابنا من قال انه بمعنى الذات

في الراي

كقوله تعالى مما عملت ايدينا اي مما عملنا وكقوله سبحانه مما ملكت ايمانكم اي مما ملكتم انتم وكقوله
عز وجل الذي بيده عقدة النكاح والمعنى فيه انهم الملاك لعقدة النكاح بنفسه لانا
رانيا من ذلك وبواقطع اليد فاما قوله مع القسطاط اذا قلت ازمعناه انه مع الجماع فانه
يرجح في التحقيق الى ان الله سبحانه معهم بالنصر لهم وهذا كما يقال ان الامير مع الخليفة اي
بالنصرة لا بالذات وفائدة هذا الخبر الترغيب في لزوم الجماعة ومنابذة الفرقة وفيه
دلالة على ان الجماعة من امة محمد صلى الله عليه وسلم معصومة وان الله تعالى عاصمهم من الخطا
وناصرهم ومثل ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال طائفة من امتي ظاهرين
بالحق لا يضرهم من ناواهم فاذا اتفقت الجماعات على حكم علم ان تلك الطائفة المعصومة
الظاهرة بالحق فيها ومن نابذها وفارقها كان كافلا خارجا من فارق الجماعة مات
ميتة جاهلية ومثل قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواد الاعظم وقوله ايضا يد الله مع
الجماعة ومعنى ظهر الاخبار متقاربة معنى ان قال قائل فاذا حملتم اليد ههنا
على معنى الذات فهلا حملتموها ايضا في قوله تعالى خلقت بيدي على الذات قيل لا يصح
ذلك لفوات فيهما ان الله عز ذكره انما قال لابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
محتجا عليه معتذلا لادم عليه هذا التخصيص بطلا لقوله انا خير منه ولو حمل على معنى
الذات لسقط هذه الفايدة وبطل موضع الاحتجاج من الله عز وجل على ابليس فيه ولم يكن
لذكره فايدة لان قوله خلقت فيه اثبات الذات ولا يصح ان يلغينا من كلام سبحانه شيء وقد
تمكن ان نذكر فايدة وقدمنا فيما مضى تاويل اليد على مذهبنا وذكرنا اقسامه ان
ما يضاف الى الله فعلى اربعة اوجه يضاف فيما يغني عن اعادتهم ههنا ولرجل اخر ان
ومعناه روى البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ولادتنا هجاء
وهو يعلم انه ليست بشاعر فاهجها اللهم والعنه عدد ما هجاني بيت شعر وسلم اعلم ان معنى
قوله فاهجها اللهم يريد جازه على الهجاء ومثل هذا كثير في اللغة من تسمية الجزاء باسم الذي قال
الله جل وعز وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما

اعتدى عليكم وليس الثاني اعتداء في الحقيقة وانما سمي باسمه لما كان جزاء له ونظير
ايضا قوله تعالى الله يستهزئ بهم وقوله سبحانه منهم ذكر بعض اهل التاويل ان معنى قوله
ان الله يجازيهم على السخرية والاستهزاء فسمى الجزاء باسم الجازي وهذا كقول الشاعر عمرو بن كلثوم

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا فسمى الجزاء على الجهل جهلا وكذلك
قوله فاهجها اللهم اي جازها على هجائها ايه عن بعضهم ويحتمل ان يقال ان معنى قوله
صلى الله عليه وسلم فاهجها اللهم اي حد من الهجاء الذي يقتضيه الدم وقد ذم الله تعالى
الكافرين على كفرهم فان قال قايل انه هجاهم على معنى ذمهم كان المعنى صحيحا واصلحنا هذا الا يجز
اطلاق لفظ في وصف الله جل ذكره الا على الوجه الذي وصف به نفسه لا يتعداه ولا يستقيم بين
يديه ذكر شاعر يا بمعنى [illegible] روى محمد بن فضاد عن ابي هريرة قال قال ابو القاسم
صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة في السلاسل سبحانه وبما اعلم انا قد
بينا معنى التعجب المضاف الى الله سبحانه وروي في اضافة التعجب الى الله سبحانه انه اخبار بعد تقدم
بيانها وان ذلك يرجع الى معنى الرضا والتعظيم وان الله عز وجل يعظم من اخبر عنه بانه تعجب
منه ويرضى عنه فاما معنى قوله صلى الله عليه وسلم قادون الى الجنة في السلاسل فقد
قيل ان معناه انهم يكرهون الطاعة التي يصلون بها الى الجنة من حيث تخالف اهواءهم وشهواتهم
وتكرهها نفوسهم من حيث تشق عليهم وتصدهم عن الراحات واللذات في الحال ولكنها سابقة
لهم الى الجنة وهي دار الراحات وهاوية الطباب اي هذه النفوس بطلب الراحات واللذات
في الدنيا وتكره الطاعات والعبادات فيها من المشاق وهي التي تسوقهم الى اللذات وتقودهم
الى الراحات في الاخرة وكرهها اخروها ومعناه روى ابن ابي ليلى عن ابي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله جميل يحب الجمال وكان ابن بكير عن عبد الله المزني قال
يحمل الشباب والهرم تغالبه ويغلب الطائفتين الطوارئ والقسم الثالث هي قال بعض
جلسائه لو قدرت في بعض هذه الكلمة قال ان الله تبارك وتعالى جميل يحب الجمال منى يقال
تاويله اعلم ان وصفنا للشيء انه جميل يحتمل وجهين احدهما ان يراد به حال الصورة والهيئة

على
عز عصمي و

والتركيب ودلك بان يستحيل الناظرون اليه ودلك مستحيل في وصف الله عز وجل منفي عنه
فان قال قائل وكيف نفهم ذلك عنه مع ما روي في خبر اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
رايت ربي في احسن صورة قيل ان هذا الخبر ايضا محتمل للتاويل ومحمول على الوجه الصحيح مما
يحتمله مما لا يقتضي التشبيه ولا يرد اليه ويمكن ان يكون معناه. وانا في احسن صورة او يكون
معناه كما قال بعضهم وانا في مكان مواحسن صورة او يكون معناه. وانا في احسن صفة عند الله
جل وعز يحتمل ما رضاه عنه صلى الله عليه وسلم وملقيه له بالكرامة والبيان تسهيل
فان قيل فاذا لم يجز ان يحمل على حال الصور الاستحالة ان يكون الله سبحانه جسما ذا تركيب او
هيئة فعلى ما يحملونه قيل ان اهل اللغة قد يستعملون مثل هذا اللفظ من فعل على معنى مفعل
كوصفنا الله بجليل ثناؤه بانه حكم والمراد به انه محكم لما فعله ولذلك يجوز ان يقال لله جميل
بمعنى انه مجمل واحتمال الصفات الكل على وجهين احدهما ان يكون بمعنى تحسين الصور والخلق
اي انه يحسن خلق من يشاء هيئته وصورته كما يقبح خلق من يشاء بتشويه صورته وهيئته
واما الوجه الثاني من الاحتمال المضاف الى الله عز وجل هو بمعنى الاحسان والتفضل
اي هو المظهر النعمة والتفضل المبتدئ من يشاء من خلقه برحمته وكرامته وقد رأينا شائعا
عند اهل اللسان متعارفا فيما بينهم الا ترى انهم يقولون اجمل في هذا الامر اذا اوعاه
واتى به على الوجه الجميل من الفعل والمذهب فيه فالله عز وجل موصوف بانه مجمل على الوجهين
جميعا من تحسين الصور والابتداء بالتفضل والنعمة فاما احتمال الصورة والهيئة على الوجه
الذي يستحيل الناظرون ما يستحيلون من هيئات الخلق فما لا يليق بالله سبحانه واما
معنى قول بكر المزني فراجع الى مثل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا انعم الله على
عبد احب ان يرى اثر نعمته عليه وهو معنى قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث والتحديث
بها اظهارها ونشرها فيما سبيل من نعم الله عز وجل ان يظهر للناظرين فاظهارها
شكر الله عز وجل وما يكرن من ظهورها شكر وعلى ذلك يحمل قول بكر المزني وهو
احد المعنيين اللذين حملنا عليهما خبر الرسول عليه السلام ذكر خبرا اخر وتاويل معناه

روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفيق يحب
الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه فدل ذلك على ان معنى قوله عليه السلام
ان الله تعالى رفيق يحب الرفق اي ليس يعجل وانما يعجل من يخاف الفوت فاما من كانت الاكوان
في ملكه وقبضته فليس يعجل فيها وقوله يحب الرفق اي يحب ترك العجلة في الاعمال والعود كما
قال الشاعر لم ار مثل الرفق في لينه اخرج للعذراء من خدرها يريد لم ار مثل ترك
العجلة ومعنى الرفق معنى الحلم وقد يجوز ان يستعمل احدهما مكان الاخر وقد قيل ايضا ان معنى
الرفق معنى المرفق كما يكون حكيم بمعنى محكم وجميل بمعنى مجمل والمعنى في ذلك انه هو الخالق
للرفق يفعل رفقه بمن يشاء على معنى انه ينفع من يريد ويلطف لمن يريد واعلم ان هذا
الخبر وان كان من اخبار الاحاد فانه لم يرد مما يستحيل في وصفه تعالى فلم ينكر ان يتاول
عليه على الوجه الذي قلناه. وقد ورد في بعض الاخبار ايضا مما ذكرنا اسامي الرب
ان الله صبور ولم يرد به نص القرآن ولا ثبوت به الاخبار ومعناه معنى حليم وقد
اختلف اصحابنا في معنى وصفه تعالى بانه حليم فمنهم من قال ان معنى الحليم الترك لتعجيل العقوبة
لمن يستحقها ومنهم من قال معناه في السفه عنه وان الله تعالى لم يزل حليما على هذا المعنى
وهو مذهب البخاري [illegible]
فاما تقولون فيما رواه محمد بن كعب القرظي ان الله تعالى يمشي في ظلل من الغمام والملائكة
وقف على اذني اهل الجنة درجة فيسلم عليهم ويردون السلام ثم يرجع الى مكانه قيل
ان اهل النقل قد ضعفوا هذا الخبر فمنهم من قال وقع الله كتب من هود فريضه فكان
ينظر فيها ويروي عنها وقيل ايضا ان الذي رواه عنه زمعة وسلمة بن وهرام وكلاهما
ضعيفان وعلامة اضعف منهما على انه ان كان صحيحا فمعناه محمول على ما ورد
افعال تفعل مثل قولنا بعدل وجبش وتخلق وتجرع وتسكن وتحي وباي وابين ذلك بعانا
ومعالجة ولا بانتقال وحركة كما يكون ذلك حسا لانه لا يفعل في نفسه تعالى عن ذلك فاما
قوله في ظلل من الغمام والملائكة فانه فيها بمعنى مقدرها ومدبرها وان ذكر على التقديم

والناخير وهذا على مذهب من قال من المعتزلة والنجارية ان الله تعالى في كل مكان على معنى انه مدبر لكل
مكان مقدر لما فيه وكنا نقول على مذهب اصحابنا ان الله عز وجل في السماء على
معنى انه فوقها وعليها كما قال فسيحوا في الارض اي فوقها وعليها وكما قال لاصلبنكم في جذوع النخل
اي عليها فاما معنى قوله وفوقه على اهل الدرجات في الجنة فقد قيل ان معناه ان الله عز
وجل وصف نفسه بكرامته لاهل الدرجات درجة بعد درجة الاعلى فالاعلى فاما
معنى قولهم ثم يرجع الى مكانه فليس فيه ما يدل على معنى الانتقال الى المكان لانه ليس في مكان ولا يجري
عليه الانتقال وانما معناه العود الى افعاله فيل ان يحدثها مما احدث وقد يتسع في الكلام كما
تقال جاء الخبر بعد واحدا والمراد سرعة الاقبال عليك وادا احتمل اللفظ ما ذكرنا وكان
خلافه يؤدي الى التشبيه والى وصفه تعالى بما لا يليق به كان اولى الامرين ان يحمل الوجه الذي
يصح معناه ويوافق معنى قوله سبحانه انه ليس كمثله شيء وبه اخر وتا وفيه
فان قيل فما تقولون فيما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت على ربي في جنة عدن
شابا جعدا في قوم اخضر من قبل معنى دخلت على ربي كمعنى قول المسلمين في الموسم اتيناك
رسلا شعثا غبرا من كل فج عميق لتعقد دون ومثال ايضا في الكلام اكرمت الجارية في
العرف اقبل الله على فلان بالكرامة واقبل على الله تعالى بطاعته اي دخلت جنة عدن بتوفيقه
لي واكرامه اياي فرايت فيها شابا وليا بدا لي وليا بي على هذا الوصف دون ان يكون هذا المذكور
هو الله عز وجل وقد يقال دخلت في غير ما يكون في مكان ايضا وذلك متعارف من اصل
اللغة كما يقولون دخل في امر كذا البركة وادخل الله في امورهم البركة اي بارك لهم فيه ويقال
دخل فلان على داري وامري ويقال ايضا دخل على فلان في منزلي لانه دخل بدنه وانما
المعنى انه دخل داري كذلك معنى قوله دخلت على ربي اي دخلت داري وهي الجنة والدار
التي اعدها الله وليا به ويحتمل ان يكون معنى وانا في جنة شاب جعد وان ذلك كان رويا
منام والشيء قد يرى في المنام على خلاف ما يكون به واذا احتمل هذا الكلام ما ذكرنا كان حمله
عليه اولى فان قيل فما تقولون فيما روي عن مجاهد انه

قال يقول الله عز وجل يوم القيامة يا ادنى فيقول لبيك ادنه فيدنو احتى يمسه
قال فمن سفيان ذكرته بشيرا انه يمس ركبته فقال ان مجاهدا رحمه الله من قوله ما اخذ
ومتروكه ولكنه ان صح فيحتمل ان يقال معناه ادنه مسلكك اياي وتقرب الي بذلك والجنو
الى حيث يمسه الله وصفيه ورحمته وقد ايضا يحتمل ان يكون ذلك على المثل انه يدنو
من التضرع والخشوع اليه حتى يصير كهيئة المباشر في المثل على الوجه الذي لا يكون منه وبينه
شيء حائل على ان مجاهدا ليس بحجة في هذا وقيل ايضا انه لم يذكره في آخر ركبته ويحتمل ان
يكون ركبته بعض خلقه اسرع ما يدنو منه من تقبل ليتضع لله حتى يدنو كذلك حتى ينال
عفو ورحمته [illegible] فان قيل فما تقولون ايضا فيما روي عن
مجاهد انه قال في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا انه يقعد معه على العرش
فما هذا ايضا عندكم وما وجه قوله وما وجه ما يحتمل ان يقال فيه انه معه بمعنى النصرة
والمعونة كما قال عز وجل لا تحزن ان الله معنا وكما قال ان الله مع الذين اتقوا على معنى النصرة
والمعونة وذلك ان معنى كلام العرب يحمل وجوها احدها بمعنى الصحبة في النفع والمجاورة
لمن فيها وذلك لا يليق بالله سبحانه ويكون ايضا بمعنى العلم كما قال تعالى وهو معكم اين ما كنتم
والمعنى فيه انه عالم بكم سامع لكلامكم رائي لاعمالكم واشخاصكم وذلك جائز في وصف ولمثل الكافر
والمؤمن فاما اذا قيل انه مع المؤمن بخصيصا المعنى النصرة والمعونة فكون معنى الخبر ان
الله جل ذكره يكرم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بابلغ الكرامات حتى يقعده في ارفع المقاعد
عنده وهو معه بالنصرة والمعونة والمقاعد المقربة من الله سبحانه مقامات الطاعات
ودرجات الكرامات دون الجلوس طريق المحبة والمكان في المجاورة لمن فيه ذكر حين
اخرون [illegible] فان قال قائل فما تقولون فيما روي الشعبي ان الله عز وجل ملاء
العرش حتى ازله اطيط كاطيط الرحل الجديد تعلا يا هعكدك ووضع احدها على الاخرى
قال ووضع حماد ساقه على ركبته اليسرى فتعلل معنى قوله ملا العرش يحتمل ان يكون المراد
به ملاءه عظمته ورفعته وعزه وجلاله ونعماه وهذا كما قال عز وجل انا عرضنا الامانة

على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها والامانة ليست بجسم فاما معنى قوله هذا
فيحتمل ان يقال اراد به الخبر والعظمة التي لا يجوز لغير واما معنى وضع حماد ساقه على ركبته
اليسرى فليس على معنى اثبات الجارحة والاشارة الى معناها بل انما اراد انه هو المتفرد بمثل هذه
العظمة وانه العالي المستولي على كل ما خلقه واعلم انه شائع في الكلام ان يقال ملأ ثقل فلان
فرجا وغما وليس يراد منه امتلاء من طريق شغل المكان المرجح المساحة ويقال ملأ فلان
هذا البلد علما والمراد به ما نشر فيه من الكتب التي علمها مكتوب وما روا وذكر فيه
فلا يكون المراد به على نحو ملء الاواني بالاشياء التي فيها واذا احتمل الكلام هذين المعنيين لم
يجز احدهما على الله تعالى حتى ان المراد ما قلناه [illegible]
وقد لكنا ذكرنا معنى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العرش يثقل على كواهل
حملته من ثقل الرحمن حتى يعرق فورغضبه يثقله على كواهلهم فخرجه هذا معناه واما معنى
قوله من ثقل الرحمن فليس هو ثقلا كثقل الخشب والاشياح وانما هو كثقل عظمة كقول
القائل قد ثقل علي فلان وليس يثقل الكلام كثقل الاجسام وقد يقال الحق ثقيل مرة
وليس المراد به ثقلا كثقل الاجسام الثقيلة وانما المراد به ما في تحمله من الصعوبة والمشقة
على النفس وقد قال عز وجل انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فثقل الرحمن عز وجل على الملائكة
ثقل هيبته في قلوبهم وما يتجدد لهم في بعض الاحوال من ذكر عظمته وعزته فاما ما
يعرض به غضب الرب سبحانه فيحتمل ان يخلق في العرش ثقلا على كواهلهم وجعل ذلك
امارة لهم في بعض الاحوال من ذكرانزاله العقوبة بقوم فكلما وجدوا ادراك ازدادوا
لله تعظيما وذكرا وانما قلنا ذلك لاستحالة وصف الله جل ذكره بالمماسة والاعتماد على
الاجسام وان يكون حمله ثقلا واذا احتمل الكلام ما ذكرنا وكان شائعا في اللغة
وجب ان يحمل ما ورد عليه دون ان يحمل على ما لا يليق بوصف عز وجل [illegible]
[illegible] فان قيل فما تقولون فيما روي ان جبريل عليه السلام اطبق على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال وجدت ربي يصلي وفيما روي ان بني اسرائيل سألوا موسى عليه
السلام

فقالوا اتصلي ربنا فاوحى الله تعالى اليه ابلغهم اني اصلي كما تغلب رحمتي غضبي لولا ذلك هلكوا
وفيما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اسري به الى السماء السابعة اتاه جبريل فقال ربك
يا محمد قاعد يصلي فقلت وان ربي يصلي قال نعم قلت واي شيء يقول قال سبوح
قدوس سبقت رحمتي غضبي بيان ذلك وبيانه اعلم ان الصلوة على وجهين فاذا اضيفت
الى الله عز وجل فمعناها الثناء والرحمة والبركة واذا اضيفت الى الملائكة فمعناها الاستغفار
وطلب الشفاعات واذا اضيفت الى المؤمنين من الآدميين فالمراد به الدعاء قال
الله جل ذكره ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
فصلاة الله سبحانه اظهار رحمته ومدحه اياه وصلوة الملائكة استغفارهم وسؤالهم
التفضل والدرجة لمن يصلون عليه وصلوة المؤمنين دعاؤهم ربهم انزال البركات والرحمة
على من يصلون عليه ومعنى قولهم اللهم اني اصلي اي اني اعزم واقدم واستن ومعنى قوله
كما تغلبت رحمتي اي حتى سبقت الكائن من رحمتي غضبي ورحمتي في المختلف عندنا
اراده تنعيم من علم تنعيمه وغضبه اراده تعذيب من علم تعذيبه وعفو
على الدوام ثم سمي الكائن عن الرحمة رحمة والكائن عن العقوبة غضبا كما تسمى المعلوم
علما والمقدور قدره والموهوب هبة واذا كان ذلك كذلك جملنا معنى قوله سبقت رحمتي
غضبي وكما تغلب رحمتي غضبي على الكائن من رحمته وغضبه والمراد به اظهار بركته
وكرامته لاهل الرحمة كما ظهر تعذيبه وعقابه لاهل العقوبة واعلم ان
معنى الصلوة في اللغة بمعنى الدعاء كثير وبمعنى المكافاة والتقديس كما قال تعالى وما كان صلوتهم
عند البيت الا مكاء وتصدية والمكاء التصفير والتصدية التصفيق وقال للصلوة
الشرعية صلوة وهي القراءة والتسبيح والركوع والسجود وتغير عن جميع هذه الافعال
انها صلوة من طريق الشرع لان طريق اللغة لا يجوز ان توصف الله عز وجل بشيء
من الصلوة التي تتضمن هذه الحركات والهيئات لاستحالة كونه جسما محدودا متحركا وساكنا
وجايز وصفه بالصلوة التي هي الثناء والرحمة وما وصف به من ذلك فعلى هذا المعنى

تتم

لا على غير ذكر [illegible] وسلم فان قيل فما تقولون فيما روى عبد الله
ابن عمر وفي حديث انه يتجلى للخلق فيقوم امامهم فيقول من تعبدون فيقولون ربنا فيقولون
هل تعرفون ربكم فيقولون سبحانه اذا عرف لنا عرفناه وفي بعض الالفاظ اذا
عرفنا نفسه عرفناه فعند ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مؤمن الا خر لله
سجودا قيل اما رواه الله عز وجل فلا نعلم نظرا واجبا للمؤمنين خيرا وقد تقدم
بيان ذلك فاما قوله فيكشف عن ساق فلم يصف ذلك الا احد وبعضا عن شدة
وشدة هذا اللام يستعمل في اللغة على معنى شدة الامر كما قال الشاعر

وقامت الحرب بنا على ساق وقال ابن عباس في قوله تعالى يوم يكشف عن
ساق اي عن شدة الامر وقال الضحاك في قوله عز وجل والتفت الساق بالساق
اي التفت ساق الدنيا بساق الاخرة وقال الضحاك معناه امر الدنيا بامر الاخرة
وقال عمر رضي الله عنه معناه اعمال الدنيا بمحاسبة الاخرة وذلك امر عظيم ذكر حمد

فان قيل فما تقولون فيما روى عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال رأيت ربي جعدا قططا فذلك حديث ضعيف عند اهل
النقل وان صح لمعناه يرجع الى الرأي ويكون ذلك رؤيا نعم والمرء قد يرى نفسه في النوم
على خلاف ما هو به لان هذه الاوصاف لا تليق بالله سبحانه ولم ترد بها كتاب ولا سنة
متواترة ولا اجتمعت عليه الامة فتكون حجة من طريق الاسم لا من طريق المعنى لان معناه
مستحيل وضع لا شيء له كونه جسما محدودا متحيزا وقد مضى بيان ذلك

فان قيل فما تقولون فيما روى حماد عن ابي المهزم عن ابي هريرة ان الله عز وجل
خلق نفسه من عرقه الخبر فقد انكر هذا عند اهل النقل وابو المهزم مجهول وقال
حماد عبد الرحمن بن مهدي انه لم يكن يعرف هذا الحديث حتى جرحه جرحه الى عباد ان
فلا احسبه الا ان شيطانا ادسه في كتبه وكان حماد ضعيفا وكان لا يحفظ
وان في العوجاء بيته وكان ذليلا بقيا وكان يتهم انه دس في كتب حماد وقيل ان

استغال

بعض الزنادقة أخذ في زمان المأمون فقيل له تب فقال كيف اتوب وقد وضعت كذا
وكذا حديثا وسمعت الناس يحدثون بها ولقد حدثنا ان تربة كتاب الله حرفا فلم
نقدر عليه على انه لو كان صحيحا كان ممكنا ان يتناول على انهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا ربنا الذي كما نعبده في الجاهلية من دون الله يريدون من الشيطان فقيل الذين دعتهم
معصية الله عز وجل واعلم ان هذا الخبر ونحو من الاخبار المتناقضة التي لا يجوز الا
بها وتأويل لظهور فساده ووضوح الحاده امرها واجماع اهل النقل على انها موضوعة
لا اصل لها وذكر فيما [illegible] وسلم فان قيل فما تقولون فيما روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ان بني اسرائيل سألوا موسى صلى الله عليه وسلم هل تشتهي كلام الله تعالى
ساعة ما يكون من الصواعق وليس بملك وبما روى عن النبي عليه السلام انه قال اذا تكلم
الله بالوحي سمع اهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفوان فيقولون ما ذا
قال ربنا فيقال الحق الحق فتقول الملائكة الحق الحق ثم قرأ قوله تعالى حتى اذا فزع عن
قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير نا ذلك على ان
كلام الله عز وجل ليس بصوت ولا حروف عندنا وانما العبارات عنه نار تكون
بالصوت والعبارات هي دلالة عليه وامارات له تظهر للخلق فيسمعوا عند ذلك
كلام الله فيفهم المراد فيكون ما سمع موسى عليه السلام من الاصوات مما سمع يسمى كلام الله
عز وجل ويكون ذلك بعض عن الكلام ويحتمل ان يكون معنا ان يسمى العبارة عن كلام
الله عز وجل كلام الله كما تسمى الدلالة على الشيء باسمه كما يسمى الواقع عن القدرة قدرة
والكاين عن الرحمة رحمة فيكون معنى قولهم ما اشتهيت كلام الله اي ما اشتهيت العبارة
عنه والدلالة عليه ما سمعت عندنا ونسمعها كلام الله عز وجل لا يستحيل ان يكون لكلام
الله عز وجل شبيه ويحتمل ان يكون قوله ما شبه ما يكون من الصواعق ان يكون
اراد به ما وجد عند سماعه من التعظيم والاجلال والهيبة كما يستعظم الصواعق

والكاير عنها واذا قامت الدلالة على انه لا يجوز ان يكون كلام الله مخلوقا ولا ان يكون
اصواتا تحدث شيئا فشيئا وجب ان يحمل التاويل فيه على ما قلنا ولسنا نكفر من
يكون لكلام عز وجل عبارات هي اصوات منها ملفوظة ومنها ما يكون علما
له تخلق الله عندها السمع لكلامه وقد يكون الدلالة على كلام الله بالكتابات ايضا وتكون
الكتابة عين المكتوب كما تكون العبارة عين المعبر عنه فعلى ذلك تحصيل تاويل هذا الخبر
وما اشباهه ذكر ما جرى [illegible] فان قيل فما تقولون فيما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ان ربكم يسجد على قدم الرحمن قيل قد بينا فيما تقدم
معنى القدم المروي في غير هذا الخبر مما اضافه الله عز وجل الى نفسه للغرة والتنبيه
به على الخلق في احتجاجهم بذلك اذ من قولنا ان الله تعالى على صفة آدم وان له جلدا
وعظاما وانه في السما وانه على العرش مستو استواء استقرار ثم تحتج بان ادم
يسجد على قدم الرحمن وقد حكمت على بعضها بالغلو من يقول ان الله تعالى في الارض
وهذه مقالة تنقض بعضها بعضا ومعنى الخبر ان صح ان العبد يتوضأ للصلوة
فيكتب له بذلك الاجر فيحط الله عنه به من الوزر ثم يدخل العبد في الصلوة
فيفتتحها بالتكبير وبما سنه النبي عليه السلام مما يقوله الى اول بعد تكبيره من الافتتاح
الصلوة ثم يقرا ويركع ويرفع راسه فاذا سجد كان سجوده اخر كل ركعة على ما قدم
للرحمن وكان قول النبي صلى الله عليه وسلم يسجد المصلي على قدم الرحمن يعني ما قدم
للرحمن الم يسمع قوله عز وجل ان لهم قدم صدق عند ربهم فهذا القدم الصدق
وهي ما قدم العباد من خير مهدوا به لانفسهم ويحتمل ان يكون معناه ان المصلي
يسجد على قدم الرحمن اي انه يطيع ربه على ما قدم الله جل ذكره له من الحكم وانه
يفعل وما سبق له من الوعد بالجميل عليه كما قال جل وعز ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى اولئك عنها مبعدون واذا احتمل الكلام ما ذكرنا واستحال وصف
الله عز وجل بالجوارح وجب ان يحمل على ما قلنا دون ما توهمته المشبهة لاستحالته

ذكر خبر آخر وبيان ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اقرب ما يكون
الخلق من الله عز وجل من ينظر الى وجه الله جل ثناؤه في كل يوم مرتين وروي
ايضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اسأل الله النظر الى وجهه ذكر ما يدل
على ان اطلاق وصف الله جل ثناؤه بان له وجها قد ورد به الكتاب والسنة وذلك
من الصفات التي لا طريق الى اثباتها الا من جهة النقل ولو لم يرد بذلك خبر لم تكن الدلالة
اذ الدلالة من جهة العقول تقتضي ذلك وتوجبه وذهبت المعتزلة في تاويل ذلك
الى ان معناه انه هو وان وجه الشيء قد يكون نفسه وتاولوا قوله سبحانه فاينما
تولوا فثم وجه الله اي فثم الله وان وجه الله هو الله وشبهوا هذا بقولهم هذا
وجه الطريق ووجه الحائط ووجه الثوب ووجه الامر وهذا عندنا خطأ من القول
يؤدي الى جواز القول بان الله عز وجل وانه يجوز ان يدعا به فيقال يا وجه
اغفر لنا وقد اجمعت الامة على المنع من ذلك وذهب اصحابنا الى ان الله عز وجل ذو وجه
وان الوجه صفة من صفاته القائمة بذاته وذهبت المشبهة الى ان وجه كوجوهنا والاله
وقد بينا في اول هذا الكتاب انه لا يصح وصف الله عز وجل بالجوارح والا لاتى ذلك
يؤدي الى النقص تعالى الله عن ذلك والى القول بانه اجزاء متعضية واجسام متبعضة وذلك محال
في وصفه فاما الذي يجب ان يكشف عنه من تاول هذا الخبر على اصلنا اذ وصف الوجه
فقيل كيف خص النظر الى وجهه وعلق بذكر الوجه وكيف قال لذة النظر الى وجهه مع
الوجه الذي هو صفته سرمدي واذا كان سرمديا ولم يكن من الالات فالفايدة بتخصيص النظر
اليه والجواب [illegible] عن ذلك انه قال يذكر صفة الشيء والمراد به الموصوف
توسعا كما يقول القايل بانت علم فلان ونظرت الى علمه وانما يريد بذلك رايت العالم
كذلك اذا ذكر هنا فالمراد به منه الوجه وعلى هذا تناول قوله سبحانه انما نطعمكم
لوجه الله لان المراد به لله الذي له الوجه وكذلك قوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى
وان المراد به ابتغاء رب الاعلى الذي له الوجه واما ما ذهبت اليه المعتزلة من تشبيه

ذلك لوجه الثوب ووجه الحايط فغلط من المثل من قبل ان وجه الثوب والحايط ليس
هو نفس الثوب والحايط بل ما واجه به واقبل به وكذلك وجه الامر ما ظهر منه فيه الرأي
الصحيح دون ما لم يظهر واذا لم يجز في اللغة استعمال معنى الوجه على معنى الذات على الحقيقه
في موضع وقد ورد اطلاق الكتاب والسنة بذلك لم يكن لما ذهبت اليه المعتزله وجه
ووجب ان يحمل الامر فيه على ما قلنا انه وجه صفه ولا يقال وجه الذات والعرها
فان قيل قائل فانه لا يعقل وجه الا جارحه او بعض او نفس الشيء قيل
في هذا جوابان احدهما انه اثبات وجه بخلاف معقول الشاهد كما ان اثبات
من اضيف اليه الوجه اثبات موجود بخلاف معقول الشاهد والثاني
ان الوجه على الحقيقة لا يكون لنفس الشيء لما بينا ان ذلك لا يوجد في اللغة حقيقه وانما
اطلاق البعض على الوجه الذي هو جارحه فتوسع عندنا وان كان حقيقه ايضا فلم يكن
وجها لانه بعض فيجب ان لا يكون وجه الا بعضا واذا لم يكن الوجه وجها لانه بعض
ولا لانه جارحه لم ينكر اثبات وجه خلا عن الوصفين واعلم ان احد اصولنا
في هذا الباب ان كل ما اطلق على الله عز وجل من هذه الاوصاف والاسماء التي قد
تجري على الجوارح فيها فانما يجري ذلك في وصفه على طريق الصفه اذا لم يكن وجه
اخر يحمل عليه ما تسوغ فيه التاويل وذلك لصحة قيام الصفه بذاته وان قيامها به
لا يقتضي انتقاض توحيده وخروجه عما يستحقه من القدم والالهيه فاما
وصفه بالحد الذي توهمته المشبهه المماثله لها المتحلق في اثبات الجوارح والالات
فخلاف الدين والتوحيد وحملها على ما ذهب اليه المعتزله ابطال فائدتها واخراجها
عن كونها معقوله مفيده على وجه والحق واقف بين احد هذين المذهبين من
التعطيل والتشبيه وهو مذهب اصحاب الحديث وهو ان يتمسك بحكم الكتاب
والسنه ويتبع ما ورد النص فيها لا على التعطيل كما ذهبت اليه المعتزله ولا على
التغيير كما ذهبت اليه المشبهه واعلم ان هذا الباب يفتح لك طريق الكلام في هذه الاضافات

والاطلاقات ويوقفك على حجج الحق فيه ويعرفك كيفيه سلوكنا فانا لا نسلك في ذلك
مسلك من حرم نفي الصفات من الملحدة والمعتزلة ولا مسلك من اثبتها على حكم التمثيل
من المشبهة وهكذا لطريقنا في اثبات الدين لله عز وجل وكذلك القول في العين فانها
مما جاء فذاك الطريق في هذا الباب واجعل عليه ما جرى مجراه [illegible]
فان قيل فلم لا تقولون على هذا الاصل قدم صفة وصورة صفة لان الاضافة قد
حصلت في الخبر اليه على هذا الوجه فقيل على صورته وقبل قدمه قيل انا
لم نحمل ذلك على الصفه لامتناع المعنى فيها ان الصفه ليست مما يوصف بالوضع في
الاماكن وقد وجدنا ما ذكرنا تاويلا صحيحا قريبا يمنع هذه الشبهه وهو ما ذكرنا
قبل ان قدم المتجبر على الله بصبغها في النار على من استحق العقوبه على
عقوبه على الله جل ثناؤه وبينا ان لفظ الجبار مشترك وليس هو مما يوصف به
الا الله جل وعز بل روي في بعض الاخبار ان خلق الكافر يبلغ في النار اربعين ذراعا
بذراع الجبار والمراد به فيما الرجل الطويل ومن الشايع في لغة العرب
قولهم هذه نخلة جبارة اذا كانت طويلة فاما الصوره فقد بينا ايضا انه لا
يصح ان يكون صفة لما اخبر انه خلق عليها ادم ولا تكون الصفة مثالا لادم فخلق عليها
ولا يصح ان تحمل قوله على صورته بمعنى الصفة وانما حملنا ما اطلق من ذكر الوجه واليد
والعين على الصفه من حيث لم يوجد في واحد منها ما يستحيل ويمتنع وليس كما
اضيف اليه فهو على طريق الصفه بل ذلك ينقسم على اقسام منها بمعنى الملك ومنها
بمعنى الفعل ومنها بمعنى الصفة وانما تكشف الدلايل ويتبين القرايين مواقعها على
حسب ما بينا وربنا فاعلم لنا الله عز وجل ذكر [illegible] ان قال
قايل فما تقولون فيما روي عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
رايت ربي عز وجل في صورة شاب امرد عليه حلة حمراء وفي بعض هذه الاخبار
ان عبد الله بن عمر ارسل الى عبد الله بن عباس يسأله هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

رای ربه فاراد رسول الله عبد الله بن عباس فقال نعم قد راه فی صورته علی کرسی من ذهب
یحتمل بفراش من ذهب فی صوره شاب رجل وفی خبر اخر عن عکرمه عن ابن عباس
فی قوله تعالی ولقد راه نزله اخری قال رای محمد صلی الله علیه وسلم ربه بعینه
حتی تبین له التاج المخوص باللولو وعن الحکم بن ابان قال سمعت عکرمه یقول
سمعت ابن عباس وسئل هل رای محمد ربه فقال نعم فقلت لابن عباس الیس الله
تبارک وتعالی قال لا تدرکه الابصار وهو یدرک الابصار فقال الام لک ذاک ثکلتک امک
اذا تجلی بنوره الذی هو نوره لم یدرکه شئ وعن عمار بن عمیر عن ام الطفیل انها سمعت رسول الله
صلی الله علیه وسلم یذکر انه رای ربه فی صوره شاب موفر رجلاه تضرب علیه نعلان
من ذهب علی وجهه فراش من ذهب وعن مسلم بن یسار قال حدثنی من سمع النبی
علیه السلام ورات عکرمه یروی عن ابن عباس قال لا تبرح حتی اشهدک علی قول هذا الرجل
فاذا الرجل معاذ بن عفراء قال اخبرنی بما اخبرک ابوک عن رسول الله صلی الله علیه وسلم
قال حدثنی ابی ان رسول الله صلی الله علیه وسلم حدثه انه رای ربه العالمین عز وجل
بالخضیر بین الفردوس الی نصف شافته فی صوره شاب یلتمع التبصر کذا قال
ذلک والکلام فی تخریجه علی الوجه الذی یلیق بصفه الله عز ذکره ما لا ینقض
التوحید ولا یودی الی تکذیب الرسول صلی الله علیه وسلم فاول ما فی ذلک ان اول
اجزاء عمد التوحید واراکانه توحید ذات الله عز وجل عن المعنیین الذین تقدم
ذکرهما فی الکذب من نفی الانقسام واستحاله التبعیض علیه والثانی افراده
بالتدبیر فی انشاء المخترعات وذلک من الاصل الواجب فی صحیح عقد التوحید وهو
ما لا یسوغ ان یرد المسمع الا بحقیقته وتثبیته ولا یجوز ان یرد بنقیضه واطلاقه
خبر صادق علی وجه من الوجوه الا ان یکون المراد به ما لا یرجع الی وصفه عز وجل
بذلک ویکون له طریق فی التاویل ما لا یاباه عقل ولا ینکر سمع علی النحو الذی بیناه وقدمناه
بعد ثم بعد ذلک فان تحمل هذه الاحادیث التی ذکرنا هذه الاوصاف التی ذکرناها

فی هذا الفصل ما یدور علی روایه عکرمه عن ابن عباس وقد ضعف اهل العلم بالحدیث
والتعدیل عکرمه فی روایته وروی عن ابن عمر انه قال لنافع لا تکذب علی کما کذب عکرمه
علی ابن عباس فاذا کان هذا فی الحافظ علیه فهو عند اهل التنقل ضعیف کان ذلک
احد ما یوهنه وذلک فان قبله قابل وحکم بصحته حاکم وطلب لله وجه فی التاویل
وطلب به التخلص من التشبیه لیخرج من قبول الاخر وبین ما یعتقد فی التوحید کان
طریق ذلک ممکنا من وجوه احدها ان یکون معنی قوله انه تجلی ان یکون اراد صلی
الله علیه وسلم انه من لا یشغله شواغل الدنیا فی حسن الصور والترکیب علی الوجه الذی
دبر الله عز وجل وترکیبه عن الله سبحانه وعن رویته وطاعته لکونه معصوما محروسا
من آفات الشهوات وعوارض العقلات معرفا بذلک فضل الله عز وجل علیه وانه
ممن لا یهمه حسن المناظر وانما یری ربه عز وجل فیها لا هو علی الوجه الذی ذکرنا ویکون
فائدته انه لما اسری به الی السماء ودخل الجنه ورای ما فیها من الدور واللالات وحسن
الصور علی تلک المناظر التی وصف ان ذلک کله یرجع الی ما اراه فی الجنه من هذا
الخلق وما زینت به وانه انما رای فی جمیع ذلک ربه عز وجل لم تقطعه تلک الیها
عنه ویحتمل ایضا ان یقال ان صح ان هذه صفات ترجع الی النبی صلی الله علیه وسلم لان
قول القائل رایت زیدا راکبا یحتمل وجهین احدهما ان یکون الرکوب صفه للرای والثانی
ان یکون الرکوب صفه لزید واذا احتمل التوجیه وکان ما ذکرناه من هذه الصفات مما
یصح ان یرجع الی الله عز وجل وجب ان یحمل علی الوجه الاخر وهو ان یکون الرجوع بها الی
الرای والی ذکر معانیه وصفاته فاذا قلنا بذلک احتمل الکلام فیه بعد ذلک وجهین احدهما
ان یکون قد رویا منام کما روی فی حدیث ام الطفیل عن النبی صلی الله علیه وسلم
قال رایت ربی فی النوم وقد ذکرنا الحدیث ویحتمل ایضا ان یقال ان ذلک وان کان رویا فی
حال الانبساط فان ذلک یرجع لان النبی علیه السلام ولو لم یعلم انه کان فی حال رویته لله عز وجل
فی باب الثبات والنوم والتمکن من حاله من حیث لم تستفزه هذه الحال ولا ازعجته وهشته

كا يكون المذكور في الخبر على ملك الصبي فيلزم احوالها واقوالها ويكون الفايدة فيه ما خصه الله عز ذكره
به من التشبيه والتمكين في ملك الخالق واذا احتمل هذا الكلام هذه المعاني وكانت مفيدة
اذا حمل عليها بمعنى صحيح كان حمله على الاول من حمله على الابليق بالله عز وجل سوال
فان قال قيل لم لا تحملوا هذه الاوصاف صفات لله عز وجل ثم تخرجها مجرى الصفات
التي وردت الكتاب كاليد والوجه والعين قيل لا يجوز لامور احدها ان هذه الاخبار
لم ترد الورود الذي يقطع العذر ومع ذلك فنها ما قد تقدم طرقه من جهة الرواية في الاحاد
ايضا وانما يقبل خبر الواحد فما طريقه طريق العمل على الظاهر دون القطع به على الباطن
وما حررنا هذا في الاحكام فان طريقها الاعتقاد والقطع ولا يمكن القطع بما مثال هذه
الاخبار ويجوز هذه الاوصاف في صفات الله جل ذكره من هذه الطريقة لا يصح وانما آخرنا ها
على بعض هذه الوجوه التي ذكرناها ليلا يخلو نقلها من فايدة وان لا يكون وجودها كلا وجود
وان لا يكون مساويا لمن اسقطها وعطلها واذا امكن ترتيبها وتخريجها على ما بيناه كان ذلك فيه
اظهار فايدتها واثباته معانيها على الوجه الذي يصح ويليق بها فلذلك حملناها على ما ذكرناه دون
ما قالوا ثم سالتم عند انتهائنا الى هذا الموضع ذكر ما بنا ان نامل مصنف
الشيخ ابي بكر محمد بن اسحق بن خزيمة رضي الله عنه الذي سماه كتاب التوحيد وجمع فيه نوع
هذه الاخبار التي ذكرت فيها هذه الالفاظ المشابهة وحمل كلها على انها صفات الله
عز وجل وانه ليس فيها لا شبيه شيا من الوصوف بها من الخلق فنا ملنا ذلك وبينا وجوهها وما
ذهب فيه رحمه الله عن الصواب في تاويله واوهم خلاف الحق في تخريجه وجمع بين ما يجوز ان
يجر مجرى الصفة وهذا لا يجوز ذلك فيه وذكرنا الفاظا ذكرها في كتابه الذي رواها وجمعها
فيها لم يدخل فيما املينا فاقرا وبينا معانيها وانكاقدا ومثلنا الى اصل ذلك واشرنا الى
طريقه ذكر حديث [illegible] روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لما قضى الله عز وجل الخلق كتب في كتابه على نفسه وهو موضوع عنده ان رحمتي تالت غضبي وفي
حديث آخر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله الخلق كتب بيده على

نفسه ان رحمتي تغلب غضبي فيان تاويله ان وصف الله تعالى ذاته نفسا واطلاقه القول
في ذلك بالنفس والايانا . وقد بينا فيما قبل ان معنى هذا الاطلاق يرجع الى اثبات
موجود لا ذات الشيء في نفسه ووجوده وقد ورد بذلك نص الكتاب والسنة
وعلى اطلاقه اجتمعت الامة فاما معنى قوله عليه السلام موضوع عنده فقد
بينا فيما قبل ان معنى عند ما يضاف الى الله تعالى يحتمل وجوها احدها ان يراد به
الكرامة والثاني ان يراد به معنى العلم كما قال عز وجل فاولئك عند الله هم الكاذبون
اي في علم الله وعند على معنى قرب المكان على معنى المسافة فلا يليق بالله
عز وجل والذي يليق بهذا الموضع من معنى عند ان يكون على معنى انه عالم به ويكون
معنى الخبر ان ما كتبه في كتابه معلوم له لا يخفى عليه منه شيء لم يستغن بكتابته عليه ليلا
يدرك علم فاما معنى قوله لما قضى الله الخلق فيحتمل ان يكون معناه لما حكم الله عز وجل
بخلق ما يخلق ويحتمل ايضا ان يكون معنى الاعلام كقوله تعالى وقضينا الى بني اسرايل في
الكتاب اي اعلمناهم فكانه اراد لما سبق في علمه وحكمه انه خالق ما يخلق
كتابا كتبه فيه بمعنى انه خلق فيه كلمة دالة على ما اراد ان يكون في المستقبل من الاوقات
من الحوادث التي تحدث فيها وهذا كما روي في الخبر الآخر ان اول شيء خلق الله عز وجل القلم
ثم خلق اللوح فقال اكتب فجرى بما هو كائن الى يوم القيمة واما معنى قوله ان رحمتي تغلب غضبي
وقوله ان رحمتي نالت غضبي فقد بينا معنى الرحمة والغضب في صفات الله جل ذكره وان كل
يرجع الى صفة واحدة من توصف انها اراد لتنعم من علم انه ينعمه بكرامته في الجنة وكذلك
يقال لهذه الصفة غضب اذا كانت ارادة لتعذيب من علم انه يعذبه بعقوبته في النار
من الكافرين ثم يقال للصادر عن رحمته رحمة كما يقال للكائن عن قدرته قدرة والكائن
عن امره امر وللسبب يقال للكائن عن غضبه غضب على هذا الوجه ايضا وانما حملناه على
هذا الوجه ليصح فيها السابق والزايد والنبل والغلبة لان ما يوصف الله تعالى بالرحم
والغضب على الحقيقة لا يجوز وصفه بالسابق والنبل والغلبة واذا رتب على هذا المعنى

كان تقدير تخريجه افادتنا به ما يظهر من رحمته لاهل الرحمة ومن غضبه لاهل الغضب وان
من رحمته فقد غلبت رحمته غضبه على معنى وصول الصادر عنه اليه وظهر ذلك على ظهور
ابانة عمن وصل اليه وصول الكاين عن غضبه وقد ذكرنا غير ذلك من الوجوه في باب وسيلا
فيما قبل وما يغني عن اعادته فارجع الى ما مضى قوله كتبت بيده على نفسه فعلا وضمنا اما لانباني القول
باطلاق يد هي صفة لائقة به ولا قدره واعتقادي في ذلك تصل الكتاب والسنة واجماع الامة على
اطلاقها واضافتها الى الله عز وجل والقول في ذلك مقصور على ما ورد فيه اذ لا سبيل الى ان الخبر
ورد مقيدا بذكر شيء مخصوص له مضافة الى اليد فلا يجوز ان يتعدى الى ما ورد به
الخبر لاجل ان اطلاق هذه الاضافة في الصفة الخبر والاجماع للتعقل فيه فلذلك القول في تقييد
في الموضع الذي قيد فيه ولا طريق الى غير الخبر وقد روينا انه كتب التوراة بيده وعرش
شجرة طوبى بيده وما خلق آدم بيده ونحو الكتاب ومعنى قولنا كتب بيده اي خلق
كتابة فيما خلق فيه من اللوح او غيره مضافة الى الصفة المضافة اليه بذكر اليد ووصفها
تخصيصا وتبيينا وتيسيرا من وجه التفضيل وقد تكلمنا على المراد قبل في تفهيم الدلالة وجهها
مما اطلق من ذكر اليد في الكتاب والسنة على معنى القدرة او على معنى القدرة والنعمة بما ينفي
عن ذلك هاهنا

ماذكر صاحب هذا التصنيف بزيادة لفظ لم يجر
فيما تقدم ذكره مع تفتيش المعظم ما روي فيه وكشفنا عن اصل ذكر اضافة الوجه
الى الله عز ذكره ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المرأة عورة فاذا خرجت
استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها وفي حديث آخر
ذكر في هذا الباب انه قال ما ابتغي بشيء بعد ان تقربني بثلثها تعمد ربها
وما ذكر ايضا ابو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء عند الخروج الى الصلوة اقبل
الله عليه بوجهه وذكر ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في صفة اهل الجنة وما بين القوم
وبين ان ينظروا الى وجه ربهم في جنب عدن الا رداء الكبرياء على وجهه ثم ذكر هذا الباب
ترجمه باب في هذا النوع زيادة لفظة توهمها معنى الخبر وليس في ذلك نص وهو ان قال

باب ذكر صفة وجه ربنا وذكر فيه الخبر الذي ذكر فيه سبحات الوجه متوهما ان ذلك يرجع
الى الضوء ما رد عليه ما ذكرنا وابانه خطا هذا المتوهم اما قوله
صلى الله عليه وسلم واقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها فالمراد بذلك احد وجهين
احدهما ان يكون معناه اقرب ما تكون من طاعة ربها الذي هو صفة من صفات ذاته
والثاني ان يكون المعنى فيه واقرب ما تكون من وجه ربها اي من قصدها وجه ربها وطلبه
والاخلاص في طاعته ويكون الوجه بمعنى الابتغاء والتوجه نحو الشيء والقصد اليه ومما
قوله صلى الله عليه وسلم في الاخر ما التمست المراء وجه الله بمثل ان تقرني بنفسها والتاويل
فيه على الوجهين ايضا فاما قوله في صفة اهل الجنة وما بين القوم وبين ان ينظروا الى وجه
ربهم جنة عدن الا رداء الكبرياء على وجهه فمعناه النظر الى الله عز وجل الذي هو الوجه
على ما قدمنا في قوله تبتغي به عند تعالى في التمست وجه الله وقوله في جنة عدن
وان حمل مرجع الى الناظر لا الى المنظور اليه لان الكلام في المكان من الرأي والمرئي لا بد ان
يكون في مكان لما تقدم ذكره فاما قوله الا رداء الكبرياء على وجهه فيحتمل ان يكون
المراد به الاماله من صفة الكبر ونفي الالتفاتة من حيث له ان يمنعهم النظر والاستقصاء
عليهم به معرفا لهم بذلك ان النظر الى الله عز وجل ابتداء نعمه وتفضل ولهذا لا يستقصى به
لان الموصوف بالكبر والممنوع بالعظمة لهما ان يتفضل وان لا يتفضل وقد يتقدم تاويل قوله
الكبرياء رداء والعظمة ازاره والمراد ان لله صفة من صفاته ونعت من نعوته فاما
قول هذا المصنف في الترجمة باب ذكر ضوء وجه الله عز وجل فغلط منه ونقص لاصله
في ان هذا الباب لا تعدى به القول وانه لا يجوز ان تراد فيه ما لم يرد به نص خبر ولم يذكر
في شيء من هذه الاخبار التي ذكرها الوجه هذه اللفظة قبل انما توهم هذا القائل من طريق النظر
ان معنى سبحات وجهه من طريق الضوء فزاد في وصفه ما لم يرد به نص ولا تجوز الزيادة في
وصف الله عز وجل ما لم يرد به نص وقد ذكرنا ما اول سبحات وتاويل قوله حجابه النور فحجابه
النار على حسب ما روي ويجوز ان تقدر فيه ما يحجب من وصفه بالضوء الا نطقا ولا معنى لما

ذكرنا فما قبل ولذلك تبارك وتعالى الله نور السموات والارض على الوجه الذي
يصح في وصفه انه نور لا على معنى انبائه نورا مضيئا ذا شعاع تعالى عن ذلك

ذكر لها هذا القائل في باب اثبات اليد روى عن الشعبي قال سمعت
المغيرة بن شعبة على منبر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام سأل ربه
عز وجل فقال يا رب اخبرني ما ادنى اهل الجنة منزلة قال هو عبد يأتي بعد ما دخل اهل الجنة
الجنة فيقال له ادخل فيقول كيف ادخل وقد نزل اهل الجنة منازلهم واخذوا منازلهم فيقال له اترضى
ان يكون لك مثل ما كان لملك من ملوك الدنيا ومثل ما كان للملك ومثل ما كان لثلثة ملوك من ملوك
الدنيا قال يا رب رضيت قال لك مثله ومثله ومثله وعشرة امثاله فقال رضيت ولك فيها ما
اشتهت نفسك ولذت عينك فقال يا رب فاخبرني ما علامة منزلة فقال سوف لخبرك
غرست كرامتهم بيدي وختمت عليه فلم تر عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على قلب
بشر مصداق ذلك في كتاب الله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الاية
اعلم انا قد بينا ان اطلاق وصف الله عز وجل ما ورد به نص الكتاب والسنة وقد تقدم ما ولي ذلك وتحصيل معناه على الوجه
الذي يكون فيه اتباع الكتاب والسنة من غير تعطيل ولا تشبيه فما قوله وختمت
عليه فيحتمل امرين احدهما ان يكون المراد بذلك ان حكم به حكم العطاء والهبة لهم والتفضل
عليهم؟ وهذا مثل ما يجري في قول القائل ختمت عليك ان تفعل او لا تفعل بمعنى اني حكمت
عليك واوجبت عليك وخصصتك والوجه الثاني ان يكون معناه وجعلت ذلك
خاتمة افضالي عليهم قدرا ومنزلة للغاية ونهاية اما به لهم بهذا التفضل واختصاصا
لهم بهذا الشريف وقد بينا فيما قدمنا ان مثل ذلك هذا الكلام انما يجري على سبيل التفضل
في العادة وتخصيص المذكور بزمان رفعة وشرف فيه واذا احتمل ذلك كان الاول احتمالا
يدل عليه دون ان يحمل بما لا يليق بالله جل ذكره من وصفه بالآلة والجارحة واطلاق
المباشرة والمعالجة تعالى عز ذكره ونزاهم ذلك في ما يليه فقد اخطأ ومن نفى الوصف

بالله فقد غلط وعدل عن لفظ الكتاب والسنة وقد روى خراش عن ابي موسى الاشعري
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله جل وعز يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط
يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها واعلم انه ليس بمنكر استعمال لفظ
اليد على معنى النعمة وكذلك استعماله على معنى الملك والقدرة وقد جرى في كلام الناس بالخطاب
بينهم ان الامور كلها بيد الله عز وجل وان لله يد على خلقه كثيرة كما يقولون ان الامور
الخلق تجري بقدرة الله وان رحم الله على خلقه وافرة وليس اذا استعملت لفظة اليد في
النعمة والملك والقدرة وجب ان يكون لها معنى واحد في كل موضع اطلاق فيه وكذلك اذا
قلنا ان معنى اليد في هذا الخبر بمعنى النعمة لم يمتنع ولم يمنع ان يكون ما ذكر في قوله تعالى لما خلقت
بيدي لا يكون على معنى النعمة والقدرة واذا كان الامر كذلك تأول نظائرها هذا على
معنى النعمة لم ينكر ذلك علينا ان في القرآن ورد بيبسط اليد وهو قوله تعالى بل يداه
مبسوطتان فانكر الله تعالى ذكره وجل ثناؤه قول اليهود حين قالوا يد الله مغلولة فرد عليهم فقال
غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ولم ينكر عليهم اطلاق
اليد والرد عليهم اضافتهم اليد اليه بل اثبتها لنفسه ووصفها بالبسط فدل على جواز
اضافة ذلك اليه ووصفه بالبسط وذكر صاحب كتاب التوحيد في ترجمة
باب توهم فيه الغلط وهو انه قال باب ذكر اثبات الرجل لله عز وجل وان رحمته اوسع للعطاء
اجسامهم الذين يكيفون بصفات خلقه عز وجل ثم احتج لذلك ايضا بقوله تعالى لهم رجل يمشون
بها وبقول امية بن ابي الصلت رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للاخرى وليث مرصد
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقه فقال صدق امية بن ابي الصلت واعلم ان موضع الغلط
في هذه ما اوهم ان القول باضافة الرجل الى الله سبحانه يجري مجرى القول باضافة اليد اليه
وقد بينا فيما قبل ان نصوص الكتاب والسنة على الوجه الذي يحتمل التأويل في غير ما قلنا
مع اطلاق الاسم بما عبر بها وعنى بها بالفارسية والعربية اضافة اليد الى الله عز وجل
واجماعهم على استحالة ذلك وترك انكار مع اجماع الاكثرين على انكار القول باضافة الرجل

الى الله سبحانه وانكار الجميع من اهل العلم والنظر من مثبتي صفات الله سبحانه وانما تاول من
من تاول فهم الخبر الذي اطلق فيه لفظ الرجل على معنى اضافة الملك والخلق لا على معنى الصفة قائما
احتجاجه بقولهم تعالى الله رجل فعبر صحيح وفي هذا الموضع من قول الله تعالى انما اراد به رد
الكافرين عن عبادة الاصنام وعزلهم انهم باقون عن عبادة من ليس له رجل يمشي بها ويد
يبطش بها وعين يبصر بها واذن يسمع بها فكيف يعبدون من ليس له شيء من ذلك فيقول عز وجل
عباده الاصنام التي هي جماد وموات وليس لها فعل ولا قدرة ولا سمع ولا بصر واذا كان
القصد بالايه الى ما ذكرنا لم يلزم فيها اثبات وصف الله عز وجل بالرجل كما ليس فيها ما يوجب
وصف الله عز وجل بالاذن والاما يوجب اثبات وصفه بان له ارجلا ولا ايدانا والتشبث
بظاهر الايه مختارها على ما ذكرنا يوجب عليه ان يقول الامر فيه على ما قلنا من اثبات اجماع المسلمين
على انكار من قال بالايدي والارجل والاذان والانفس

التصنيف في الباب الذي ترجمه بذكر ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يضع الجبار قدمه
في النار وقد ذكر بانا ويل فيه قبائل على وجوه تقدم ذكرها الا ما في اثبات القدم صفة
لله عز وجل ولم يذكر رواه هذا الخبر لفظ الرجل الا بعضهم قال اخرجت يضع الجبار رجله
او قدمه فاحتمل ان يكون لما التبس عليه اللفظ وتوهم ان القدم لا يكون الا رجلا ذكر بدل
القدم الرجل واكثر الفاظ هذا الخبر يذكر القدم واذ يضع فيها قدمه ولا يجلوا الكلام فيه
من ثلثة اوجه اما ان يقول على معنى اضافة الصفة اليه وهذا ما يمنع منه الكرامية قالت
فيضع فيها قدمه وقدم الصفة لا يجوز وصفها بالوضع في المكان واما قدم الخارجة فلا يليق
بالله عز وجل لاستحالة ان يكون الخبر عنه مضغة واحشاء مركبة وقد بينا فساد
ذلك فيما قبل فلم يبق الا معنى القدم الذي اضيف اليه في هذا الخبر بمعنى الخلق والملك على احد
الوجهين اللذين ذكرناهما وبهما او على ما قاله المتقدمون ممن تاول ان ذلك على معنى ما قدم في علم
الله عز وجل ممن كفر به من خلقه وعلمه بتاول قول من زور هذا الخبر حتى يدل فيها رب
العالمين قدمه فيزوي بعضها الى بعض ويقول قط قط وقد باء بذلك الحاق فيها وهو

القدم على معنى انهم اول من تقدم بهم العلم من الله جل ذكره بانهم يدخلونها ولم يذكر صاحب
هذا التصنيف في الباب الذي ترجمه بالرجل الا ذكر القدم سوى ما ذكر في بعض الفاظ هذا
الخبر من الرواية عن طريق الشك حتى يضع قدمه فيها او رجله فبان لكل انه عدل عن الصواب الى ثم
الخطأ بترجمة الباب بما ليس فيه وهذا النحو ما يضيق فيه الامر حتى لا يمكن التوسع فيه بوجه من
وجهه الرأي والهوى لانه موضع لا بعهد الا على الخبر من الكتاب والسنة الصحيح وما توهم انه
يتعلم به الوفد الجهمية من ترجمة الباب بذكر الرجل مع خلو الباب من ذكر على وجه
الصحيح فهو على خلاف ما توهموا كلام صاحب التصنيف ما روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
انه قال في قوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض ان الكرسي موضع القدمين والعرش
لا يقدر قدره واعلم انه قد روي عن ابن عباس في تاويل الكرسي شيئان احدهما ان معنى
الكرسي العلم وان معناه وسع علمه السموات والارض وروي عنه ان الكرسي موضع القدمين
والمعقول انه موضع قدمي شيء فيحتمل ان يكون موضع قدمي بعض خلقه من الملائكة او غيرهم
اذ لم يقل موضع قدمي الله عز ذكره ولو قيل ذلك ايضا لكان تناولا على الوجه الذي يصح كما
ذكرنا في قوله صلى الله عليه وسلم يضع الجبار قدمه فيها وقد بينا فيما قبل ان القدم هو الشيء المتقدم
في اللغة وان القدم تارة يراد بها الصفة وتارة بمعنى تقدمة العلم به فيحتمل ان يكون
الكرسي موضعا لشيء من مخلوقاته مما قدم خلقها واذا احتمل لفظ القدم ما ذكرنا من المعاني
ولم يكن معناه مختصرا بالخبر فقط كان الاولى ان يحمل على ما يصح في وصف الله عز وجل
فيها دون ما يستحيل

ثم ذكر صاحب التصنيف باب ما ترجمه بالاستواء

على العرش واراد بتمام معنى التمكن والاستقرار وذلك منه خطأ لان استواءه على العرش ليس على
معنى التمكن والاستقرار بل على معنى العلو والقهر والتدبير وارتفاع الدرجة بالصفة
على الوجه الذي يقتضي ما بينه الخلق ثم روى في هذا الباب حديثا منقطعا عن عمر رضي الله
عنه ان امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ادع الله ان يدخلني الجنة فعظم الرب
تبارك وتعالى ثم قال ان كرسيه وسع السموات والارض وان له اطيطا كاطيط الرجل الجديد

القدم

اذا ركب من ثقله وقد بينا تاويل هذا الخبر فيما قبل واوضحنا ان معنى ثقله على كواهل الحملة ثقل
العظم والاجلال لا ثقل الجثة وقد ذكرنا قول القائل الكرسي يثقل مرة وليس ذلك على معنى الثقيل
بالوزن وبينا انه لا ينكر ان يخلق الله اطيطا في الكرسي يكون ذلك علامة للملائكة فيما يريد
ان ينزل من لعقوبة بعض خلقه فيثقل ذلك عليهم ثقل استثقال لما يكون فيما يجدد لهم
من الهيبة والاجلال ثم ذكر ايضا حديث اسماء بنت عميس انها قالت كنت مع جعفر بارض
الحبشة ورايت امراة على راسها مكتلا فمر بي فقرت برحل من الحبشة فطرحه عن راسها
فسقط الزبل الدقيق وقالت الملك يوم يجعل الكرسي ويأخذ للمظلوم من الظالم
واعلم انه كان لا يصح ان ينفي عز وجل عن نفسه من الصفة ترى اهل الاهواء الذين
لا توثق بهم فكذلك لا يصح ان يضاف الى الله عز وجل وصف مع عز ان يكون مضبوطا عمن يوثق
به ويقول هذه المراة فما لم توثقه دليل ولا حجة في اثبات صفات رب العالمين وكيف
نستجيز ذكر مثل هذا الخبر في اثبات صفات الله جل ذكره وليس ذلك في اثبته نص
كتاب الله ولا سنته واعلم ان وصف الله عز وجل بالقعود مما لم يثبت به نص كتاب
ولا سنته ولو ثبت لكان ذلك محمولا على ما جاء سائرا وصاف افعاله التي ذكرنا ذكرها قوله
ينزل الى سماء الدنيا وما ذكرنا قول قائلنا الله تبارك وتعالى انما ذكر نزوله
اللفظ متصلا في كتاب الله عز وجل او بسنة من طريق موثوق بها ثم ترتب عليه اثبات وبل فاما
ولم يثبت من طريق صحيح لفظ القعود في شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا وجه للتعلق
به وقد ذكرنا عن محمد فيما قبل تاويل لقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا انه يقعده
على العرش معه ولم يذكر افعاد النبي عليه السلام على العرش ونا ولنا لفظ معه على ما يليق
به من معنى النصرة والمعونة لانها لفظة مشتركة مستعملة في معنى العلم كقوله وهو معكم اينما
كنتم بمعنى النصرة وكقوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون واما الذين يلحدون
بمعنى الحاد ومن فلا يليق به جل ذكره
ثم ذكر صاحب الكتاب الذي ذكرنا
قبل ترجمته باب ذكر البيان ان الله جل وعز في السماء واعلم انه ليس ينكر قول من قال ان الله

السماء لاجل ما ورد به الكتاب وورد به وهو قوله تعالى امنتم من في السماء ومعنى ذلك انه
فوق السماء ومعنى قولنا انه فوق السماء لا معنى فوقية المكان لان ذلك صفة الجسم المحدود
المحدث وكل معنى ما وصف به انه فوق من طريق الرتبة والمنزلة والعظمة والقدرة ثم ذكر
هذا القائل قد كذب قول الله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه عز ذكره
بل رفعه الله اليه وهذا غلط منه من قبل ان صعود الكلم الطيب اليه ليس عن صعود من
منتقل الى حلوله التنقل لاستحالة ذلك على الكلام بل عرضا لا يبقى وكذلك العمل الصالح
وانما معنى صعود الكلم الطيب اليه قبوله ووقوعه عند موقع الكرامة والثواب وقوله
يرفعه العمل معنى يرجع من حيث كان الامكان ولكنه يرجع له على معنى انه فيتقبل وان الكلام الطيب اذا
اقترن به العمل الصالح فعلا دون ان ينفرد الكلام عن العمل واما قوله تعالى في قصة عيسى
عليه السلام بل رفعه الله اليه فمعناه انه رفعه الى الموضع الذي لا يعبد فيه الا الله تعالى ذكره
ولا يذكر فيه غيره لا على معنى انه ارتفع اليه كما يرتفع الجسم من منتقل الى جسم في علو مكان يقرب
منه من المسافة والمساحة ثم ذكر قول من تعالى فذكر به للجهل جهلا ذكرا وقوله انه يخبر به
على حكمه فقال الامر العام محمولا ما دون الالباب ان الله عز وجل لو كان في كل بيت من
كل بيوت وخلوق كان عند الجهمي لكان متجليا لكل شيء وبذلك جميع ما في الارض كالجدار
وهذا منه وهم فاسد ليس قبل ان تجلي الرب سبحانه للجبل على معنى انه جعل الجبل حيا عالما
ما تيا حتى راى الله جل ذكره ثم ذكره عند الرؤية علامة لموسى عليه السلام انه لا يراه احد
في الدنيا الا كذلك صورة من خصه بالرؤية اماتة وتشريفا وليس معنى تجلي الله عز وجل لخلقه
ما يكون معهم بالمشاهدة والعيان في الدار والجاورة ولا حكمه ذاهب الجهمية ايضا حتى
يتوهم عليهم انه يجب عليهم اذا كانوا ان الله في كل موضع وانما يلزم مخالفتنا الا يلزمهم ويتوجه
عليهم ما لا يتوجه ويوهم ذلك الخطاء في التاويل فالمذهب الصحيح ان الله لما لم يتبين كلامه على
اساس صحيح احتمل عليه واضطرب فلم يصح مذهب ولا افسد مذاهب مخالفيه ثم ذكر
ما يؤيد حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لفاطمة وهي تنعى حاديها قول اللهم ت

السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ منزل التوراة والانجيل والفرقان
العظيم فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل ذي شر انت اخذ بناصيته انت الاول
فليس قبلك شئ وانت الاخر فليس بعدك شئ وانت الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن
فليس دونك شئ اقض عنا الدين واغنا من الفقر واعلم ان هذا الباب بين محتمل ما قلنا
في تاويل وصف الله عز وجل انه فوق كل شئ لا يعقل في المساحة والمسافة وكذلك من
كان فوق شئ على معنى المساحة والتمكن فيه والعلو عليه على هذا الوجه كان دونه شئ وهو
ما عليه من المكان ١٩ ا بان صلى الله عليه وسلم انه ليس دونه شئ علمنا ان معنى انه فوق
كل شئ لا على معنى التمكن والمساحة وقد ادعى هذا الملحد خلاف هذا وهذا الذي دل
سائر الكتاب يدل على فساد ما ادعى هم
ما روى ابو هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان للملائكة محضر الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قد اخرجت انها النفس
الطيبة ابشري روح وريحان ورب غير غضبان فيقولون ذلك حتى تخرج فاذا خرجت عرجت
الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت في
الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك حتى
تنتهي الى السماء التي فيها الرب تبارك وتعالى وذكر الحديث وروى عن عمران بن حصين ان قريشا
جاءت الى حصين وكانت تقطه فقالوا له كلم لنا هذا الرجل فانه بلغنا وبينهم
فجاؤا معه حتى جاء قريبا من باب النبي صلى الله عليه وسلم دخل حصين فلما راه النبي صلى
الله عليه وسلم قال ادنوا الشيخ فقال حصين ما هذا الذي بلغنا عنك انك تسب الهتنا
وتذكرهم وقد كان اباؤك حفظا وجرا فقال يا حصين ان اباي وامي الى النار يا حصين
كم من اله تعبد اليوم قال سبعة في الارض واحد في السماء فاذا اصابك الضر من تدعوا
قال الذي في السماء قال فاذا هلك المال من تدعوا قال الذي في السماء فيستجيب لك وحده ويشركهم
معه الحديث بطوله اعلم ان معنى قوله صلى الله عليه وسلم حتى ينتهي الى السماء التي فيها الرب محتمل
اوجها احدها ان يكون معناه الى السماء التي فيها خزائن الارواح وسائغ ان يقال ذلك في

اللغة لقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل والمعنى حب العجل وقد ذكرنا فيما قبل انا لا
ننكر القول بان الله في السماء اتباعا للفظ الكتاب ولكنا نابى ان يكون معناه على معنى كون
الجسم في الجسم بالتمكن عليه وفيه لان ذلك يودي الى القول بحدوثه وفنائه وتاولنا ايضا
حديث الجارية لما قال لها اين الله قالت في السماء فلم ينكر عليها بل قال اعتقها فانها
مومنة وثابت اشارتها بما يقر بها ودلت على ما في قلبها من الاخلاص للموحد بالله
فلذلك عهد النبي صلى الله عليه وسلم بايمانها فصل احسن ثم ذكر صاحب الكتاب الذي
اوردنا اصلاح ما غلط في ايهامه واخطا مذهبه اكتفينا باراد حديث النزول وقد
بينا تاويلها فيما قبل غير انه ذكر في بعضها الفاظا اقتضى ما ذكرنا من هذه الاحاديث
فضالة بن عبيد عن ابي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك
وتعالى في ثلث ساعات يبقين من الليل يفتح الذكر في الساعة الاولى الذي لم يعص
احدا غيره فيجود ما شاء ويعفو ما شاء ثم ينزل في الساعة الثانية الى جنة عدن التي
لم تراها عين ولم يحفر على قلب بشر ولا يسكنها احد من بني ادم غير ملئة النبيين والصد
والشهداء ثم يقول طوبى لمن دخلك ثم ينزل في الساعة الثالثة الى السماء الدنيا بروحه
وملائكته فينتفض فيقول قومي بعزتي ثم يطلع الى عباده فيقول هل من مستغفر
فاغفر له هل من داع فاجيبه حتى يكون صلوة الفجر ولذلك يقول قرآن الفجر ان قرآن
الفجر كان مشهودا فيشهده الله تعالى وملائكة الليل والنهار ١٠ ذكر في بعض الفاظ
هذا الحديث في جزء اخر ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنة لا يلون معه
فيها الا النبيون والصديقون والشهداء آمنون فيها ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر ثم
يهبط في الساعة الثانية الى سماء الدنيا فيقول من يسالني فاعطيه اكرر اعلم ان الذي يجب
ان يتنبه في تاويل هذه الزيادة بعد تقدم ذكر معنى النزول وتاويله ثم يعرج جنة
عدن وهي مسكنه ومعنى تسكنها ذكر اكرامه وتشويقه وهذا كقولنا الكعبة بيت الله
وهي اضافة تشريف وتخصيص لا على معنى انه يسكنها ساكن مجاور ولكنها مسكن

السماء ليس من نبيا به واوليا ه وهل يسكن على معنى اضافة التخصيص والتشريف وقوله
لا يكون فيها من الذين في السماء فيها ما يحول والسكون والله معهم بالنصر والكرامة
على ما تقدم ذكره في ايلانه معنى مع واما معنى قوله ثم يهبط في الساعة الثالثة
فعلى نحو معنى قوله ينزل وقد اختار عن فعل يفعله كما دونيا عن الاوزاعي في قاول
قوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى اليه قال ينفعل الله ما يشاء واما معنى قولهم لم يجوا
الله ما يشاء ويثبت فليس ذلك على معنى تغيير حكم وانما استقر بامر يريده الله ولكنه على
معنى ما امر من تغيير الاحوال وتصريف الاسباب على ما يشاء ويريد واما قوله ثم
ينظر في الساعة الثالثة فليس ذلك على معنى نظر الروية ولكنه بمعنى نظر التعطف والرحمة
ومعنى ما بين من نفعه وتحدث من كرامات قاما قوله ينزل في الساعة الثالثة
الى السماء الدنيا روحه وملائكته فيحتمل ان تكون الروح جبريل عليه السلام واضافه
اليه تشريفا وانانه ما لذكر تخصيصا وقد دل جل وعز في كتابه ترل به الروح الامين
على ذلك يعني جبريل عليه السلام واعلم ان قوله ينزل بملائكته الى السماء الدنيا يدل
ما نقول انه انتقال فعل وانه تنزل بعض ما يحدث من امر ونهي فاما اليه لاحل انه
عن امره حدث كقول القائل ضربنا الامير اللص فامر به فصلب اخبر ثم ذكر
صاحب الكتاب ان الله عز وجل كلم موسى موافقة خلافا بين الناس ولم يختلفوا
على تفاوت مذاهبهم ان الله كلم موسى وخصه بالتكليم بما ابانه من غيره وتكلف
ذكر اي وسنن في ذلك ولا معنى لتكلفه لما اغنى عنه الاجماع وزوال الخلاف فيه
بين اهل الصلوة كلهم وانما اختلفوا في معنى ذلك ولم يعرض له ولا ذكر فيه موضع
الخلاف ثم ذكر بعد ذلك ترجمة افسدها جمع ما تقدم دليلنا وما ناخر ما يحتمله من
العقل ان القرآن غير مخلوق وانه كلام الله لم يزل فقال باب في معنى صفة الله تعالى انه موصوف
والبيان وان كلام ربنا ليس كلام الخلق فنقول ان كلام الله كلام متواصل لا سكت بينه
ولا صمت لا كلام الادميين الذين يكون بين كلامهم صمت وسكت لانقطاع النفس او

التذكر والعلم انه قد تقدم بعد الجمع ما اصل من اصول السنة في ان كلام
الله غير مخلوق ولا محدث وانه لم تزل كلاما لله وذلك بما ذكرنا من قوله انه كلام متوا صل
لا سكت بينه من قبل ان ما كان كذلك فالثاني منه مجدد بعد الاول وكذلك الثالث بعد
الثاني وما كان كذلك كان حادثا محدثا مخلوقا ولم تزد به همة القائلين بخلق القرآن
على ذلك انه كلام يحدثه طلا ويجدد من بعد اخر فتقضي ما اشئر وعدم ما بنا
وقد تقدم من شرط واضع هذا الكتاب في باب اثبات صفات الله جل ذكره انه لا يتكلم
ولا كيفية ولا اشتها على هذا الوجه بل يجري ذلك مجرى العلم دون البحث والتفتيش وهذا
منه نقض لذلك الاصل ثم يوهم انما روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
حجة في ذلك وهو قوله اذا تكلم الله ما لوحي سمع اهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة
على الصفا فاذا فزع عن قلوبهم يقولون حين يسمعون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا اتاهم جبريل فزع
عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك قال الحق فينادون الحق الحق وفي حديث
عكرمة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله في السماء امرا ضربت الملائكة
باجنحتها خضعانا لقوله كانها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا
قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير وفي بعض الاخبار فيقولون ويرون
انه من امر الساعة فذلك فيسمعها مستمعوا الجن وهم هكذا واصف فوق الاخر واشار
سفيان باصابعه وربما ادرك الشهاب المستمع قبل ان يرميه به صاحبه الاخر الذي
الى الذي هو اسفل منه فيلقيها على فم الساحر او الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيقال
اليس قد قال يوم كذا كذا فوجدناه حقا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء واعلم
ان هذا الخبر ما تقدم تاويله وما بينا انه انما اثبت الصلصلة للسماء من اجل الاخبار
ذلك تضرب الملائكة باجنحتها خضعانا لله تعالى لقوله كانها سلسلة على صفوان
ولم يتضمن هذا الخبر شيئا مما ترجم به هذا الباب في قوله ان كلام الله متواصل لا سكت بينه ولا
صمت وانما ذلك توهم منه بما به الفاسد ولو استعمل ما قدم في اول كتابه من وجوب

انه لا تعدد لفظ اكرر ما نطق به الكتاب لا يريد فيه من عند نفسه لاستراح من هذا
الغلط وان متقلده فيه وقد بينا فيما قبل ان من حق الناظر ان يعرف حقائق العبارات والدلالات
التي بها يتصور ان الكلام وبها يفهم مراد متكلم منه وانه ليس معنى قولنا ان الله تكلم بالوحي
انه تجدد له كلام وبتجدد اسماع وافهام خلق عبارات ونصب دلالات
بها يفهم الكلام ثم نقاس على هذه الطريق السنة والملحدة هذه العبارات كلام حيث
انها دلالات عليه وقد مضى من ذلك فيما يغني عن رده ههنا ولعلم انه لا يصح على اصلنا
ما قولنا ان كلام الله غير مخلوق ولا حادث لوجه من الوجوه ان الله متكلم كلاما
بعد كلام لان ذلك يوجب حدوث الكلام وانما تجدد الاسماع والافهام ونصب
العبارات واقامة الدلالات على الكلام الذي لم يزل موجودا وحدوث الدلالة
والعبارة لا تقتضي حدوث المدلول المعبر عنه كما ان حدوث الذكر والدعاء لا يقتضي
حدوث المذكور والمدعو ولسنا نقول ان الله عز وجل انما تكلم في الازل ثم لم
يتكلم بعد ذلك كما توهم بعض من غلط على اصولنا فظن انا اذا قلنا ان الله كلاما ولم
يزل به متكلما ولا يزال به متكلما فقد قلنا انه تكلم به ثم لم يتكلم بعد ذلك حتى
حمله انكارنا الرد على القول بان الله يتكلم كلاما بعد كلام لا سكت بينهما ولا صمت
فنقض بذلك اصلا ان كلام الله عز وجل غير حادث ولا متجدد وانا نزيد عن خلاف
عليه وتوهم خلاف ما هو به ونحن نقول ان الله تعالى لم يزل متكلما وانه
قد احاط كلامه بجميع معاني الامر والنهي والخبر والاستخبار وان العبارات عنه
والدلالات عليه لم تزل تتجدد وتتزايد والعبارات كلام الله كما ان الدلالات
على الله عز وجل تتجدد وتتزايد ولا يقتضي تجدد الدلالة وتزايدها فاذا حصلت هذه
الاصول علمت حقيقة ما نقول وان الغلط ورد انما وقع لمن توهم ان تجديد العبارات
تجديد للكلام ولم يفرق على الحقيقة ما هو كلام على الحقيقة وبين ما هو عبارة ودلالة
عليه فصل اخر ثم ذكر صاحب كتاب التوحيد ابوابا وتراجم في باب الرد

يريد

عز وجل

ورد اخبارا اكثرها ليس فيها ما يشكل معناه ومنها ما يشكل بعض الفاظه فيقتضي
بيانا وتفصيلا غير انه خلط به ما ليس منه وتاول في اخبار الابدال على ما قال يخلط
فيها من الكفار من يرى الله يوم القيمة وانه براة بعضهم رويها اتحاد وان تلك
الرؤية قبل ان يوضع الخبر بين ظهري جهنم وان ذلك كما يكلم الكفار بالطرد والابعاد
ويكلم المؤمنين بالرحمة والقبول وكذلك يراه ونحو بعض اهل الكتاب ويراه المنافقون
ولا يجدون في رؤيته لذة وسرورا وانما يجد اللذة والسرور في رؤيته المؤمن فقط
واعلم ان بعض مقالة محدثة لان الناس في رؤية الله سبحانه وتعالى على مقالتين
فمنهم من قال هي ممتنعة ولا يرى كافر ولا مؤمن وهو مذهب الجهمية والمعتزلة وقالوا
قالوا وهم اهل الحق ان رؤية الله سبحانه جائزة وانما يراه المؤمنون يوم القيمة
دون الكفار لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فاخبر ان الكافرين
محجوبون عن رؤية الله تعالى واخبر ان الوجوه الناضرة هي المشرقة وهي وجوه
المؤمنين المخلصين هي الناظرة الى ربها بوعيد فدل على التقييد وبذلك نص على
ان الكافرين لا يرون الله تعالى وما كنت اظن ان احدا قال يرونه الكفار سوى
ابن سالم البصري وكان مذهبه مرغوبا عنه مبدعا فيه عند علماء العراق
والحجازيون به بذلك ويشنعونه الى البدعة بهذا القول حتى رأيته لهذا المصنف
وقد خص بذلك ايضا بعض الكافرين لانه قال المنافقون وبعض الكفار يرون
الله تعالى يوم القيمة وكان ابن سالم يذهب ان سائر الكافرين يرونه ثم وجدت
هذا المصنف تعلق في ذلك بخبر رواه ابو سعيد الخدري قال قلنا ويسول الله صل
عليه وسلم قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة فقال هل تضارون في الشمس
ليس دونها سحاب قال قلنا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه
سحاب قال قلنا لا قال فانكم ترونه كذلك يوم القيمة قال فيقال من كان يعبد شيئا
فليتبعه فيتبع الذين كانوا يعبدون الشمس الشمس فيتساقطون في النار ويتبع

الذين كانوا يعبدون القمر فيتساقطون في النار ويتبع الذين كانوا يعبدون الاوثان والاصنام الاصنام وكل من كان يعبد من دون الله شيئا فيتساقطون في النار فيبقى المؤمنون وفيهم منافقوهم بين اظهرهم وبقايا من اهل الكتاب قال فيقال لهم بيده فيقال لهم الا تتبعون ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد الله ولم نر الله قال فيكشف فلا يبقى احد كان يسجد لله الا خر ساجدا ولا يبقى احد كان يسجد رياء وسمعة الا وقع على قفاه وفي بعض الفاظ هذه الاخبار الا عاطس وكلما اراد ان يسجد خر على قفاه قال ثم يرفع رؤوسنا وقد عاد لنا في صورته التي رايناه فيها اول مرة فيقول انا ربكم فنقول انت ربنا ثلاث مرات ثم يضرب الجسر على جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون اول من يجوز من الرسل بامتي ولا تتكلم احد يومئذ الا الرسل وفي بعض الفاظ هذا الجسر وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير صورته فيقال انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم في صورته التي يعرفون فيقولون انت ربنا فيدعوهم ويضرب الصراط بين ظهري جهنم وكلمة في بعض الفاظ هذا الخبر وبقي المسلمون فيطلع عليهم رب العالمين فيقول لا تتبعون الناس فيقولون نعوذ بالله منك نعوذ بالله منك الله ربنا وهذا مكاننا حتى نرى ربنا وهو يأمرهم ويثبتهم ثم ينوادي ثم يطلع فيقول لا تتبعون الناس فيقولون نعوذ بالله منك الله ربنا وهذا مكاننا حتى نرى ربنا وهو يأمرهم ويثبتهم قالوا وهل نراه يا رسول الله قال وهل تمارون في رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال فانكم لا تمارون في رؤية ربكم ثم ينوادي ثم يطلع عليهم فيعرفهم نفسه ثم يقول انا ربكم فاتبعوني فيقوم المسلمون ويوضع الصراط الرحم فيجوزون عليه كجياد الخيل والركاب وهولهم عليه سلم سلم وذكر في بعض الفاظ ايضا قال ثم يتمثل الله للخلائق فيقال لليهود فيقول لمن تعبدون الى ان قال حتى يبقى المسلمون فيقولون لمن تعبدون فيقولون نعبد الله لا نشرك به شيئا

فيقول هل تعرفونه بكم فيقولون سبحانه اذا اعترف لنا عرفناه فعند ذلك يكشف عن ساق ولا يبقى مؤمن ولا مؤمنة الا خر له ساجدا واحتج ايضا حديث سهل بن ابي حازم عن ابيه عن ابي هريرة قال قيل يا رسول الله فيقول الله اي فعل الله اكرمكم به اسودكم ام ازوجكم اسخر لكم الخيل والابل واترككم تحرثون وتزرعون فما اعطيتك منها قال لا قال فهل عظمتك مثل ما اعطيتك قال لا اعرب قال فاليوم انساك كما نسيتني قال ثم يلقى الثالث فيقول له انت فيقول انا عبدك آمنت بك وبرسلك وبكتابك وصمت وصليت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقال له الا ها هنا شاهدا فانه يكره ان يشهد عليه قال فيختم على فيه فيقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل فذلك للمنافق وذلك الذي يسخط الله عليه قال ثم يساق سائر الناس الى النار بعد ذلك قال ثم يأتي كل امة بما كانت تعبد فيتبع المشاطين والصليب واليها لهم حتى يقفوا بين يدي الله عز وجل فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي رأوه فيها اول مرة فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم في صورته التي يعرفون فيقولون انت ربنا فيدعوهم ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ويكون في بعض الفاظ هذا الخبر وبقي المسلمون فيطلع عليهم رب العالمين فيقول لا تتبعون الناس فيقولون نعوذ بالله منك الله ربنا وهذا مكاننا حتى نرى ربنا وهو يأمرهم ويثبتهم ثم ينوادي ثم يطلع فيقول لا تتبعون الناس فيقولون نعوذ بالله منك الله ربنا وهذا مكاننا حتى نرى ربنا وهو يأمرهم ويثبتهم قالوا وهل نراه يا رسول الله قال وهل تمارون في رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال فانكم لا تمارون في رؤية ربكم ثم ينوادي ثم يطلع عليهم فيعرفهم نفسه ثم يقول انا ربكم فاتبعوني فيقوم المسلمون ويوضع الصراط الرحم فيجوزون عليه كجياد الخيل والركاب وهولهم عليه سلم سلم وذكر في بعض الفاظ ايضا قال ثم يتمثل الله للخلائق فيقال لليهود فيقول لمن تعبدون الى ان قال حتى يبقى المسلمون فيقولون لمن تعبدون فيقولون نعبد الله لا نشرك به شيئا

به الى تاويل الاخبار على الوجه الصحيح فاما ما ذكره القابل من ان بعض اهل الكتاب
والمشبهة [illegible] عز وجل يوم القيمة رؤية امتحان واختبار فلا دلالة له على ذلك
ان الفاظ هذا الخبر [illegible] يدل على وجه احد مما قاله فيكشف عن ساق ويخرون
له سجدا وليس في شيء من ذلك اثبات رؤية المنافقين وقد فسرنا معنى قوله يكشف عن
ساق على ما روي عن ابن عباس انه قال يكشف عن شدة او يكشف عن امر عظيم يريده
ممولا من اهوال يوم القيمة ولم يدل في هذا الخبر رؤية الكفار لله عز وجل واما الوجه
الثاني فهو ما قاله في تبطيل الله عليهم وليس ذلك مما يختص بمنع الرؤية
لان الاطلاع عليهم قد يكون تغيرا من رؤية بان يظهر فعل من افعاله وعلم من اعلامه وآية
من آياته فاما الجواب عن قولة الا تتعون الناس فيقولون نعوذ بالله منك
ان من هذا القول الذي ادعوناه فيه اتباع الناس وهذا يدل على ان العلم يكون رؤية
اذ لو كان ذلك رؤية عيني لقالوا نعوذ بك من هذا القول ولم يقولوا نعوذ بالله منك
فدل على ان هذا الاطلاع على الوجه الذي ذكرناه وليس بصوت مختص بمنع الرؤية ولا
دلالة فيه على ان الكافرين مرحومون الله عز وجل يوم القيمة وكذلك معنى قوله تعالى ثم
يطلع فيقول الا تشفعون الناس الى آخره زعم ان خلقا من خلقه وملكا من الملائكة
يامره الله تعالى ويخاطبهم عن وجيه فيكون النواري والاطلاع راجعا اليه دون ان يكون
راجعا الى الله جل ذكره فاما قوله ثم يقول انا ربكم فانه ليس فيه ايضا ما يدل على رؤية
الكفار لله عز وجل لان هذا خطاب وليس فيه من الرؤية ولا ذكر فيه انهم رؤوه بل فيه انه
يخاطبهم ملك وقد يجوز ان يخاطب الخلق دون ان يروه فاما ما قدمه آخرا من ان تمثل
الله تعالى للخلق فيقول اليهود فيقول من تعبدون فاعلم انه لا يجوز ان يكون لله تعالى تمثال
يتمثل به للخلق لاستحالة ان يكون له شبيه ومثل يوجه من الوجوه واذا لم يجز ذلك استحال
معنى هذا الكلام ان يقال فيه انما اراد ان خلقا من خلقه متصورا لهم من الملائكة يخاطبهم امر
الله تعالى فيقال على التوسع تمثل الله لخلقه والمراد به ملائكته ورسله كما قلنا انهم تنزل

في اللغة ضرب الابل اللص واذا انزبه فينسب اليه الفعل اذا كان عن امره واذا كان ذلك
واستحال ان يكون ربنا تعالى من خلقه مثال وجب ان يحمل على ما قلناه وان يكون المتمثل للخلق
هو الذي يلقى اليهود ويخاطبهم عن الله تعالى بقوله من تعبدون واما معنى قوله عليه السلام
في الخبر الآخر فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقولون انت ربنا فقد تقدم تاويل ذلك
ويمكننا ان نتطرق ما في الآية من قوله جل ذكره هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام ويروى
عن ابن عباس في تاويله ان معناه في ظلل من الغمام وان في بمعنى الباء لان قوله فيأتيهم في غير
صورته معناه بغير صورته واضاف الصورة اليه من طريق الملك وقيل ايضا ان الاتي في غير
صورته غير الله جل ذكره بدلالة قوله انهم يقولون نعوذ بالله منك ولو كان الاتي هو
الله تعالى لكان قولهم نعوذ بك ولم يقولوا نعوذ بالله منك حتى يأتينا ربنا وهذا
مكانه فاما قوله ويقولون فاذا جاء ربنا عرفناه فتاويله مجيء الرب عارفا تقدم ذكره في
تاويل الآية من قوله تعالى وجاء ربك فاذي ذلك بظهور فعل لا يجوز الا من مكان دون
مكان فاما قوله فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فمعناه ما تقدم بصورته التي يعرفون
فيقولون انت ربنا ومعنى كونه تعالى في الاتيان فعل من افعال الله عز وجل او فعل بعض
ملائكته فيضاف اليه طريقا له في ذلك فاما قولهم انت ربنا فيحتمل وجهين
احدهما ان يقال ان معناه انت عز ربنا تخاطبنا صدقا فنحققون بذلك وجهنا
انه عن الله عز وجل ويحتمل ان يكون ذلك عند تجلي الله جل جلاله للمؤمنين من خلقه
فيقولون عند رؤيتهم له وظهور تلك الصورة التي يعرفون بها انت الله
عز وجل ملكا وخلقا انت ربنا اعترافا بالربوبية وفصلا بين حالهم فاحوال
الكفر الحاجزين فاما ما رتب عليه هذا العالم هذا الخبر من الآية في قوله تعالى
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فان ذلك يرجع الى الكافر الحاجز ان المنافق
وان كان يقلبه مكتئبا فهو طمعا مقرونا ان الله تعالى يريهم نفسه رؤية امتحان
واختبار ويكون حجبه اياهم بعد ذلك عن رؤيته الخشية عليهم فدامة تهدا

ما الحاجة الى ترتيبه على هذا الوجه من قبل ان ما ذكر من الاخبار ليس فيها ما يدل على
اثبات [illegible] والآن فانه تخصيص النظر الى الرب يوم القيمة للمؤمنين
وتخصيص الاذن والاذن انما يكون لما يرى في هذا المساء الا قولا ان على الوجه الذي
بيناه بان لك ان تقول ما تحمد منه ثم يسبق هذا القائل انها غير حتى يضطر اليه الكافرين من
اهل الكتاب وغيرهم وبين ما نافى المقدور بين واحد فاذا كان كذلك علمت ان ما ذكر من
النداء هذا اخبار فعاد محمولة على ما دلنا على الوجه الذي لا بد منه الى مثل الله عز
وجل فحقه مع قوله آخر وافاد معناه. وبان لك فساد ما اختاره هذا القائل
من اثبات رؤية بعض الكفار سبحانه دلت وان لا علم فيما احتج به فصل
ثم ذكر صاحب كتاب التوحيد بابا في اثبات ضحك الرب تعالى فقال ان ضحك لا يشبه ضحك
المخلوقين كما ان كلامه لا يشبه كلام المخلوقين وقال انا نؤمن بانه يضحك كما اعلمنا به
النبي صلى الله عليه وسلم ومسكت عن صفة ضحك جل وعز اذ الله استاثر بصفة ضحكه فلم
يطلعنا على ذلك ثم ذكر حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن انس عن ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان آخر من يدخل الجنة لرجل يمشي على الصراط فينكب مرة ويمشي
مرة الى ان قال الى آخر الحديث قال والله تبارك وتعالى انا ارضيك مني ان رضيت ان اعطيك
من الجنة مثل الدنيا ومثلها معها قال فيقول اتهزأ بي وانت رب العزة قال فضحك
عبد الله حتى بدت نواجذه ثم قال الا تسألوني لم ضحكت قالوا لم ضحكت يا رسول الله
قال لضحك الرب تبارك وتعالى حين قال اتهزأ بي وانت رب العزة ولقد حدثت
اي ههنا ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة فذكر الحديث
بطوله قال وبقي رجل بين الجنة والنار وهو آخر اهل الجنة دخولا الجنة مقبلا بوجهه على
النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار قد قشبني ريحها واحرقني ذكاؤها فيقول
الله عز وجل فهل عسيت ان فعل ذلك بك ان تسأل غيره فيقول لا وعزتك فيعطي
ربه ما شاء من عهد وميثاق فيصرف وجهه عن النار فلما اقبل بعض الحديث على فيقول

الست قد اعطيت العهود والمواثيق ان لا تسأل غير الذي اعطيت فيقول لا يا رب لا تجعلني اشقى
خلقك فيضحك الله منه ثم ذكر باقي الحديث ذكر منجب ان يتبين من هذا الحديث
العلماء اعلم ان وصف الله عز وجل بالضحك على ما [illegible] بخلق شائع فاما على ما توهمه
هذا القائل انه ضحك صفة الاعلام فخطأ وقد بينا فيما تقدم ولم الاخبار التي ورد
فيها ذكر الضحك وفسرناه وبينا وجوهه وذكرنا ان اصل معنى الضحك في اللغة الظهور
الظهور والبروز والانشاح ومنه قالوا ضحكت الارض بالنبات اذا ظهر نباتها ومنه
قول القائل يضحك الارض من بكاء السماء اي تظهر زهرتها ونورها من مطر
السماء وسقيها وان معنى ما وصف الله جل ذكره به من الضحك فهو على معنى اظهار الطاف
وفوائده ومنه وقعه وكذلك معنى في هذا الخبر انه يظهر فيه ومنه لهذا الداخل
الجنة اختيار ليس ذلك ضحك صفة كما توهمه والامر فيه كما قد مضى استاثر الله عز وجل
بعلمه فلم يطلع عليه احدا من خلقه وذلك ان النبي عليه السلام خاطبنا بلغة العرب فاذا وجدنا
لكلامه وجها في اللغة صحيحا المعنى معتدا حملناه عليه ولم ننكر ان يكون قد مضى الاراد والنجم
من هذا القائل ان يقول الحديث شفشقكم في معناه. وبان بقول لسكتة لان الله تعالى
لم يطلعنا عليه وانطريق فهما واحد وكل ما احكى استدراك معناه. من جهة اللغة واستخراج
الفائدة فيه فلم ينكر ان يحمل الخبر عليه والامر لان يقال ان ذلك مما لا يوقف على معناه
وان الله تعالى استاثر بعلمه لان النبي صلى الله عليه خاطبنا به ليفيدنا وخاطبنا بلغة
معروفة وطريقة معقولة ولم يعلمنا ان ذلك مما لا يعلم او انه مغنى عنى ما يمكن التوصل
اليه من طريق اللغة فاما مغنى قوله اتهزأ بي اي رب وانت رب العزة فهذا توبيخ
الخطاب معناه ان هذا انما يقوله الهازئ لمن بعد رجاءه فيما طمع فيه وانما استحق الله
جل ذلك منه بدليل على هذا الوجه من الخطاب ليعلمنا انه الذي لا ينقطع عنه رجاء عبيده
لسوء تصرفات بهم الاحوال وان بعد ما كانوا من الرجاء حتى تقربهم منها حتى يكونوا
اقرب اليه في الحال التي كانوا عندهم ابعد منها وهذه لشان من الله جل ذكره للمؤمنين

رحمته ليلا يأيسوا منها قال فأين فرح المؤمنين بضحك ربهم قال ضحك
لضحك الرب قيل نعم ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم متغير يجب فيه
فرحه وسروره وضحك الرب جل جلاله اظهار نعمه ورحمته ومعنى الخبر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اظهر فرحا وسرورا بما يظهر الله جل ذكره من نعمه وفضله ورحمته على
من كان من امته في اعتقاد صالح من دعائه ظهر منها فيه من النعم شكر الله جل وعز على ما هذا
خصه به لاشفاقه من امته ولا بعد من رحمتهم ولم اصحاب الكتاب ابوابا في شفاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم نكن ذكرنا ما يقتضي ذكر الكلام في التوحيد ومع ذلك
فلم يخرجه شيء مما يجب ان ينبئ عنه فيما فيه من طريق التوحيد فصل احد
ما ذكر الصنعاني في كتاب الاسماء والصفات ثم سألتم بعد ذلك عند انتهائنا الى هذا الموضع
من كتابنا ان نتكلم ايضا بجموع الشيخ ابي بكر احمد بن اسحق الصبغي رحمه الله وهو الكتاب
الذي سماه كتاب الاسماء والصفات فاملنا ذلك فوجدناه قد بوب ابوابه على
الاسماء والصفات وابتدا بذكر الامر بالايمان بالمتشابه وحمل بعد ذلك عن بعض
السلف ان ما ذكر من المتشابه في الكتاب فالسنة في باب الصفات واسماء الرب جل ذكره
فانه ذكر ما جاء بلا كيف وذكر عن ابن عيينة انه قال كل ما وصف الله به تعالى نفسه
في قرآنه تفسيره قراءته ليس لاحد ان يفسره الا الله عز وجل ذكره الجواب اعلم
انا قد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب ان ذلك ما كان لنا طريق الى معرفته من طريق اللغة وان
معنى ما ذكر من ذلك وان انكر ان يحال ان يراد به ذلك اذ كان مواقعا لما بني عليه
اصل الاوسيد لم يقتض وجها من وجوه التمثيل لله عز وجل بخلقه وبينا ان ما قاله
بعض السلف من ذكر الكف عن ذلك محمول على احد وجهين لسنا ان يكون اراد به ان من
ليس من اهل الاستنباط تاويلا والتطرق الى معرفة معناه او يكون ذلك عنده تعذر
الطريق الى معناه فاما نحن اذ ذلك يعرض وان من كف عنه تسلما للامر بعد ان لا يعتقد
فيه اعتقادا فاسدا يؤدي الى تشبيه الله عز وجل بخلقه لم يكن خارجا وذكرنا ان

شاهدا مما ذكر من هذا الباب ما جاء الكامون في تضاعيفهم مما يمكن تخريج معناه على
الوجه الصحيح من غير تشبيه ولا تمثيل وان لكل ذلك طريقا في اللغة يشهد بصحة
معناه فوجب ان يكون معنى تعالى وما يعلم تاويله الا الله وابتاسخون في العلم على
ما قلنا ان الراسخين في العلم يعلمونه وهو كذلك بصدور ذلك وبتقرير صحة وان معنى ما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انزل القرآن على خمسة اوجه حلال وحرام
ومحكم ومتشابه وامثال فاحلوا الحلال وحرموا الحرام واعملوا بالمحكم وامنوا بالمتشابه
واعتبروا بالامثال على ما قلنا انه انما جعل الراسخون في العلم موصوفين به وكذلك
معنى ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للامر بتاويله امير بتنزيله
يريد فاتبعوا امر بين عنه فاجتنبوه وامر اختلف فيه فكلوه الى الله تعالى
وذكر الحديث ومعناه ان ما اختلف فيه موكول الى الله عز وجل اي هو مردود الى
كتاب الله عز وجل والى ما بينه واحكمه واوضح وجهه وهو معنى قوله عز وجل فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول معناه الى كتاب الله ليقتبسوا الحق فيه وقد اشبعنا
هذا الكلام في اول الكتاب بما نغني عن اعادته وعرفناكم طريقنا في متشابه القرآن والسنة
وانا لا نقطع القول بان في ما لا يعلمه الا الله عز وجل يجوز ان يكون لاهل التطرق الى
اجزاء العلم طريق الى معرفة ذلك يتوصلون اليها بالفكر والاستنباط فصل
ثم لما مثلنا بعد ما ذكره فيه من الاخبار ما يدخل في النوع الذي وضعنا كتابنا لقاويله
وتخريجه وتسمين معناه وكل ما وجدنا في زيادة لفظ لم يدخل فيما تقدم ذكره مما يقتضي
تاويلا اضفناه الى ما تقدم وذكرناه وبينا وجه الحكمة في ذكره في باب العين من حديث
الرؤية ذكر الحديث من حديث شهر ابن حوشب عن اسماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جلس مجلسا فحدثهم عن الاعور الدجال وقال اعلموا ان الله عز وجل ليس
باعور وقد بينا فيما قبل هذا الجزء وذكرنا ان ما يخبر فيه ان الدجال اعور وان ربنا جل
وعز ليس باعور وان المراد به نفي النقص عن الله سبحانه لاثبات العيب فاما

هذه الزيادة التي ذكرها في هذا الخبر من قوله اعلموا ان الله سبحانه فوق ما تقدم ذكره ان المراد بنفي
العود فوق النقص الا اثبات الجارحة ومعنى وصف الله جل ذكره بانه سميع انباءه على غاية الكمال
في صفات المدح والتعظيم ومن كمال صفات المدح والتعظيم انباءه بصيرا وان له بصرا
هو صفة له بها [illegible] لاستحالة وصفه بالجوارح والآلات فصل
اخر ثم ذكر بعد ذلك زيادة لفظ في معنى الرؤية عن حاصم بن لقيط ابن لقيط بن عامر
خرج وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحبة فاتيا رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين انصرف من صلوة الصبح وذكر الحديث فقال فيه فتخرجون من مضاربكم
تنظرون اليه وينظر اليكم وقد بينا فيما قبل ان معنى ما نوصف به عز وجل من النظر
الى الشيء هو بمعنى نظر التعطف والرحمة وعليه يحمل قوله وينظر اليكم اي رحمكم وتعطف
عليكم في مصادر علم ما شاء في حديث مجمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد اشرف عليهم
من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة وذلك قول الله تعالى سلام قولا من رب
رحيم قال فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون
اليه وذكر الحديث فاعلم ان هذا النظر ايضا لا يمتنع ان يكون المراد به التعطف والرحمة
وان الله جل ذكره يتعطف عليهم في سرهم نفسه جل وعز وما روي عنه انه قال
ما نظر الله عز وجل الى الجنة قط الا قال طيبي لاهلك قال فازداد زطيبا الى ما كانت
سبعين ضعفا وهذا ايضا نظر تعطف ورحمة لانه اطابها ونعم وتخير بدليل ما
ولسنا ننكر النظر بمعنى الرؤية اذا كان مقرونا بال او كان معه ذكر الوجه مضافا اليه
بال وكل الذي ذكرناه في هذه الاخبار من لفظ النظر فالمعنى فيه نظر التعطف والرحمة
فاما معنى قوله اذ سطع لهم نور فيحتمل ان يكون اراد به ما يتجدد لهم من كرامات الله عز وجل
في ايديهم بالطاف واسعاد لهم بما يسند لهم من معارفهم وانوارها فعند ذلك يرفعون
رؤسهم على معنى ما قال رفع فلان رأسه اذا ارتفعت حالته عن الخساس اي ما تجدد لهم من
الكرامة يزداد ون رفعة فعند ذلك اشرف الرب جل وعز عليهم من فوقهم ومعنى
ذلك من فوق رجاءهم لانهم لم يطمعوا حينئذ في رؤيته فيرون الله جل ذكره ويجد
له لذة الرؤية من غير استشراف واستظهار ويؤيد هذا الذي اخرجه وهو ما قدمنا ان
مناداة الرب تبارك وتعالى اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان يجزكموه فيقولون الم
يبيض وجوهنا الم يدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيتجلى لهم الرب جل وعز عند ذلك فما نظروا
شيئا احب اليهم منه ولا اقر لاعينهم فهذا ان شاء الله جل وعز تكون رؤيتهم مبادهة من غير استشراف ولا موقع وهكذا نعيم اهل الجنة لا يصل الى ما هم فيه
من انتظاره واقصاها وانما هو عند رؤيتهم لله عز وجل فعلى هذا تتأول هذه الاخبار
لاستحالة المقابلة على الله بالاجسام والتحيز في الجهات فصل اخر ذكر بعد ذلك
اخبارا ذكر ما اضيف الى الله عز وجل من الوجه وقد مضى ما ورد ذلك على الوجه
الصحيح من مذهبنا غير انا نزيدك ايضا ها هنا ونقول ان وجه ما ذكر في القرآن
والسنة من السنين من ذكر الوجه المضاف الى الله عز وجل لا يخلو من معان الى احدها
ان يريد به الاخلاص كقوله صلى الله عليه وسلم بحار يوم الفتح بصحف مختومة فتنصب
بين يدي الله عز وجل فيقول تبارك وتعالى للملائكة التقوا هذا واقبلوا هذا فيقولون
الا لك وعزتك ما رأينا الا خيرا فيقول وهو اعلم ان هذا كان لغير وجهي والاقبل اليوم
من العمل الا ما ابتغي به وجهي ونحو ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من بنى مسجدا
يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة ونحو قوله صلى الله عليه وسلم ملت والذي نفسي بيده
ان كنت لحالفا عليهن لا ينتقص مال من صدقة فتصدقوا ولا يعفو عبد عن مظلمة
يبتغي بها وجه الله عز وجل الا رفعه الله بها يوم القيامة ما لم يفتح رجل على نفسه باب
مسألة الا فتح الله عليه باب فقر فهذا النحو من الاخبار معنى ذكر الوجه فيها الخلوص
لله في الطاعة والوجه الثاني ان يراد بذكر الوجه المضاف الى الله عز وجل صفته
على حسب ما تقول وذلك كقوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وكقوله
صلى الله عليه وسلم وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه وكقوله

صلى الله عليه وسلم انا في جبريل عليه السلام فقال لي يا محمد ان ربك يسالني ما اجزاء من
اذهبت كريمتيه في الدنيا فقلت لا اعلم الا ما علمتني قال اجزاؤه اكلك في داري والنظر
الى وجهي ومنها ما روي في تاويل قوله عز وجل للذين احسنوا الحسنى وزيادة عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه انه قال الزيادة النظر الى وجه ربهم عز وجل ولابن ابي عاصم عن ابي
موسى الاشعري وعزاه بعضهم ومنها ايضا ما روي عن علي رضي الله عنه انه كان يقول
في دبر صلاته بسطت يديك فاعطيت فلك الحمد ربنا وجهك اكرم الوجوه
ومنها ما روي فيما تقدم ذكره من الخبر في قوله لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل شيء
ادركه بصره فاما الوجه بمعنى الذات فلا يوجد في اللغة اصلا والوجه الذي هو بمعنى
الجارحة فلا يليق بالله عز وجل وقد بينا تاويل قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله
وان معناه فثم امر الله الذي له الوجه فعلى هذا فقس ما ورد من ذكر الوجه
في السنن والاخبار وفي الكتاب فصل ثم ذكر بعد ذلك ما روي من الاخبار في
ذكر العين وقد تقدم شرحه غير انه روى في خبر ابي لهيعة عن ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم قرانه
كان سميعا بصيرا فوضع اصبعه الدعاء على عينيه والهامة على اذنه وقد بينا تاويل
ذلك وانزالقايل فيما تقدم قول من ذهب من اهل البدع الى ان معنى ما وصف به عز وجل
انه سميع بصير انه عليم لاعلى اثبات سمع وبصر على الحقيقة لانهما عندهم العلم ولم يرد صلى الله عليه
وسلم بذلك اثبات الجارحة لانه وصف تعالى بالجوارح بل اراد به تحقيق معنى السمع
والبصر في وصفه على غير معنى العلم وبذلك على فقدان الجارحة بعبارة عن السمع والبصر
لانه لا يدرك بكونها وانما قصد النبي صلى الله عليه وسلم مدحه تعالى بذلك وهذا كما اشار الى القمر
ليلة البدر وقال ابصر هذا اعلم انه معلوم فقط ولم يرد تشبيهه تعالى بالبدر وانما اراد
تحقيق الرؤية على الوجه الذي جاء به تاويل العلم ومنها ما روي في خبر اخر قال كان ملك
من بني اسرائيل يذنب ثم يمشي على قذى الشوك فرشت له الشوك فجعل يمشي على صدور الحور
فبينما هو على صدر امراة منهن اذ رفعت راسها الى السماء فقالت اللهم ان هذا بعبدك

تعالى ذكره على تمرد يا ارضجديه قال فخسفت به الارض والناس ينظرون فهذا
مما ذكر فيه العين مضافا اليه تعالى وقد قلنا ان ذلك لا يمتنع وليس المراد به عين
جارحة كما قلنا في اليد والوجه وكما قلنا في ابهام الرحمن [illegible]
وبعض الاحاديث تاويل قال ابو موسى الاشعري قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ايها الناس انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا فنفى عنه الصمم
والنقص والعمى عنه واثبت السمع والبصر له لانه على حقيقة معنى ما يقتضيه
قالت عايشة رضي الله عنها تبارك الذي وسع سمعه كل شيء فانت لله سمعا ولم تثبت له
اذنا فدل على ان صفته التي توصف بها ما ينفي النقص من الصمم عنه وهو السمع لا
اجارحة [illegible] خبر ذكر بعضهم ان الذي ذكر اليد المضافة الى الله
عز وجل واتبع هذا الباب بما ورد فيه من ذكر الكف والقبضة واليمين وقد تقدم
شرح اكثر هذه الاخبار والآثار فنذكر لك جملة تقف على تخريج جميعها اعلم ان اليد
اللغة تشتمل على معان منها الجارحة والملك والنعمة وما اضيف الى الله عز وجل
من ذلك ما يمتنع معنى الجارحة فيه فمنها هو بمعنى الصفة فما اضيف الله تعالى لاستحالة وصفه
وصفه تعالى بالجوارح وهي وصفه بالصفات وقد تضاف اليه اليد على معنى الملك
والقوة والنعمة ايضا وانما يتبين معانيها بمواضعها المذكورة فيها وقوانينها المفترقة
بها فاما قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وقوله عليه السلام وطي
آدم يوم الجمعة بيده فهو بمعنى الصفة لا يليق به معنى النعمة والقوة والملك وكذلك
قوله كتب بيده على نفسه ان رحمتي تغلب غضبي فهذا النوع لا يليق به الا معنى الصفة
فاما ما يليق به معنى الملك والقدرة ما اضيف الى الله جل ذكره من اليد فكقوله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا سلم من صلاته لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير فهذا يحمل معنى القدرة والملك
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ملوا الارض خبرة واحدة سكنها الحمار وسلك

كما ينكفا احدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة واما الاول فيحتمل ان يكون اريد به النعمة
متاع به صلى الله عليه وسلم ان الذي تقدم ذكره فوضع يده بين كتفي فوجدت برد
انامله وفي رواية الى المنحر في ذلك ما وصل الى قلبي من نعيم الله والطافه وقد يكون اليد
ايضا مضافا اليه معنى المعرفة المعلومة وقد يرجع الى معنى النعمة كما روي عنه صلى الله
عليه وسلم قال يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال عليه السلام يد الله
مع القاضي حتى يقضي ويد الله مع القاسم حتى يقسم ويد الله مع الحاكم فاذا شذ اتساذ
منهم اختطفه الشيطان والذي هو بمعنى الملك ايضا كقوله لنتراوا الاخبار والمروية
والذي نفسي بيده لوددت اني اقتل في سبيل الله والذي نفسي بيده لوان فاطمة سرقت
لقطعتها والذي نفسي بيده لاتينة حوضي اكثر من عدد النجوم لم مسح احدهم يده بالاخرى
فقد تقدم بيانه وان اريد به ظهور فعل ظهر من بعض خلقه من الملائكة اضيف ذلك
اليه على معنى انه عن امره وكما يقولهم اقطع الامير اللصوص اذا قوتل صلى الله عليه وسلم
ما تصدق احد بصدقة من طيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كان تمرة فتربوا
في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل فان اليمين هاهنا بمعنى النعمة والفضل وذلك
متصل في القبول وتضعيف الثواب عليها والمراد بالكف التقدس ايضا كما قال
القايل تهول عليك فان الامور بكف الالهة مقاديرها فليس بآتيك منهيها ولا قاصر
عنك مأمورها ومثله ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه قال مطويات
في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة فهذا يرجع ايضا الى معنى القدرة والقبضة يرجع
الى الملك كقول القايل ما هذه الدار لاني قبضتي وليس يريد قبض الجارحة وكذلك
معنى مطويات فانيات متروكات طوى هذا الامر والحديث بمعنى انتهى اي اسكت عنه
واقطع قرأت النبي صلى الله عليه وسلم ملكنا من العاد في تفسير المشركين المنكرين لبعث
وانت تنكر ما لا ينكره الله ولكنك شبهت بمرمى الغلام بالكرة فحقيقة ما اراد

من معنى القدرة فاما ما روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يد الله
ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار منذ خلق السموات والارض فانه لم يرد به
لا ينقص مما في كف الله شيئا واليد الاخرى فيها الميزان يخفض فيه ويرفع فيحتمل ان يقال
ان اراد بقوله تعالى يد الله ملأى لا يغيضها نفقة نعمه واياديه وقوله
ما في كف الله اي ما في قدرته على ما تقدم تأويله وقوله واليد الاخرى فيها الميزان
يخفض ويرفع فانما اراد بذلك اشارة الى العدل والقضاء وان بسط نعمه ووصلها
لم ينقص مما في قبضته شيء بل يزيد الحق ملكا لهم فيهم خفض ورفع وبسط وقبض
وكذلك ما روي الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما التقت فئتان قط الا وكف
الله بينهما فاما اراد ان لعزم احد الطائفتين مال كفه عليها فهذا ايضا يرجع الى معنى
القدرة واظهار النصرة والخذلان وكذلك معنى ما روي عن ابن عباس انه قال ان الجنة
تجري على كف الرحمن اي انها تجري بقدرة وان الله عز وجل هو المسخر لها وهو معنى قوله
تعالى وهو الذي سخر لكم البحر فاما ما روي عن حكيم بن هشام ان رجلا قال يا رسول
الله اندرك الاعمال او قد قضي قال ان الله عز وجل اذا خلق ذرية آدم من ظهره استشهدهم
على نفسه ثم افاض في كفه قال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار فمعنى ذلك يرجع الى نوعي الفضل
والعدل في مقدوراته المقدرة وامور عباده وانه قد سبق حكمه لفريق بالفضل واخر
بالعدل وكذلك ما روي مرة ذكر الاصابع والانامل فيحمل على احد معنيين اما على النعمة
والفضل كما يقال لفلان على فلان اصبع حسنة والمراد بذلك ان حسن من طريق النعمة
او يراد به القدرة كما يقال ما فلان الا في قبضتي وتحت اصبعي فاما ما روي في الخبر ان
ابني مثلبكة اتيا النبي صلى الله عليه وسلم وقالا ان امنا كانت تكرم الزوج لذكر الجنة
وقال فيه صلى الله عليه وسلم فاقوم على يمين الرحمن مقاما لا يقومه احد غيري فالمراد بذلك
احد امرين احدهما ان يكون معناه فاقوم على يمين عرش الرحمن عز وجل
واراد عرشه كما قال تعالى واسأل القرية واراد اهلها واشباه ذلك مما لم يقام الاولية

وهم اصحاب اليمين والثاني ان يكون معناه ما يظهر له من نعم الله عز وجل وكرامانه وذلك
مان يقوم مقاما يظهر الله عز وجل من فضله ما يبين به عن سائر الانبياء والمقربين
وانما قلنا ذلك لان يمين الرحمن ويساره ليستا من صفات الاجسام المحدودة وكذلك معنى
ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان على يمين الرحمن مبارك وكراسي عليها
رجال الخ فكما ان قوله عليه السلام اذا كان يوم القيمة مد الله الارض مد الاديم حتى لا يكون
لبشر من الناس الا موضع قدميه فالكرسي اول من اذعى وجبريل عن يمين الرحمن ومعنى ذلك
على ما تقدم ذكره من الوجهين اما ان يراد به يمين عرش الرحمن او يراد به تقريب المنزلة وتحقيق
الرتبة والعظمة فاما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يجاء بهم يوم القيمة فيوقفون على شفير
جهنم فمن كان مطواعا لله تعالى امر الله تعالى بهم حتى ينجيهم ومعنى ذلك ما يلحقه من رحمة
الله وكرمه وعفوه وقد ذكرنا فيما تقدم استعمال العرب اليمين في معنى العفو والفضل
فاما ما روي ابو امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق آدم خلق القبضة
القبضة وعرشه على الماء فاصحاب اليمين بيمينه واهل الشمال بشماله وذلك ما روى ابو
موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يوم خلق آدم قبض
قبضة فقال هؤلاء اهل اليمين بيمينه وهؤلاء اهل الشمال بشماله وذلك ما روى ابو
الدرداء الخبر مطعون في اسنادها اما حديث ابي موسى فان سنده الوقاشي فيه نظر
وحديث ابي امامة لجعفر بن الزبرقان فيه نظر على انه ان ثبت يحمل ذلك على معنى ما قلنا
فيما قبل بانهم هم الذين خلقوا في جانب آدم خلق المؤمنين في يمينه وللكافرين في يساره
فاليمين والشمال لآدم عليه السلام وقد يرجع الى الخلق فمن فيهما من الخلق وانما قلنا ذلك
لما روينا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق موثوق به وكلتا يدي الرحمن يمين وقد
بينا فيما قبل ان فايدة ذلك التنبيه على نفي الجوارح عن الله سبحانه لان اليمين الذي بمعنى الجارحة
ولا بد ان يكون ما يقابلها يسارا فقال صلى الله عليه وسلم وكلتا يديه يمين ليشير الى نفي الشمال
والجارحة ولم يثبت لفظ في خبر من طريق صحيح يذكر الشمال مضافا اليه عز وجل فوجب على ما

ذكرنا ان جميع ما ورد في هذه الاخبار من لفظ اليد والكف واليمين والاصبع والقبضة
والانامل من غير ان يخرج عن جملة معانيها ذكرنا فتخرج الطرق الضلال والضلالات عن شبهة
ان شاء الله وقد ختم ذلك بعد ما ذكر فيه ذكر الساق والرجل والقدم والرجل
اليمنى والاخرى وذكر الساق حديث الرؤية وما روي فيه هل تمارون في رؤيته
تعرفونه فيقال الساق فيكشف عن ساق فيسجد له كل مؤمن الحديث واعلم
هذا اكبر ما تقدم البيان تاويلا واوضحنا انه لا يجوز ان يقال ان له ساقا او يكيف
عن ساقه من قبل ان الالفاظ المروية في الاخبار وما ورد في القرآن من ذكره في قوله
يوم يكشف عن ساق فانما ورد مطلقا غير مضاف ولا مفسر وقد روي عن ابن عباس
تاويل ذلك وان معناه يوم يكشف عن شدة وان ذلك كلام العرب لانهم يقولون
قامت الحرب بنا على ساق وابي على ذلك وروى ابو موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله يوم يكشف عن ساق قال عن امر عظيم وورد لفظ الساق مطلقا في
غير مضاف الى الله عز وجل فيحتمل ان يكون المعنى في ذلك ما يتحدد لهم عند رؤية الله
سبحانه من الفوائد والكاشفات من الالطاف التي تظهر لهم فاما ما روي من الاخبار
في الرجل فمن ذلك ما روي عكرمة عن ابن عباس قال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
امية بن ابي الصلت في بيت من شعر فقال رجل وتوضع تحت رجل يمينه والسر الاخرى
وليث مرصد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وروى ابو هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحاجت الجنة والنار وذكر الحديث وقال في النار فاما النار فلا
يلقون فيها فتقول هل من مزيد فلا تمتلئ حتى يضع فيها رجله وروينا حديث عمان بن
عامر عن ام الطفيل امراة ابي بن كعب انها قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم فذكر انه
راى ربه في المنام وذكر الحديث وذكر فيه الرجل واعلم انا قد ذكرنا هذا الخبر فيما قبل
وبينا تاويله وذكرنا انه يحتمل ان يكون المعنى فيه ما يضعه الله عز وجل في النار من
الكافرين وهم الخلق الكثير فتمتلئ جهنم بهم وانه سمى ذلك رجلا على عادة العرب في تكنيه

وبعد ان بعث ايوب وبعد ان بعث يوسف عليهم السلام واورد في ذكر مكثر واعلم
انه كما تنكر قول من قال ان الله لم يتكلم الا مرة واحدة كذلك تنكر قول من قال ان الله يتكلم
مرة بعد اخرى لان كل ذلك يوجب حدث الكلام فانه قيل اليه قد روى في الخبر
ان الله عز وجل ناجى موسى عليه السلام ثمانية الف كلمة وارسل الف كلمة وصايا
كلها قيل ان ذلك يرجع الى تكثير الاسماع والافهام لا الى معنى الكلام الذي لم يزل قائما
بذات الله الذي هو من صفات ذاته غير بائن منه فكلام واحد يفهم منه ويسمع ما
يسمى ولا يعد من الفوائد والمعاني ونظير ذلك ما نقول ان علم واحد ولكنه يحيط
بمعلومات لا تتناهى فالذي يقع عليه الكثرة والقلة [illegible] دون العلم وبيانه هو
معنى قولنا ما ذكر من هذا الخبر على كثرتها من [illegible] عز وجل بقدرة الله
وليس المراد بتكثير القول تجديد [illegible]
الى جبل لموسى [illegible] عز وجل يتكلم ويكلم [illegible] بقيه القبه وما قال
عز وجل يوم يجمع [illegible] رسل فيقول لهم ما اجبتم ويوم يقول لطيفة فضل امتلا [illegible] وما قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا ترى من حاتم ما منكم من احد الا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه
ترجمان فقيل هذا راجع الى التكليم والافهام لا الى تجديد الكلام وسئل محمد بن شجاع
الاسماع من سمع والتعليم من علم والقدرة من قدر وبه قال ابو حنيفة رحمه الله عنه نصر وروى
يكون لصوته نفسه والمراد بذلك انه يفهم خطاب يوم القيمة من غير ترجمان فاذا جاء يوم
القيمة افهمهم كلهم واسمعهم خطابه من غير واسطة لانا قد افترض في الدنيا ان نؤمن
بالرسل والكتب فصل اخر ثم ذكر في ترجمة باب اوهم فيه ما ليس من مذهب
وهذا انه قال في تضاعيف هذه الابواب التي ذكرناها في هذا النوع باب ذكر
الآي المتلو والستر المانوه في ان الرب تعالى لا يزال متكلما الى ابد الآبدين قال
الله عز وجل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وقال تعالى قوله الحق ثم ذكر باسناده حديث سعيد
ابن المسيب انه لقي ابا هريرة فقال ابو هريرة اسمع الانسان يجمع بيني وبينك في سوق
الجنة قال سعيد وفيها سوق قال نعم وذكر الحديث وقال فيه قال ابو هريرة اخبرني

للجماعة رجلا انهم يقولون للجواد الكثير رجل ويقولون حانت رجل من الجراد يعنون
بذلك جمعا كثيرا ويجتمل ان يكون الله عز وجل اراد بالرجل ههنا الخلق الكثير فاضافها اليه
على جهة الملك والعلو كما قال في بيت لبيد ان الصلت فيتحمل ان يقال انه اراد
بجنود الشياطين والهدهد [illegible] الملائكة التي تحمل العرش فمنهم من هو قائم عن يمين العرش
ومنهم من هو قائم على سماء سماء ومن ذكر الرجل في رؤيا النوم فقد مضى بيانه
وانه انما يعبر به عن الشيء مرتبا على القيام على خلاف ما هو به وقد بينا لذلك وجها اخر
قريبا والله اعلم [illegible] على ذلك لصح رأى الله تعالى فهو على معنى انه راه عند رؤيته
اياه وذلك على احد معنيين احدهما ان يكون معناه انه لم يلحقه بالنظر عن كلا الله جل وعز
ورؤيته له بالقلب والثاني ان يكون معناه انه راى ربه فيها معتبرا بها لان
الصفات الالهية [illegible] عز وجل فصل اخر ثم ذكر بعد ذلك سننا واخبارا كثيرة
يريد بذكرها نصرة القول بان كلام الله عز وجل لم يزل ولا يزال وينكر قول من حكاه عنه
او يتوهم عليه انه يقول ان الله لم يتكلم الا مرة واحدة ثم لم يتكلم بعد ذلك اكذاب
وليس فيما ذكر ما ينكر عز انه او لم يروه بل هذه الاخبار التي ذكرها ان الله عز وجل
يتكلم كلاما بعد كلام ويقول قولا بعد قول وان لم ينص عليه بصريح هذه العبارة
والاولى في ذلك ان يقال ان كلام الله لم يزل موجودا ولا يزال موجودا وانه قبل خلق
معاني الكلام اولا فاولا وشيئا فشيئا وان الذي يجدده الاسماع والافهام دون المسموع
والمفهوم وفي ذكر هذا القدر ما يغني عن تردد الاخبار فيه وايهام الخطاب بانه
تكلم في وقت كذا وتكلم في وقت كذا لان كلامه لا يحصل الا وقات والازمان كما ان
علمه وسمعه وقدرته لا يصح ان يقال فيه شيء من ذلك وانما يتجدد المعلوم والمقدور
يحدوثه شيئا بعد شيء ودون العلم والقدرة عليه والذي ذكره من الاخبار نحو ما
روى ان الله عز وجل تكلم بعد ما خلق آدم وتكلم يوم اخذ الميثاق وتكلم لما ان خلق
ذرية آدم وتكلم لما خلق العقل وتكلم لما خلق الجبال وتكلم بعد ان بعث ابراهيم عليه السلام

اخبرني النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل اعمالهم فيؤذن لهم
في مقدار يوم الجمعة من ايام الدنيا فيزورون الله جل وعز ذكره حيث شاء قال ثم
قال ابو هريرة قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا قال نعم هل تتمارون في رؤية الشمس
والقمر ليلة البدر قلنا لا قال فكذلك لا تتمارون في رؤيته ولا يبقى في ذلك المجلس احد
الا حاضره محاضرة حتى انه ليقول للرجل يا فلان اتذكر يوم عملت كذا وكذا ويذكره
ببعض غدراته في الدنيا فيقول يا رب الم تغفر لي فيقول بلى فبسعة مغفرتي بلغت
منزلتك هذه الجواب واعلم ان الاتفاق ان الله عز وجل لا يزال يتكلم الى ابد
الابد يوم بعد يوم وانه تجدد له كلام بعد كلام وما يتجدد هو حادث وكما لا يجوز
ان يقال ان الله تعالى لا يزال يعلم الى ابد الابد لا يوم بعد يوم فكذلك القول في الكلام
والصحيح ان يقال ان كلام الله تعالى لم يزل ولا يزال وانه يسمع من شاء من خلقه ويفهم
من اراد افهامه منهم في الوقت الذي يريد ان يسمعه ويفهمه ما يريد من غير ان
يتجدد قول وكلام واداة قبل في الفاظ هذه الاخبار فقول الله وسمعت الله
فليس المراد به تجدد القول والكلام وانما المراد به تجدد الاسماع والافهام للقول
الذي لم يزل فعلى ذلك فورد كل ما ورد من الاخبار التي ذكرها من هذه الالفاظ التي
تقتضي ما توهم حدوث قول الله تعالى وتجلا شيء منه بعد شيء ويجب ان يعلم ان كل
مرتب على ما قلت لا على الوجه الذي يقتضي حدوث كلام الله وتجدد كلام له بعد
كلام فعلى ذلك فتبصر ان شاء الله فصل آخر ثم ذكر ما ترجم باب ذكر كيفية تكلم
الله عز وجل بالوحي وذكر حديث عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السموات للسموات صلصلة كصلصلة السلسلة على
الصفوان فيفزعون ويرون انه امر الساعة ثم قال حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا
ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير الجواب واعلم انا قد بينا من قبل
معنى هذا الخبر وان الصلصلة للسموات وعلى مضاهاتها ايضا الى الكبر تضاف ومعنى
ذلك ما يخلق من العبادات عن كلامه وان يكون لصوتا مختلفة في غير هي اصوات

لغير ولو قال في صفة الرجل الذي يتكلم الله ما لو صح له
الكلام والتكلم اصلا والتكليم فرعا من الموصوف للكلام حتى
يصح الكلام اذا اتصف بها الكلام حتى يصح
لتكلم الله كما يصح ولان ما ذكروه من الاشياء ما هو بيان للتكلم لا اثبات
التكلم وحديث ابي هريرة ايضا ان ابا [illegible] صلى الله عليه وسلم قال
اذا قضى الله تعالى [illegible] السماء ضربت الملائكة [illegible] قوله
كانه سلسلة على صفوان فيفزع من ذلك اهل السموات اضعاف الملائكة وان
ذلك عند قضاء امر ويحدث فعلا وليس ذلك رجع الحدوث الكلام وكذلك
ما ذكر بعد كيفية نزول الوحي على النبي عليه السلام وما ذكر في حديث ابن
عباس ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف
يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو
اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما
يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان
جبينه ليتفصد عرقا فهذا واعلم ان ذلك مما يدلك على ما قلت من حدوث العبارات
فانه ليسمعها من الملك فيسمع عند ذلك كلام الله عز وجل وقد يجدد له فهم
ابتداء بما يريد الله جل ثناؤه من معاني مخاطباته بالامر والنهي وكل ما يوحي الله
العبارات والكتابات فكلام الله والمكتوب المعبر هو كلام الله جل ثناؤه
وليس نزول الوحي عليه على معنى انتقال شيء من مكان الى مكان ولكنه تجدد فهم وسمع
للرسول عليه السلام لما يسمعه ويفهمه من كلام الله عز وجل قال عند حدوث عبارات
من اصوات وغيرها وقد عند حدوث فهم وعلم اقتداء وقد يسمى كلام الله وحيا
كما تسمى العبارة عنه وحيا وهذا كما يسمى الكلام وتلاوته قرآنا واحدهما تلاو والاخر
وقد تقدم تفصيل ذلك فصل آخر ثم ذكر بعد ذلك باب الكلام في الصوت

الله تعالى الى اخره ذكرنا في الكتاب وروينا بعد ذلك اخبارا فقد ذكرنا
[illegible] التي ذكرها في حديث العباس بن عبد
المطلب [illegible] يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible] التصيات قال فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والنطاح ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوقكم
[illegible] سبعون سنة والسماء الثانية
[illegible] ثم فوق السماء السابعة بحر بين اعلاه واسفله كما بين
السماء الى السماء ثم فوق ذلك ثمانية اوعال ما بين اظلافهن وركبهن كما بين سماء الى
سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين اسفله واعلاه ما بين سماء الى سماء والله تعالى فوق
ذلك وذكر ايضا بعد حديث جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه عن
جده قال اتى اعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله جهدت الانفس وضاع
العيال وهلكت الانعام فاستسق لنا فانا نستشفع بك على الله تعالى
ونستشفع بالله عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك اتدري
ما تقول وسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه
ثم قال ويحك انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه سبحان الله اعظم ويحك اتدري ما
الله ان عرشه على سمواته وارضه هكذا وقال باصابعه مثل القبة عليه وانه ليئط اطيط
الرحل الجواب واعلم ان حديث العباس ليس فيه ما يجب ان يعتقد معناه سوى
قوله تعالى فوق كذا وقد ذكرنا فيما قبل معنى وصف الله سبحانه بانه فوق خلقه
وان ذلك راجع الى فوقية المنزلة والمرتبة وفوقية القهر والقدرة والعلو فاما الفوقية
بالمسافة والمكان فمحال في وصف تعالى وفي الخبر تعريف انه عز وجل ليس لا يدخل
بين طبقتين ولا من هو في مكان كما ذهب اليه الحالقون واذا استقر بنا هذا الخبر

تكذب ما بين الفرقتين في دعواها [illegible]
انه في كل مكان رجع تأويل الخبر الى [illegible]
من خلقه وانه بائن مما خلق بينونة [illegible]
فاما حديث جبير بن مطعم فليس فيه ما يقتضي [illegible]
الرجل بالراكب وذلك يرجع الى [illegible]
مما سمى الراكب لرجحانه بفارقه اذ انه ليس [illegible]
اذا ركب ويختال ايضا تاويلا اخر وهو [illegible]
بالتمجيد حول العرش في ضعف الاطيط [illegible]
هذا شايع في اللغة كما قال القائل [illegible]
وانا اذا دارسته اهل المجلس [illegible]
وكذلك يستواهن بوقلين نطاقهم الطرق والمراد بالنطاق الطريق ثم ذكر
في هذا الباب حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وفي بعضها
قبل تاويل قولنا ان رحمتي سبقت غضبي فاما وهو عنده فوق العرش فالحفظ
عند يستعمل على الوجه ومعان فمنها ان يقال عند الله على معنى انه في علم الله وقال
عند الله على معنى انه في حكم الله ويقال عند الله على معنى الفخر والكرامة والقدرة والمنزلة
على قراءة من قرأ وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن اناثا والمراد وصفهم بالقرب والكرامة
ويحتمل ان يكون قد اتى الخبر موصوفا على القدس على معنى المقاسمة ويكون عند الله على
معنى احاطة علمه فيه بحيث لا يخفى عليه منه شيء فصل آخر ثم ذكر ما روي من
الاخبار في الكرسي فذكر حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تفكروا في كل شيء
ولا تفكروا في ذات الله تعالى فان ما بين السماء السابعة الى الكرسي سبعة الاف حجاب
من نور وهو فوق ذلك وذكر حديث ابن عباس ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم

[illegible] فيتجلى الله عز وجل للعرش فاخذ
[illegible] صلى الله عليه وسلم انه قال لما قدم جعفر ارض
[illegible] ثم بلغت قال بايته امرأة على باسها
[illegible] فقعدت تجمع طعامها ثم اقبلت اليه
[illegible] للمظلوم من الظالم فقال رسول الله
[illegible] امة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها
[illegible] عن ابن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس
[illegible] فقال فيه فاتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فاقوم
الثاني فيقال من انت فاقول محمد فيفتح لي فارى ربي وهو على كرسيه او سريره فاخر
له ساجدا وذكر الحديث وذكر حديث ابي ذر انه قال قلت يا رسول الله اي ما انزل
عليك اعظم قال اية الكرسي ثم قال يا ابا ذر ما السموات السبع مع الكرسي الا كحلقة ملقاة
في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة اخرجه واعلم ان جميع ما وصف
به الكرسي من عظم الجثة وطول المساحة فلا ينكر بمعذور الله عز وجل ما هو اعظم
من ذلك اضعافا مضاعفة فاما معنى ما قاله ابن عباس وهو فوق هذا كله وقد بينا ان ذلك ليس من
تقدم في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وقوله وهو فوق هذا كله وقد بينا ان ذلك ليس من
طريق المشاهدة ولا المساواة فاما ما روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة
من قوله فيتجلى الله على كرسيه فاخر على وجهي ساجدا فيحتمل احد امرين احدهما ان يخيل
له بتصديقه فما وعد واظهاره له من اكرامه اكثر مما توهمه ورجاه وقد يقول
القائل تجلى فلان لفلان والمراد به ذلك ما يظهر له من فعله وتدبيره واثاره
ويحتمل ايضا ان يكون اراد به الرب قال النبي صلى الله عليه وسلم ربي الله تبارك وتعالى
عند رحل الخبر فاما قوله على كرسيه فهو كقوله الرحمن على العرش استوى وقد
بينا معنى على فيما قبل وانه ينقسم على وجوه احدها علو الرفعة والقدر والمنزلة والثناء

كقوله وانك لعلى خلق عظيم وكقولك على زيد مال وليس [illegible] ذلك على [illegible]
معنى على مختصا بعلو المكان فقد بان [illegible]
ولو قال قائل ان معناه ان النبي صلى الله [illegible]
دلك الله عز وجل من طريق الملك [illegible]
اهل الخير وهي الشر وفاما ما روى [illegible]
الملك كرسيه فيأخذ للمظلوم من الظالم [illegible]
انه ينتقم يوم القيامة من الظالم للمظلوم ويشفي [illegible] بعبده المؤمن الضعيف
ويصح وساده ويمد ملكه ظاهرا على ملكه وقد [illegible] ضعاف وليس هذا
مما يكذب وانما حديث انس فقد بينا وبينا عن قريب ان قائل هذا في قائل ذلك وهو على كرسيه او
اخذ معنى التجلي انه تصريح وقد بيناه وجهه فيما قبل وليس [illegible] عندنا رؤية الله هل كل
[illegible] اخبر ذكر بعد [illegible] من الانارة ذكر الحجاب وذكر حديث [illegible]
عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حجابه من نور او نار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه
من ذلك الخلق الا رقعت نفسه وذكر حديث غالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله ذكر حجابه وذكر ساقه كذلك والحجاب السبعين رجلا قد جاوز السبع الارضين
وذكر حديث عبد الرحمن بن سمن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت البارحة عجبا رأيت
من امتي رجلا جاثيا على ركبتيه بيني وبين الرب حجاب فجاء حسن خلقه فاخذ بيده فادخله
على الله عز وجل وذكر حديث صهيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وذكر الحديث وقال فيه فيكشف لهم عن الحجاب فينظرون الى ربهم وذكر
حديث عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر وصية نوح
ابنه فقال انها لك عن الكبر والشرك فان الله تعالى يحب عنهما وذكر حديث مجاهد عن
ابن عمر قال احتجب الله تعالى عن خلقه بار بع بناء وظله ونور وظله وحديث تحلم ان ربنا
انه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول والذي نفسي بيده ان حوض الله يوم القيامة ليمر

حجابا الخ فيه حجابا من خلقه وذكر ابن فورك فيه ايضا وهو قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا
وحيا او من وراء حجاب وذكر حديث ابي عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال ان موسى عليه السلام
[illegible] وذكر الحديث قال فيه سترانت قال انا موسى قال فتى بن اشر ابك
[illegible] لم يحجبك فيه حجاب وفيه سؤالان من خلقه الحجاب
عن نفسه اعلم انا ذكرنا [illegible] عليه هذا الباب ما ينبغي على الكلام فيه ان تعلم ان
الله تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض وانه لا يصح ان يكون محجوبا على معنى ان يكون مستورا
بالسوائر ومحصورا [illegible] لاجسام السائرة الحائلة بينه وبين
غيره ولقد دلت الادلة على التوحيد وفي التقديس ومن اثبت لله عز وجل
جسما او جوهرا او عرضا فقد اثبت مستورا محجوبا ما يحجب المغطى والساتر المانع فقد
احال في حقه ونقض التوحيد واوجب تشبيهه بخلقه والوجه الثاني من
ذكر الحجاب في وصف الله تعالى ان يرجع به الى ان يكون الحجاب وغيره والمحجوب غيره به وقد
انما يكون بالاعراض المانعة من رؤيته والموانع الحاجبة عن العلم به وقد لا تليق الا
بان يكون فعلا حادثا في المخلوقين وان يكونوا هم المحجوبين عنه واما ان يكونوا به ممنوعين
عن العلم به او عن رؤيته فهم وقد قال ايضا للمعاني التي تحدث عند المنع فيحجب بحجب
وان لم تكن تلك الاشياء حساعلى الكشف كما قال ان الحائط حجاب بيني وبين ما وراءه
والمراد بذلك انه مانع من رؤيته على معنى ان المنع حصل عنده والحجب حصل معه لا انه
هو المنع وهذا كما تقول في القيود والثقيلة انها منع من المشي للمقيد بها على معنى ان المنع
يحدث عند التقييد بها للمقيد من المشي واذا كان كذلك فجميع ما ذكر من الفاظ الحجاب
في هذه الآية والستر محمول على ما ذكرناه ومرتب على ما قلناه فمن قال في احد الوجهين
ويصح الآخر وهذه جملة تكفي في الجواب عن سائر هذه الاخبار ثم نقول ان معنى قوله
صلى الله عليه وسلم دون الله سبعون الف حجاب من نور وانما يرجع الى ان جميع ذلك
المحجوبين من خلقه لها لا الى الله جل ذكره وانه محجب لهم لا له ولم يذكر في الخبر ان تلك

لله بل يجب فيه اكثر من ذلك واذا لم يصح ان يكون الله [illegible]
ان يكون ممنوعا ولا مستورا ولا محجوبا لانه [illegible] الى [illegible]
المخلوقين فاما حديث عبد الرحمن [illegible] عن النبي صلى الله عليه [illegible]
امتي [illegible] على كتفيه [illegible]
وجه الرب اي انه كان ممنوعا [illegible]
بذلك فاخذ الله تعالى [illegible]
نظر الله وخالف ولذلك قوله [illegible]
وهذا قول كقول المخالف انفسنا [illegible]
فاما قوله في رواية [illegible] فيشك [illegible] راجع الى
دفع المانع عن الرؤية من الممنوعين عن رؤيته [illegible] فاما ما ذكره [illegible]
انه قال انما كان الكبرياء الستر فان الله يحتجب عنها فان كنت تريد بذلك انه قد
يكون حجابا واحتجابا لا على معنى التعظيم والتستر لان احتجاب الله عز وجل عن الكبر
والشرك ليس احتجابا عن سائر وستر وحجب مانع بل هو منع المتكبر
والمشرك ما عنده من الرحمة للمؤمنين وصرف النفع عنهم فسمي ذلك احتجابا عنهم فاما
قول عبد الله بن عمرو بن العاص والذي نفسي بيده ان دون الله سبعين
حجابا فقد بينا ما عندنا من الرحمة للمؤمنين وصرف النفع عنهم فسمي ذلك احتجابا عنهم
فقد بينا انها حجاب للخلق لا لله تعالى ولم يذكر ايضا انها حجاب لله عز وجل وقد
ذكرنا وجه تسميته اياها حجابا وجابا وان ذلك يرجع الى معنى تسميته
بما حدث عنده وقد بان ان المنع للرأي يحصل عنده فسمي حجابا والحجاب هو المنع الا
ترى ايضا ورد به المحجوب على معنى انه يمنع الرؤية فعلى هذا ترتب جميع ما ذكرناه في لفظ
الحجاب فاما الآية فقد تقدم تأويلها فيما قبل فاغنى عن اعادته فصل آخر
فيما يرد من الاخبار التي ذكرها في التجلي وروايته عن ابي موسى قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تجلى ربنا ضاحكا يوم القيمة ورؤيته ثابت عن انس ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل قال ما بدا منه قدر هذه
[illegible] ربه للجبل قال ما تجلى منه الا قدر راس الخنصر
[illegible] اعلم ان معنى التجلي هو الظهور ويقال تجلى لي الراي اذا
[illegible] تجلى الرب سبحانه لمعناه يتوجه
[illegible] ما ظهر هذا الدال عليه على معنى انه يظهر العلامات التي يها
[illegible] ما يخلق من الرويه فهم اي يخلق الله رويه هو
القمه [illegible] ما يكون من التجلي لان المعرفة بالشي
[illegible] التجلي الذي فاتنا
معنى الفعل [illegible] النعم وان الله عز وجل يظهر النعم يوم القمه
[illegible] وكثير [illegible] يوم القمه بعفوه وايادية واحسانه فضلا واعظم
ما تفضل به على اهل الجنة ما يخلق لهم من رويتهم له فاما معنى قوله فلما تجلى ربه للجبل فقد
[illegible] انه جعل الجبل حيا عالما واما حتى راه فذلك بتجليه
له وليس ان يتجلى باظهار الفعل والتدبير فاما معنى قوله مدا من قدر
هذا فانما اراد به الاشارة الى الشي اليسير من اياته يريد انما اظهر الله تعالى في الجبل
من الايه كان قدرا يسيرا في جنب ما يقدر عليه والاضافة الى ما يبديه من علاماته
ويظهره من اياته يوم القمه وعلى ذلك يتاول قول ابن عباس ما تجلى منه الا قدر
الخنصر وذلك انه مثل يضربه عند تقليل الشي وقد جرت العادة في لغة العرب والعجم
على هذا النحو وانما قلنا ذلك لاستحالة ان يوصف الله عز وجل بالتبعض والتجزية فصل
آخر مما ذكر فيه النزول والمجي مع الفاظ زايدة على ما تقدم ذكرها وبيانها وما ذكر
في بعض الاخبار من ذكر العلو والصعود مما لم يتقدم ذكر ولا بيان له وما فمن ذكر ما
روي عكرمة عن ابن عباس في قوله عز وجل هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغما
قال ينزل الجبار يوم القمه في سحاب قد قطع بهم الطاقات وروى شهر بن حوشب
عن ابن عباس قال اذا كان يوم القمه مدت الارض مد الاديم وذكر الحديث وقال فيه

فاهل السما السابعة اكثر من اهل السموات الست واهل الارض اضعاف فيجي الله تبارك
فيهم والامم جثاة صفوف وعن ابن عمر وابي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يهبط الى السما الدنيا فيقول اهل السما اهبط ان
سما الدنيا فيقال من هذا فيقول هذا ربنا فيقول من هذا فيقول هذا ربنا فيقول من هذا
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مضى شطر الليل او ثلثاه نزل الله تعالى الى
السما الدنيا فيباهي باهل الارض وعن ابن عباس انه قال يوم الحج يوم عرفة وهو يوم
الذي يباهي فيه ملايكته بعباده يقول انظروا الى عبادي اتوني شعثا غبرا ضاحين
وعن ابن عباس انه قال هذا الايه ويوم يهبط الله في السما الدنيا فتنزل الملايكة تنزيلا قال
ينزل اهل السما الدنيا وهم اكثر من اهل الارض من الجن والانس فيقول اهل الارض اقتكم
ربنا فيقولون لا وسبحانه وذلك الحديث وقال فيه
فمن استقل منهم من اهل السموات والارض فيقولون اقيم رب
ثم ياتي الرب تعالى والكروبيون وهم اكثر من اهل السموات السبع ومن ارضين
عباد بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا تعالى كل ليلة الى السما
الدنيا وذكر الحديث وقال فيه فيقول كذبتم كذبتم حتى يصبح الصبح ثم يعلو ربنا الى كرسيه وعن
عبد الله بن مسعود قال جاء رجل من بني سليم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن راه الا
بكى فقال له عمرو بن عنبسة فقال رسول الله علمني مما انت به عالم وانا به جاهل الى
صلوة المكتوبة عنز افضل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مضى نصف الليل او
ثلث الليل فان الله عز وجل ينزل فيها الى سما الدنيا فيقول هل من مستغفر فاغفر له
الا زال حتى ينفجر الصبح فاذا انفجر الصبح صعد الرحمن الى الملا الاعلى وذكر الحديث
عن ذلك وبيانا وتاويله اعلم انا قد بينا فيما قبل من هذا الجزو ان النزول ينقسم معناه
الى اقسام وليس يختص النزول بالنقلة والحركة فقط بل معانيه في غير الحركة اكثر منه في القال
نزل فلان من اعالي الامور ومكارمها الى استفتاحها وفي القال نزل فلان عن دابته وانزل

فلان فلانا عن درجته ورتبته وقال الله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين
وقال انا انزلناه قليلا الا ترى وصف القرآن واخبر عن المشركين انهم قالوا استنزله
مثل ما انزل الله وتقاولوا انزل فلان خبرا وخصب وارتفع عنهم جدب وقحط وليس
واحد شيء من ذلك معنى الانتقال من التحرك من مكان الى مكان ومع ذلك فمعنى النزول فيه صحيح
على الوجه الذي يليق به كذلك معنى ما وصف به من النزول وان لم يكن بمعنى النقلة فسبيله
سبيله ونزولا انه يحتمل ان يقال ان معناه انه يظهر رحمته لهم واجابته لدعائهم وانه
من اجله ان يجيب ويرحم لان ما اجابه منه فضل وتركها منه عدل فاذا اجابهم فقد
نزل عما ان يفعل بهم من ترك الاجابة الى ان يفعل لهم ما يكون من فعله متفضلا ومحتمل
ايضا ان يكون معناه نورث ملائكته نابوه فيضاف اليه النزول على معنى ما وقع نابوس كما
يقال نزل الامير على كذا اذا نزل اصحابه بالس ونفذ فيه حكمه وشد طانه ولما كان ذلك
ذلك مما يحتمل اللفظ ويصح معناه فهو وكان حمله على بعضها اولى من حمله على ما لا يليق به كان اولى مما قالوه فاما اللفظ الاخر الذي دل في الخبر وهو قوله فيجيء الله
تبارك وتعالى فيهم فاتاهم الله على غير ما يعرفون ثم يقول انا ربكم وانتم عبادي
وقد بينا فيما تقدم ان ذلك يدور على وجهين احدهما ان يكون المراد به اظهار فعل سماه
مجيئا والثاني ان يكون معناه مجيء الملائكة باس الله وحكمه فيكون تقدير جاء ربك
والملك صفا صفا فيكون معنى قوله في الخبر فيجيء فيهم اي بجيء بهم وهذا على نحو ما روي عن ابن
عباس في تاويل قوله تعالى بانيهم الله في ظلل من الغمام ان معناه بظلل من الغمام
وما ذكرناه في تاويل النزول والمجيء هو تاويل الهبوط وان ذلك ايضا ليس بمعنى التحول
من مكان الى مكان فاما ما روي عن ابن عباس انه قال ان الله الابرار هو عرفه وان الله
يوم المباهاة وان الله تعالى يقول للملائكة انظروا الى عبادي فليس فيه ما ينكر
ومعنى المباهاة تعريف الملائكة ما تفضل به على بني آدم من الموافقين لمعرفته من توفيقه

ايام لطاعته واختيارهم المشاق فيها فاما ما ذكره في الخبر الاخر من قوله [illegible]
كمعنى قوله يجيء ويجيء ويتنزل وباتيهم الله في ظلل من الغمام وليس معنى شيء من ذلك
الحد الذي لا يليق بالله تعالى من الحركة والنقلة والتردد في المكان الى غير ذلك
معنى ظهور فعل وتدبيره او على معنى ان ظهور [illegible]
بالفظ الذي يكون من قبله على معنى انه امر وحكم وعلى نحو [illegible]
من العلو والصعود وانه لا يخلوا المراد فيه من احد امرين اما ان يراد بالذين
الذين نزلوا ما بين الحيث يريد [illegible]
يقولون ضرب الامير اللص وانما المراد به [illegible]
ظهور فعل بعد فعل فاما كان فعلا فضلا يسمى نزولا لان عدلا سمي صعودا
ما يرجع الى المفعول فيه وال صفة الفاعل فاما ان يفعل فان يفعل
اخبرنا ذكر الشرط الذي ذكرناه في الاخبار التي ذكرناها الضحاك بن مخلد ابو عاصم قال
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان آخر اهل النار خروجا من النار واخر اهل الجنة
دخولا الجنة رجل فيقال له ادخل الجنة فياتيها فيرى انها قد ملئت فيرجع فيقول يا رب
قد امتلات فيقال ارجع فملات سرات بن يقال له لك مثل الدنيا وعشر امثالها فيقول
اتضحك بي وانت الملك قال فرايته يعني النبي صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه قال
عاصم رضي الله عنه انها قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ادنى اهل الجنة منزلة
ليضحك من ايأس العبد وقنوطه وقرب الرحمة منه وعن طلحة بن البراء ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما اخبر بموت طلحة رفع راسه الى السماء ثم القه وهو يضحك وانت تضحك
اليه وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يضرب الصراط بين ظهراني جهنم وذكر
الحديث وقال فيه فيقول ويلك يا ابن ادم ما اغدرك الم اعطك عهودك ومواثيقك
الا تسالني غير ما اعطيتك فيقول اي رب لا اكون اشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى
يضحك الرب منه فاذا ضحك منه قال له ادخل الجنة وعن عاصم بن لقيط بن عامر خرج وافدا

ل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من
صلاة [illegible] حديث وفيه فعل يضحك وقد علم ان عونكم قريب قال لقيط لن نعدم
من رب يضحك [illegible] فاخبر بيان تأويله اعلم ان معنى الضحك في اللغة ليس هو مختصا بالبشر
[illegible] الحال على الانسان به بل معناه مشترك ولذلك قالت العرب
ضحكت الارض [illegible] وقال الشاعر والارض تضحك من
بكاء السماء يريد بذلك ما يظهر في الارض من النبات وانوان عن مطر السماء فاما
ما [illegible] به فذلك ابدا وان ما يظهر من نعمة ويبذله من منه فاما
ما قيل [illegible] انت الملك فقد قيل في بعض الاخبار ايضا
في مثل هذا الموضع اشتهر [illegible] لعن فليس المراد بذلك الا ما يقوي في وهم هذا
القائل ان ما يطمع فيه مما هو موثوق به ولا مستحق لما رجع الى حالة نفسه في خروجه
من الشدة والعذاب وذلك ايضا مجاز في الكلام اي يفعل مثل ما يفعل من لا يحقق ما يقول
والشبه ابنى قد يسمى باسمه كما قال الله تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فاما قوله في الخبر الاخر ان الله عز وجل ليضحك
من اياس العبيد وقنوطهم فيحتمل ان يقال معناه انه عند اياس العبيد مما سوى الله تعالى
يظهر لهم رحمته وعطفه ولطفه فرحمهم وليسن يرجع ذلك الى اياس العبيد من الله جل
وعز لان من كان كذلك لم تظهر له نعم الله تعالى فاما قوله اللهم انك تعلم وهو يضحك
وانت تضحك اليه فضحك الله تعالى اليه اظهار الكرامة وصلح ظهور الفرح فيه بما
يظهر الله من النعم عليه وفيه فاما قوله في الخبر الاخر وافا ضحك ربك الى عبد في موطن
فلا حساب عليه وفي رواية اخرى رفع الحساب عنه فالمراد بذلك ايضا نظر له ورحمة
وانه اذا ابدا نعمه على عبد رفع الحساب عنه فيها انما ما ينعمه واكما لا لمنته وفضله
ته وكذلك قوله فلا يزال يدعوا حتى يضحك الرب منها فاذا ضحك منه قال له ادخل
الجنة فالمعنى اظهار اجابته والانعام عليه وابتداه بالكرم والرحمة وليس يخرج جميع ما

وصف به الرب تعالى من الضحك من ان يكون [illegible] راجعا
ترتب الاستحالة وصف الله جل ذكره فا
الاحوال الا ان ذلك من صفات الاجسام
على حدثها [illegible] اخر ذكره
بن بشير عن النبي صلى الله عل
شعرمه راحلته الحديث ورو
قال يقول الله عز وجل انا عند
العبد من الرجل يجد ضالته بالفلا
ان قال لا استبشارا الله بتوبة احدكم
زاد ومتاع وشقاء وما يصلي ورو ابو الدرداء
ان قال ثلثة يحبهم الله ويضحك اليهم ويستبشر بهم اذا [illegible] فيه قال
وراها بنفسه لله عز وجل وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
لا تتعنا احد فيحسن الوضوء ويسبغه ثم يأتي المسجد لا يريد الا الصلوة فيه الا
تبشبش اهل الغائب بطلعته ذكر الجواب عن ذلك اعلم ان معنى ما وصف
الله به جل ذكره من الفرح فهو بمعنى الرضا لان الفرح منتسم معناه الى السرور والرضا
ولا يليق بالله السرور لانه يقتضي تغير صفته وحدوث الحوادث فيه فاما الرضا فهو
بمعنى الرضا فصح ان يوصف تعالى ويكون معناه اذا ارادته الانعام على من هو
راض عنه ومزاح الله عز وجل عليه فقد فرح به على معنى انه رضي عنه واراد الانعام
عليه فاما معنى استبشار الله بتوبة العبد فراجع ايضا الى ما يظهر للعبد من الكرامة
واللطف والمنة وافعاله لا لحلة ولا تحدث في ذاته بل يحدث في غيره فاما البشاشة
فهو بمعنى الاستبشار لانه يقال في فلان بشاشة وهشاشة وفلان بشاش اذا كان
مظهرا للرضى بما يستقبله فلما كان الله عز وجل راضيا عن التائب من عبيده مظهرا

[illegible] وتثنيته عليها ثانيا ومثنيه عليها ثالثا كان
اخر في ذكر ما روى من الفاظ الاستحياء روى
[illegible] سمعا موجالس المسجد والناس معه
[illegible] عليهم وذهب واحد فوقفا
[illegible] في احلقه فجلس فيها واما الاخر فجلس
[illegible] صلى الله عليه وسلم قال الا اخركم عن
[illegible] الاخر فاستحيا فاستحيا فاستحيا
[illegible] خيس الغفاري قال خرجت مع
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلثة
[illegible] فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم الا اخركم عن الفقير
الثلثة اما احدهم فاستحيا من الله فاستحيا الله منه واما الاخر فاقبل تائبا فتاب
الله عليه واما الاخر فاعرض فاعرض الله عنه وعن انس بن مالك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يا ايها الناس ان ربكم حي كريم يستحي ان يبسط عبده يديه اليه ان يردهما
خائبتين وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يستحي من عبد او امته يعذبهما
بعد ما شاما ذكر الجواب عن ذلك وتاويله اعلم ان معنى الاستحياء من الله عز وجل
بمعنى الترك وعلى ذلك يتاول قوله عز وجل ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة
معناه انه لا يترك ما قوله صلى الله عليه وسلم واما الاخر فاستحيا فاستحيا الله منه فيحتمل
ان يكون معناه انه ترك اذى القوم بما جاءوا به في الخلق فطرح ظلمهم فترك الله عقوبته وعفا
عن ذنوبه ويحتمل ان يكون معنى قوله ان ربكم حي كريم اي تركه عقوبة العبد على خطيئته ويعفوا
عن ذلته بكرمه واذا رجع اليه سائلا مستغفرا اجابه وغفر له ويحتمل ان يكون معنى قوله ان الله
يستحي من عبده او امته ان يعذبهما بعد ما شابا انه يترك عذابهم اذا شابا في الاسلام
وانما قلنا ذلك لان الشيب الذي هو الانتقاض بتغير الاحوال في حدوث الحوادث فيمن يتغير به

لا يجوز على الله جل ذكره اخر في معنى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ما بصر والغضب والبغض روى ابو موسى عن رسول الله عليه السلام انه قال ان لله
على ذلك بجمع من الله تعالى انه ليشرك به ويجعل له ندا وهو يرزقهم ويدفع عنهم ويعافيهم
وروى ابو الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك يبغض الفاحش البذيء
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من لعن شيئا ليس لله تعالى فيغضب عليه
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احد اشتد غضب الله عز وجل
على قوم هشوا الينا على ان فيهم وهو بين ظهرانيهم فقال الله عز وجل
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد غضب الله على امرء اقتتل وقتا يقوم لنا
منهم بشرهم في اموالهم ويفتح على عوراتهم وفتح حسان فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشد غضب الله على من لا يتب متعمدا وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تدفا الشمس فيبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يطيقون وذكر الحديث وقال فيه فيأتون
ادم فيقولون اشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولا
يغضب بعده مثله ذكر الجواب عن ذلك اعلم ان معنى وصف الله جل ذكره بالبغض
بمعنى الكره ومعنى وصفه عز وجل بالكره نوعا من العقوبة عن المستحق لها ووصف الله جل
وعز الصرم به الكتاب وانما ورد في نوع هذه الاخبار وقوعا ويل على معنى ويل اهل الكبائر
فاما وصفه بالغضب فقد ورد به الكتاب ومعناه ارادة العقوبة لاهلها ومن علم انه
يعاقبهم عليها وكذلك يقول في الرضا انه ارادة النعيم والتفضل لمن علم انه اهلا لذلك
وذلك من صفات الذات لان تاويله يرجع الى الارادة وارادة الله تعالى في صفات
ذاته فاما معنى اشتداد غضبه فالمراد به تاييد ما يدل عليه من زيادة العقوبة على بعضهم
دون بعض واما ما هو صفة الذات فلا يجوز وصفه بالتزايد وانما يرجع التزايد
من الافعال الصادرة عن الارادة واما معنى الكره فهو بمعنى الغضب واما معنى البغض
فهو بمعنى الكراهة فاذا قيل بغض الله فلانا من خلقه فالمراد به كراهته للفضل عليه

ما يحرمون ظاهرها في طاعتهم وعبادتهم
العطية وكان اراد الله عز وجل
على [illegible] وطلالتهم في طاعتهم
[illegible] وسبق [illegible] مواقع الفضل
يزيد قدره على قدر طاعة الملائكة
لانا لانه لا يباهي الا بالافضل
[illegible] عن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم [illegible] عن عرفاد لكم وجهه فقال ان
احدكم اذا قام يصلي فانه يناجي ربه او ربه بينه وبين القبلة وعن ابي هريرة قال
صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سلم اذا برجل في آخر الصفوف قال يا فلان الا تتقي الله
الا تنظر كيف تصلي فان احدكم اذا قام يصلي يقوم يناجي ربه فليتنظر كيف يناجيه وعن
صفوان بن محرز قال بينما انا اسير مع عبد الله بن عمر اخذ بيدي اذ عرض له رجل فقال
له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيمة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يدني منه المؤمن فيقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا

قد في الجواب عنه لكم اعلم ان معنى المناجاة هو مخاطبة المخاطب على الوجه الذي
يختص به ولا يشاركه فيه سماع الخطاب غيره وذلك اذا وصف به الله تعالى فالمراد
سماع الله جل ذكره وافهامه من اراد من خلقه على الوجه الذي يختصون به من غير
ان يشاركوا في اسماع ما يسمعون وافهام ما يفهمون وهذا معنى النجوى يوم القيمة
لانه يسمع من شاء من خلقه خطابه على التخصيص بالخطاب من غير ان يشاركه في سماع ذلك
الخطاب غيره وهو كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما منكم من احد
الا وسيخلو الله عز وجل به يوم القيمة ليس بينه وبينه ترجمان ولا مناجاة العبد لله

عز وجل مواجهة الخطاب من غير ان يسمع غيره [illegible] الله
المناجاة اذا وصف به الله عز وجل [illegible]
[illegible] وقوما ذكرنا فيه [illegible] فاذا [illegible]
روحنا وعن قتادة عن انس قال [illegible]
يوم القيمة فيهتمون لذلك فيقولون [illegible]
فيأتون آدم عليه السلام فيقولون [illegible]
من روحه وعن ليث عن مجاهد عن ابن عباس [illegible]
صلى الله عليهما وسلم فقال له موسى [illegible]
واسجد لك الملائكة ونفخ فيك من روحه فعلت ذلك بيدي
والجواب عن ذلك اعلم ان ما يوصف الله عز وجل به من فعل اليدين فالمراد به حدث
للروح فمن خلقه فيه وافعال الله جل ذكره غير واقعة على طريق المباشرة والمعالجة بل
افعاله كلها ابتداء اختراع من قبل الله جل ذكره لا يقتضي تعب المخترع لها والاصل في
شيء فيما اضافه الروح اليه ومعناه وفائدته هو تخصيص تشريف المذكور
قد يخص بالذكر تشريفا له وان كان غيره في معناه كما قيل بيت الله وناقة الله وعبد الله
تخصيصا للذكر من جملة المسميات بانه بالفضل والشرف له ما سواه للتنويه بذكره
والدفع من حاله وعلى هذا الوجه اضاف روح عيسى عليه السلام اليه فقال روح الله
وذلك احد وجوه الاضافات كلها معنا لا يخرج غير المكان والخلق والقدرة والتدبير
وذلك لاستحالة الاضافة اليه من طريق المجاورة له والتغير به لاستحالة ان يكون جسما
او جوهرا فيتغير بما يحدث فيه او يحاذي او يجاوز فعلى ذلك فقس هذه الابواب ان
شاء الله عز وجل ومعنى آخر من الكلام على من قال انها دونيا من هذه الاخبار وذكر
من ابطال هذه الستر والانار ما لا يجب الاشتغال بتأويله وتخريجه وتبيين معناه وتفسير

صلى الله عليه وسلم اتاح لنا بذلك
[illegible] المعقول الذي بينها المتداول عندهم
[illegible] سماي صحيح مفيده او
[illegible] وسلم [illegible] كلام يخلو من فايده
تعذر ذلك لاجل اللغه التي خاطبنا
[illegible] علم انه لم يعم على المخاطبين
[illegible] معانيها ما لا يخرج عن
[illegible] ممتنا والتوصل الى المراد به عز
[illegible] ومقراه وان لا معنى لقول من قال
[illegible] كان خطابه خلوا من الفايده وكلامه
فان قيل السنتم تقولون في متشابه
القرآن انه ما استاثر الله بعلمه وان كان بلغة العرب ولا بد فيهم من فايده قيل
فيهم جوابا بان هذا مما استاثر الله بعلم تاويله من متشابه القرآن والراسخون
في العلم يقولون امنا به ولا يعلمون تاويله لان الله عز وجل هو المخصوص بمعرفة تاويله
[illegible] الفلاح التي هي طاعته وهي مندوب اليها متاب على فعلها ومنهم من
قال انه لا متشابه في القرآن لان الراسخون في العلم يعلمون تاويله وان قوله والرا
سخون في العلم معطوف على قوله الا الله فعلى ذلك يسقط السوال فصل اخر قال قبل
البحث عن معاني هذه الالفاظ التي وردت في هذه الاثار اذا حملت على المعقول فيما بيننا
لم يصح في وصف الله عز وجل واذا خرجت عن معانيها المعقوله تنادي الى ان تكون
على حسب اللغه وان يكون ذلك مما يختص بعلم الله جل وعز قيل ان معانيها معقوله
على حسب ما يصح في وصف الله عز وجل يحمل على ذلك سبيلها كسبيل سايرالاو
صاف

التي وردت في الكتاب من ذكر الله جل وعز بالعو[illegible] فيها
وكانت معانيها معقوله ومرتبه على[illegible] العبد
الموصوفين بها بعد ان لا تخرج عن[illegible]
وجب الوقف [illegible]
قالوا انما لزم الوقف في سايرو[illegible]
في مثل هذا المعنى فلما لم يجز ذلك[illegible]
في معناه فكذلك سايرالآي[illegible]
انكم لا توجبون العلم والقطع بان[illegible]
تجعلون بينها وبين ما قال الكافر فصل[illegible]
الطلق في وصف الله عز وجل فله معنى صحيح ومعقول اذا كان احدهما مقطوعا
والاخر مجوزا وليس لاحد ان يثبت في طريقها ما يجب باختلاف حكميها من جواز الخطا
وعلى معانيها على الوجه الصحي[illegible] اخر فان قيل فاذا كان خبر الواحد
موجبا للاعتقاد والقطع وكيف يجوز عند الاخبار على نفي ذلك منها بحسب فعل
ما فانا نحملها قبل انها وان لم تكن موجبه للقطع بها مقتضيه للعمل بها مجوزة
لها مغلبه وقد يفيد اكثر التجويز من جهة اطلاق اللفظ وقد يفيد ذلك من طريق
القطع والاعتقاد ولما كان طريقه متواترا او احاد ظاهرا او كانا باطنا فانه
يقتضي الاعتقاد والقطع بحسبه واذا كان كذلك مستندا الى اخبار احاد عدول
فقد كان الحكم بها على الظاهر واجبا من طريق التجويز ورفع الاحاله وان لم يكن فيها
القطع والاعتقاد دليل يدفع هذه الاخبار على هذه الوجوه التي ذكرناها
واعلم انه اذا كان لا بد من قبول اخبار العدول ولا بد ايضا ان يكون لكلام الرسول
صلى الله عليه وسلم الاثر والفايده وكان التوقف فيما يكون بهذه صفته لاوجه
له وكان تعطيل هذه الاخبار لاجل يوهم تعذر تحريرها وترتيبها لاوجه له وكان

90
٣٠

بعضهم [illegible] يجيء يدعيا لابطالها وبعضهم يذهب الى ايجاب
[illegible] الى اخر ما ذهب اليه معاني صحيح وجب ان يكون الامر فيها على ما
[illegible] المشتبهين لله تعالى
[illegible] على وجه الدرر تبقاها
[illegible] ولا يصح تفسير ووجب ايضا
[illegible] على انها انه لا يزاد فيها ولا ينقص
[illegible] فيما صح تاويلها من انكر له دربة
[illegible] هذا القول على هذا المعنى من قائل
واذا لم نكن اراد سد [illegible] بدلان ما قاله ويصح ما قلناه فعلى ذلك
فلنرتب ان شاء الله عز وجل وهو اخذ القول كتابنا [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم